



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة الإسلامية - بغداد
كلية الآداب - الدراسات العليا

الطائفة في القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

مرسالة تقدم بها الطالب

قاهر محمود بريص

إلى مجلس كلية الآداب في الجامعة الإسلامية - بغداد ، وهي جزء من متطلبات نيل

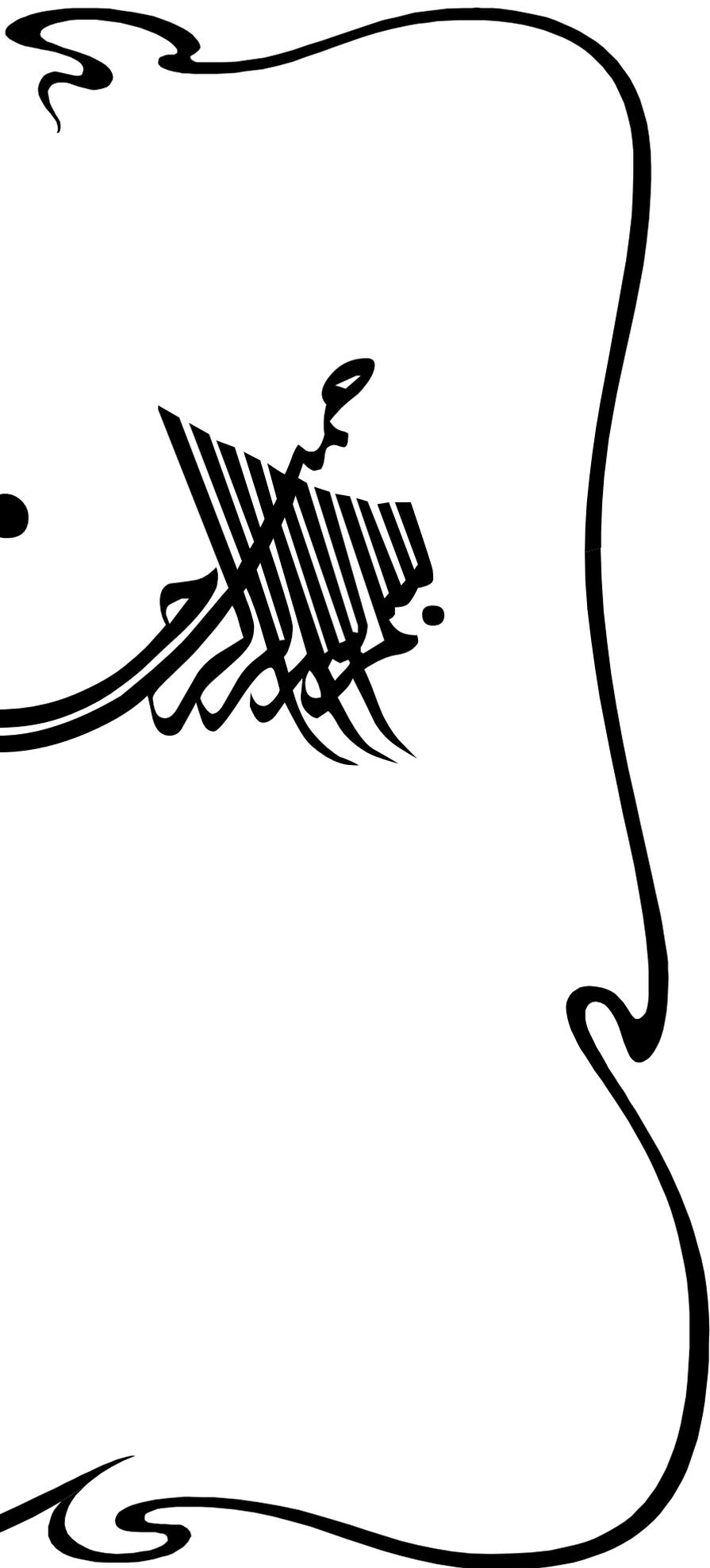
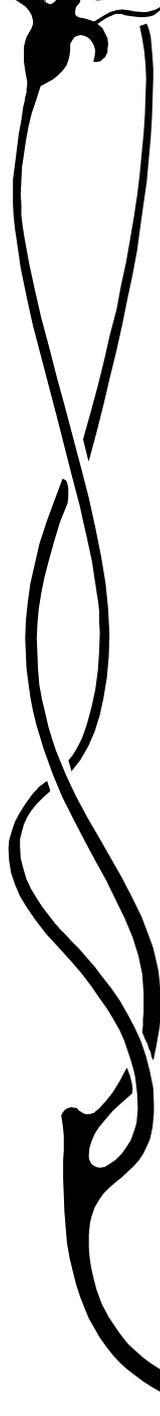
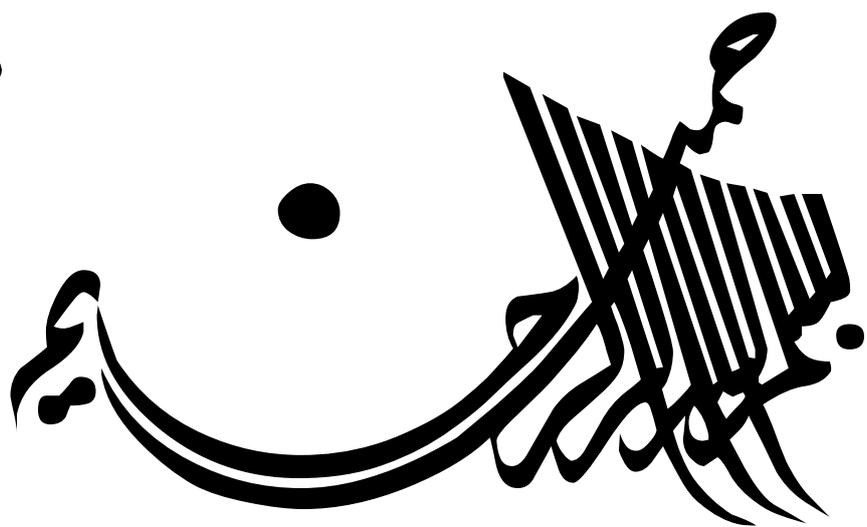
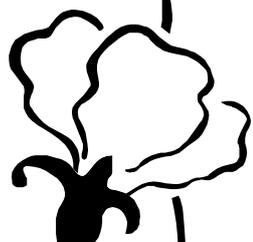
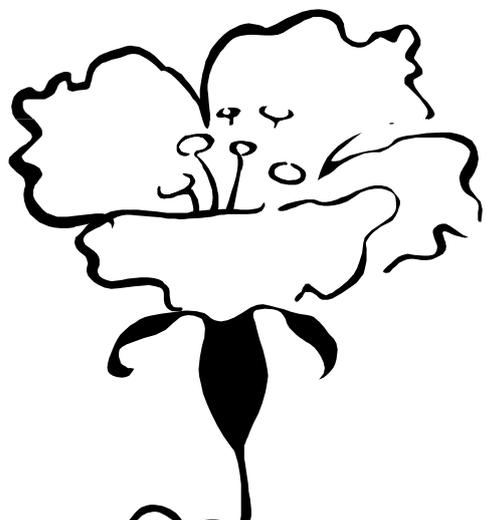
درجة الماجستير في علوم القرآن تخصص (تفسير)

ياشرف

أ . م . د . علي شكر داود الحيايي الحسني

٢٠١١م

١٤٣٢هـ



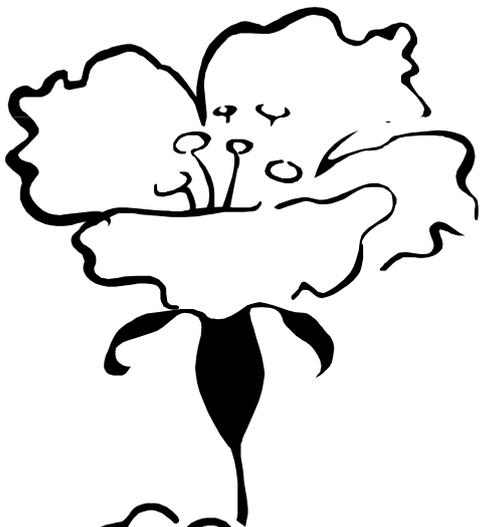
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ
وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ

لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا

الإسراء: ٩



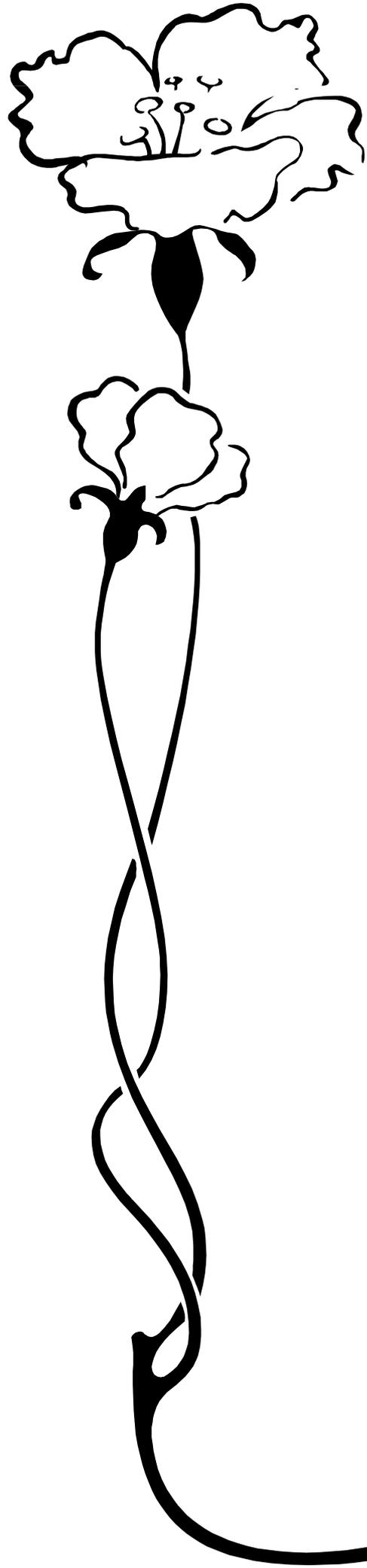


إقرار المشرف

أشهد بأن إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ **(الطائفة في القرآن الكريم " دراسة موضوعية "**) المقدمة من الطالب **(قاهر محمود بريس)** قد جرى تحت إشرافي في كلية الآداب - الجامعة الإسلامية ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن

التوقيع :

التاريخ : / / ٢٠١١



الإهداء

الى

الاکرم منا جميعاً

شهداء العراق الابرار

شكر و عرفان

لأبد للعهد من وفاء وللإحسان من جزاء وتيمناً بقوله (عليه الصلاة والسلام) "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"^(١).

فلا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى فضيلة الشيخ الدكتور المشرف السيد (علي شكر داود الحياي) الذي اغدق عليّ عطفه ورعايته وأملى عليّ توجيهاته السديدة التي كانت مصباحاً استتير به.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى مشايخنا وأساتذتنا في الجامعة الإسلامية كافة، لوقوفهم إلى جانب أبنائهم وإخوانهم الطلبة في هذا الظرف الصعب، وأخص بالذكر فضيلة الشيخ الدكتور (عبد الله حسن الحديثي) عميد كلية الآداب.

وأخيراً أتقدم بفائض الشكر والامتنان إلى اساتذتي المناقشين والجهود التي بذلوها في تقويم هذه الرسالة وتصويبها .

أخذ الله بأيديهم وجعلهم مثلاً نقندي به ومن الله التوفيق.

(١) ينظر سنن الترمذي: ٢٩٨/٤ وقال حديث حسن غريب

المحتويات

الصفحة	الموضوع
١	المقدمة
٥	تمهيد :
٦	المطلب الأول : مفهوم الطائفة في اللغة والاصطلاح والالفاظ ذات الصلة
٦	أولاً : تعريف الطائفة في اللغة والاصطلاح
٨	ثانياً : الالفاظ ذات الصلة بلفظ الطائفة
١٩	المطلب الثاني : مساحة مادة (طائفة) في القرآن الكريم
٣٣	الفصل الاول: الطائفة المؤمنة من المسلمين
٣٤	المبحث الاول: فقه الطائفة المؤمنة وعبادتها
٣٥	المطلب الاول: فقه الطائفة المؤمنة
٥٠	المطلب الثاني: عبادة الطائفة المؤمنة
٦٥	المطلب الثالث: شهادة الطائفة المؤمنة في إقامة الحد
٧٧	المطلب الرابع: القتال بين الطائفتين المؤمنتين
٨٣	المبحث الثاني: تربية الطائفة المؤمنة على الجهاد في سبيل الله
٨٤	تمهيد
٨٦	المطلب الاول: علاج الطائفة المؤمنة من الخوف
٩٨	المطلب الثاني: توجيه الطائفة المؤمنة في القتال
١١٤	المطلب الثالث: رعاية الله للطائفة المجاهدة
١٢٧	الفصل الثاني: الطائفة (من اليهود والنصارى) من (بني إسرائيل)
١٢٨	تمهيد
١٢٨	المبحث الاول: الطائفة من اليهود والنصارى

١٢٩	المطلب الاول: الطائفة المستضعفة في عهد فرعون
١٤٢	المطلب الثاني: الطائفة المؤمنة بعمى <small>عليه السلام</small> والطائفة الجاحده
١٥٥	المبحث الثاني: الامم السابقة وانقسامها الى طائفة مؤمنة وكافرة.
١٥٦	المطلب الاول: انزال الكتب السابقة على طائفتين اليهود والنصارى
١٦٣	المطلب الثاني: انقسام قوم سيدنا شعيب <small>عليه السلام</small> طائفتين مؤمنة وكافرة
١٧٤	الفصل الثالث: طوائف المنافقين
١٧٥	تمهيد
١٨١	المبحث الاول: فضح طائفة المنافقين في القرآن الكريم على لسان رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>
١٨٢	المطلب الأول : نشوء النفاق وظهوره
١٨٦	المطلب الثاني: فضح الطائفة المستهزئة
١٩٥	المبحث الثاني: طائفة المنافقين التي تبّيت غير ما يقول لها رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>
١٩٦	المطلب الأول: خطورة النفاق وموقف الرسول <small>صلى الله عليه وسلم</small> من المنافقين.
٢٠٩	المطلب الثاني: تبّيت نية السوء عند طائفة المنافقين .
٢١٦	الخاتمة
٢١٨	المصادر والمراجع

Allah (God) said: "that we who got down Al-Quran and we are able to keep it"

Al- Quran is arriracle of prophet Mohammad till doomeday and till the inheritance of Allah to the earth because Allah is the best inheritor.

Al- Quran contains many signs that mention preceding nations and their stories and remembering threat, willing and fear of Allah.

Al- Quran also mention many groups like believer group, hypocrite group, Jewish group and Christian group.

Though I found myself to write subject about those groups and the meaning of the groups in Al-Quran because it has many sermons and stories about those groups.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد المصطفى الامين وعلى اله الطيبين الطاهرين ، ورضي الله عن الصحابة اجمعين ومن تبعهم بأحسان الى يوم الحشر واليقين.

وبعد:-

فإن القرآن الكريم كتاب الله: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(١). فيه نبأ الاولين والآخرين ، وما كان ويكون الى يوم الدين.

ولما كانت الدراسات الموضوعية من الدراسات المهمة والاساسية التي لا غنى لطالب العلم او الباحث في آيات الذكر الحكيم الاستفناء عنها في تفسير هذه الايات ، وهذه الدراسات تقوم على اساس الاهتمام بدراسة الجملة القرآنية دراسة موضوعية شاملة لذلك كان من ضمن الايات المنثورة في سوره الكريمات ذكر الطائفة وما يتعلق بها من الفاظ ذات الصلة بلفظ الطائفة ، وقد أمعنت النظر اتأمل في امر هذه الطوائف فوجدتني امام موضوع جدير بأن يقف الباحث على دلالاته ودرسته دراسة موضوعية.

ونحن نتأمل هذه اللفظة نجد تنوع ذكر الطائفة ، فمنها المؤمنة ، ومنها الضالة ، ومنها المنافقة ، ومنها الكافرة ، ومنها المستضعفة ، ومنها المستهزئة ، والى

جانب ذلك نجد التربية الايمانية ، والنفسية والعلمية والمعنوية والعبادية من خلال استطراد آيات الطوائف في القرآن الكريم.

كان موضوع البحث الذي وسمته بـ(الطائفة في القرآن الكريم -دراسة موضوعية-).

وعند البحث الموضوعي في لفظة الطائفة نجد معاني عديدة والفاظ كثيرة ذات معنىً وصلةً قريبة بلفظ الطائفة منها على سبيل المثال: لفظ الفئة ، والزمرة ، والحزب ، والرهط الى غير ذلك من الالفاظ.

وقد تأتي الطائفة بمعنى التعصب بحق أو بغير حق ويطلق عليها بـ(الطائفية) وهو لفظة أوسع استعمالها في الثقافة المعاصرة ، بمعنى تفرد جماعة برأي أو فكرة بغض النظر عن طبيعة هذه الفكرة باطله ام صادقة ، وهذا ليس مجال بحثنا وإنما ذكرناها للتذكير فقط.

وتعد الدراسات الموضوعية من الالوان الجديدة في تفسير آيات القرآن الكريم التي تبحث في قضايا القرآن المتحدة معنى او غاية ، وعن طريق جمع الايات المتفرقة او اللفظة المفردة او بيان معاني لفظة محددة ، او جملة قرآنية على اساس مبدأ مفهوم الوحدة الموضوعية للقرآن بمفهوم وحدة الافكار والموضوعات.

ولما كان موضوع البحث متنوع الدلالة والمعاني اقتضت خطة البحث ان أقسمه الى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وقائمة لأهم المصادر والمراجع وعلى النحو التالي:-

التمهيد وفيه عرفت مفهوم الطائفة في اللغة والاصطلاح والالفاظ ذات الصلة بلفظ الطائفة.

الفصل الاول: الطائفة المؤمنة من المسلمين وفيه مبحثان:-

المبحث الاول: فقه الطائفة المؤمنة وعبادتها وفيه تمهيد واربعة مطالب:-

المطلب الاول: فقه الطائفة المؤمنة

المطلب الثاني: عبادة الطائفة المؤمنة

المطلب الثالث: شهادة الطائفة المؤمنة في إقامة الحد

المطلب الرابع: القتال بين الطائفتين المؤمنتين

اما المبحث الثاني: فقد جعلته في بيان تربية الطائفة المؤمنة على الجهاد في سبيل الله وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:-

المطلب الاول: علاج الطائفة المؤمنة من الخوف

المطلب الثاني: توجيه الطائفة المؤمنة في القتال

المطلب الثالث: رعاية الله للطائفة المجاهدة

الفصل الثاني: الطائفة (من اليهود والنصارى) من (بني إسرائيل) وفيه مبحثان

وكل مبحث على مطلبين:-

المبحث الاول: الطائفة من اليهود والنصارى

المطلب الاول: الطائفة المستضعفة في عهد فرعون

المطلب الثاني: الطائفة المؤمنة بعيسى عليه السلام والطائفة الجاحده

المبحث الثاني: الامم السابقة وانقسامها الى طائفة مؤمنة وكافرة.

المطلب الاول: انزال الكتب السابقة على طائفتين اليهود والنصارى

المطلب الثاني: انقسام قوم سيدنا شعيب عليه السلام طائفتين مؤمنة وكافرة

الفصل الثالث: طوائف المنافقين وفيه تمهيد وهو على مبحثين وكل مبحث على

مطلبين:-

المبحث الاول: فضح طائفة المنافقين في القرآن الكريم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول : نشوء النفاق وظهوره

المطلب الثاني: فضح الطائفة المستهزئة

المبحث الثاني: طائفة المنافقين التي تبّيت غير ما يقول لها رسول الله ﷺ

المطلب الأول: خطورة النفاق وموقف الرسول ﷺ من المنافقين.

المطلب الثاني: تبّيت نية السوء عند طائفة المنافقين .

ثم جعلت لهذه الفصول خاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

ثم قائمة لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في اعداد هذا البحث.

وقد واجهتني بعض المصاعب والمتاعب اثناء اعدادي لهذه الرسالة منها قصور فهمي عن استيعاب معاني آيات الذكر الحكيم وانىّ لمثلي ان يخوض في مضمار اهل المعرفة لكتاب الله تعالى وبيان اسراره وحكمه.

ولا أدعي انني اعطيتُ الموضوع حقهُ من البحث ولكن بذلتُ من الجهد في سبيل انجازه ما استطعت إلى ذلك سبيلا فأن اخطأت فمن نفسي واستغفر الله ، وان اصببتُ فبفضل الله تعالى ، ثم بفضل من علمنا من اساتذتنا الكرام واحسن تعليمنا.

هذا: واسأل الله العظيم ان يجعل هذا العمل خالصاً لوجهِ الكريم فلا رب غيره ولا معبودٌ سواه ، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين.

تمهيد

المطلب الأول : مفهوم الطائفة في اللغة والاصطلاح والالفاظ ذات الصلة.

أولاً : تعريف الطائفة في اللغة والاصطلاح:

١. الطائفة في اللغة

٢. الطائفة في الاصطلاح

ثانياً : الالفاظ ذات الصلة

المطلب الثاني : مساحة مادة (طائفة) في القرآن الكريم

المطلب الأول : مفهوم الطائفة في اللغة والاصطلاح والالفاظ ذات الصلة.

أولاً : تعريف الطائفة في اللغة والاصطلاح:

قبل ان نتناول آيات الطائفة في القرآن الكريم يقتضي الأمر أولاً ان نبحث في مفهوم الطائفة في القرآن الكريم وذلك ببيان تعريفها في اللغة والاصطلاح. وبيان الالفاظ ذات الصلة، وبيان الالفاظ ذات المعنى المتصل بلفظ الطائفة.

١. تعريف الطائفة في اللغة:

طوف: الطاء والواو والفاء أصل وأحد صحيح يدلّ على دوران الشيء وان يُحَفَّ به ، ثم يحمل عليه ، يقال حاف به وبالبيت: يطوف طوفاً وطوفاً.

والطيف والطائف: ما أطاف بالانسان من الجنان. يقال طاف وأطاف ، قال تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾^(١)، وطائف أيضاً ، والطائفة من الناس فكأنما جماعة تطيف بالواحد او بالشيء ولا تكاد العرب تحدها بعدد معلوم الا ان الفقهاء والمفسرين يقولون فيها مرة: أنها اربعة فما فوقها ، ويقولون : هي الثلاثة ، وان كل جماعة يمكن ان تحف بشيء فهي عندهم طائفة ، ثم يتوسعون في ذلك من طريق المجاز فيقولون: أخذت طائفة من الثوب ، أي: جزء منه.

وجاء في تعريفها لغة: هي الجماعة التي من شأنها الطوف في البلاد للسفر ، ويجوز ان يكون اصلها الجماعة التي تستوي بها حلقة يطاف عليها ثم كثر ذلك حتى سمي كل جماعة طائفة^(٢).

(١) سورة الأعراف: ٢٠١

(٢) هي قراءة ابن كثير وابي عمر والكساني ويعقوب ، وقراءة الباقرين بـ(الطائف) ، إنحاف فضلاء البشر ٢٣٤.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: لأبن فارس ، ٤٣٢/٣-٤٣٣.

٢. الطائفة في الاصطلاح

لا يختلف المعنى الاصطلاحي للطائفة عن معناه اللغوي ، والعرب فيه على ما أعلمتكم: أن كل جماعة يمكن ان تحف بشيء فهي عندهم طائفة ، ولا يكاد يكون هذا الا في اليسير في اللغة^(١). وقد تكون اسماً لواحد ، قال تعالى ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾^(٢)، ولا خلاف في ان اقبلت إذا اقتتلا كان حكمهما هذا الحكم ، وروي في قوله تعالى: ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٣)، انه ارادوا واحداً ، وقال: يجوز قبول الواحد بدلالة قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ ... ﴾^(٤)، الى ان قال: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾^(٥)

أي: ليحذروا ، فأوجب العمل في خبر الطائفة^(٦).

والطائفة هو الجماعة من الناس ذا الكثرة ، والحق انها تعلق على الواحد والاثنين وان قال ذلك بعض المفسرين من السلف ، وقد تزيد على الالف ، كما في قوله تعالى: ﴿ عَلَى طَائِفَتَيْنِ ﴾^(٧) ^(٨)

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٤٣٣/٣.

(٢) سورة الحجرات: ٩

(٣) سورة النور: ٢

(٤) سورة التوبة: ١٢٢

(٥) سورة التوبة: ١٢٢

(٦) المصدر نفسه : ٤٣٣/٣-٤٣٤.

(٧) سورة الأنعام: ١٥٦

(٨) ينظر: التحرير والتنوير: لأبن عاشور ، ج ١١ ، ص ٦٠

ثانياً: الالفاظ ذات الصلة بلفظ الطائفة:

في القرآن الكريم الفاظ كثيرة قد تشترك في هذا المعنى أولها صلة بلفظ الطائفة ومن هذه الالفاظ هي:-

١. **الفئة:** الجماعة المتظاهرة التي يرجع بعضهم الى بعض في التعاضد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾ (١)،
والفئة لا واحد لها من لفظها وجمعها فئات (٢).

وقيل: هي الجماعة المتفرقة من غيرها من قولك فأوت (٣) رأسه أي: فلقتة ،
وانفأت القدح اذا انفرج مكسوراً ، والفئة في الحرب يكونون خلف المحاربيين
يلجأون اليهم ن كان خوف او هزيمة ، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ
فِئَةٍ﴾ (٤) وقيل: هي لجمع كل من يمنع أحداً او ينصره فئة. وقيل: هي
الاعوان (٥).

(١) سورة البقرة: ٢٤٩

(٢) ينظر: المفردات: للراغب الاصفهاني: ص ٤٣٥.

(٣) قال في الوسيط: الفأو: الصدع والانفراج بين الجبلين.

(٤) سورة الأنفال: ١٦

(٥) الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري: ص ٢٧٩ : ٣٢١/٢ .

٢. الزمرة:

زمر: جمع زمرة وهي الجماعة القليلة ومنه مشاة زمرة أي: قليلة البشر
ورجلٌ زمرٌ قليل المروءة وزمرت النعامة تزمُرُ زماراً ومنه اشتق الزمّر
والزمارة كناية عن الفاجرة^(١).

وقيل: زمر: الزاء والميم والراء أصلان: أحدهما يدل على قلة الشيء والآخر
جنس من الأصوات.

فالاول: زمر: قلة الشعر ، والزمّر: قليل الشعر ، ويقال رجل زمرٌ المرؤه ،
أي: قليلها.

والاصل الآخر: الزمّر والزمّار: صوت النعامة ، يقال: زمّرت ، تزمّر ،
وتزمّرُ زماراً.

والزمرة: هو الجماعة وهي مشتقة من هذا ، لأنها إذا اجتمعت كانت لها جلبة
وزمار^(٢).

والزمرة: هي الجماعة التي لها صوت لا يفهم ، واصله من الزّمار وهو صوت
الانثى من النعام.

ومنه قيل: الزمرة ، قرب منها الزجلة وهي جماعة لها زجل وهو ضرب من
الأصوات.

(١) ينظر: المفردات: للراغب: ص ٢٤٠.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: لأبن فارس: ٣ / ٢٣-٢٤

وقيل الزمرة: جماعة في تفرقة^(١).

ومن الأدلة في القرآن الكريم على أنه معنى الزمرة هو الجماعة قوله تعالى

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۖ ﴾^(٢)

أي : الذين كفروا بالله يحشرون الى ناره التي اعدّها لهم يوم القيامة ،
جماعات جماعات، وحزباً حزباً، وزمراً أي : جماعات^(٣).

والموضع الثاني الذي جاء فيه لفظ الزمر هو قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ

اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ ۖ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ۖ ﴾^(٤)

أي: وحشروا الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتتاب معاصيه في الدنيا
وافردوا له العبادة فلم يشركوا في عبادتهم إياه شيئاً الى الجنة زمراً ، يعني
جماعات^(٥).

(١) ينظر: الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري: ص ٢٧٧

(٢) سورة الزمر: ٧١.

(٣) ينظر: جامع البيان: للطبري: ٢١ / ٤٠

(٤) سورة الزمر: ٧٣.

(٥) ينظر: تفسير تيسير العلي القدير لاختصار ابن كثير: ٤ / ٦٤.

أي : وصلوا الى ابواب الجنة بعد مجاوزة الصراط ، وحُبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فأقتص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هُدِّبُوا ونُقُوا أُذِّنَ لهم في دخول الجنة^(١)

٣. حزب:

الحاء والزاء والباء أصل واحد ، وهو تجمع الشيء. ومن ذلك الحزب: الجماعة من الناس ، قال تعالى: ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾^(٢) ، والطائفة من كل شيء حزب ، يقال: قرأ حزبه من القرآن ، والحزباء: الارض الغليضة.

ومن هذا الباب ، الحيزبون: العجوز ، وزادوا فيه الياء والنون كما يفعلونه في قبل هذا ليكون ابلغ في الوصف الذي يريدونه^(٣).

وقيل: هو الجماعة تتحزب على الامر ، أي: تتعاون. وحزب الرجل: الجماعة التي تعينه فيقوى امره بهم ، وهو من قولك: حزبني الامر ، إذا اشتد^(٤).

(١) ينظر: مقاييس اللغة: لابن فارس: ٥٥/٣

(٢) سورة المؤمنون: ٥٣

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٥٥/٢.

(٤) ينظر: الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري: ص ٢٧٧.

٤. فوج:

الفاء والوا والجيم كلمة تدل على تجمع ، من ذلك الفوج: الجماعة من الناس ، والجمع افواج ، وجمع فوج افواج وافاويج ، واما افاج الرجل: اذا اسرع وهو من ذوات الياء والفيج منه^(١).

وقيل: هي الجماعة الكثيرة ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾^(٢) ، وذلك أنهم كانوا يسلمون في وقت ان نزلت هذه الآية قبيلة قبيلة^(٣).

٥. ثلة:

ثل: الثاء واللام اصلان متباينان: احدهما التجمع والآخر: السقوط والهدم والذل.

فالاول: الثلة الجماعة من الناس ، قال تعالى ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾^(٣٩) وَثَلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ^(٤٠) ﴿٤٠﴾^(٤)

والثاني: ثلثتُ البيت: هدمته ، والثلة تراب البئر ، والثلل: الهلاك^(٥).

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: لأبن فارس: ٤/٤٥٨.

(٢) سورة النصر: ٢

(٣) ينظر: الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري: ص ٢٧٧.

(٤) سورة الواقعة: ٣٩ - ٤٠

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة: لأبن فارس: ١/٣٦٨.

وقيل: هي جماعة تندفع من الامر جملة من قولك: تثلت الحائط إذا نفضت اسفله فأندفع ساقطاً كله ، ثم كثر ذلك حتى سمي كل بئر ثلاً ، ومنه ثلَّ عرشه ، وقيل: التلل: الهلاك^(١).

٦. عُصْبَة:

عصب: العين والصاد والباء اصلٌ صحيح واحد يدل على ربط شيء بشيء ، مستطيلاً او مستديراً ثم يفرع ذلك فروعاً وكله راجع الى قياس واحد.

ومن الباب: العصبة: قال الخليل: هم من الرجال عشرة ولا يقال لما دون ذلك عُصْبَة ، وانما سميت عُصْبَة لأنها قد عَصِبَتْ ، أي: ربط بعضها ببعض.

والعُصْبَة والعصابة من الناس ، والطير ، والخيل^(٢).

وقيل: هي العشرة وما فوقها قليلاً ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾^(٣)، وقيل: هي من العشرة الى الاربعين ، وهي في العربية الجماعة من الناس^(٤).

٧. رهط:

الراء والهاء والطاء اصل واحد يدل على تجمع من الناس وغيرهم ، فالرهط: العصابة من ثلاثة الى عشرة.

(١) ينظر: الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري: ص ٢٧٧.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: لأبن فارس: مجلد ٤ ص ٣٣٦-٣٣٩.

(٣) سورة يوسف: ٨

(٤) ينظر: الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري: ص ٢٧٧-٢٨٧.

قال الخليل ما دون السبعة الى الثلاثة نفر^(١).

وقيل: هم الجماعة نحو العشرة ويرجعون الى أب واحد ، وسموا رهطاً بقطعة أديم يقطع اطرافها فتكون فروعها شتى واصلها واحد.

وتقول: ثلاثة رهط لأن اسم جماعة ولو كان اسماً واحداً لم تجز إضافة الثلاثة اليه كما لا يجوز ان تقول ثلاثة رجل ، وثلاثة فلس ، قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾^(٢)، على التذكير وإن كان جماعة فإن لفظة مذكر مفرد ، فيقال: تسعة على اللفظ^(٣).

٨. نفر:

النون والفاء والراء اصل صحيح يدل على تجافي وتباعد من ذلك: ففي الدابة وغيره نفاراً ، وذلك تجافيه وتباعده عن مكانه ومفره ، والنفر: ايضاً من قياس الباب لأنهم ينفرون للنصرة ، والنفير: النفر وكذا النفر والنفرة كل ذلك قياس واحد^(٤).

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: لأبن فارس: ٤٥٠/٢.

(٢) سورة النمل: ٤٨

(٣) ينظر: الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري: ص ٢٨٠-٢٨١.

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: لأبن فارس: ٤٥٩/٥.

وقيل: نفر الجماعة نحو العشرة من الرجال خاصة ينفرون لقتال وما اشبهه ،
ومنه قوله تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقَلْتُمْ إِلَى
الْأَرْضِ ﴾^(١).

ثم كثر ذلك حتى سمو نفراً وان لم ينفروا^(٢).

٩. أمة:

أم: الهمزة والميم أصل واحد يتفرع منه اربعة ابواب وهي ((الاصل)) ،
والمرجع ، والجماعة ، والدين.

وقد تكون الامة بمعنى جماعة ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ
عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ ... ﴾^(٣) ويقصد بها جماعة من الناس.

ومن قوله تعالى: ﴿ وَلَتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ... ﴾^(٤)، ويقصد بها جماعة
العلماء من الناس^(٥).

١٠. ثبة:

الثاء والباء والتاء كلمة واحدة ، وهو دوام الشيء.

(١) سورة التوبة: ٣٨

(٢) ينظر: الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري: ص ٢٨٠ - ٢٨١.

(٣) سورة القصص: ٢٣

(٤) سورة آل عمران: ١٠٤

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة: لأبن فارس: ٢٧/١ - ٢٨.

يقال: ثبت ثبات وثبوتاً ، ورجل ثبت وتثبيتاً^(١). وقيل: الثبة: الجماعة المجتمعة على امر واحد يمدحون به ، واصلها ثبتت الرجل تثبيرة إذا اثبتت عليه في حياته ، قال تعالى: ﴿ فَأَنْفِرُوا ثُبَاتٍ ﴾^(٢)، وذلك لأجتماعهم على الاسلام ونصرة الدين^(٣).

١١. شِيعَة:

شيع: الشين والياء والعين اعلان يدل احدهما على معاضدة ومساعدة ، والآخر على بث وإشارة.

فالاول: شيع فلان فلان عند شخوصه ، ويقال آتيتك غداً او شيعة ، أي: اليوم الذي بعده.

والشيعة: الاعوان والانصار^(٤) ومنه قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَعِذْ بِالَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ ﴾^(٥)

١٢. فرقة:

فرق: الفاء والراء والقاف اصل صحيح يدل على تمييز وتزييل (تفريق) بين شيئين.

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: لأبن فارس: ٣٦٥/١.

(٢) سورة النساء: ٧١

(٣) ينظر: الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري: ص ٢٧٩.

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: لأبن فارس: ٣ / ٢٣٥.

(٥) سورة القصص: ١٥.

والفرق: القطيع من الغنم ، والفرق: الفلق من الشيء اذا انفلق^(١).

وقيل: الفريق: الجماعة الثانية من جماعة اكثر منها ، تقول: جاءني فريق من القوم ، وفريق الخيل ما يفارق مهجورها في الحلبة فيخرج منها^(٢).

١٣ . شَرْدَمَةٌ:

وهو القليل من الناس ، فالذال زائده وهي من شذرت الشيء ، اذا فرقته فكانها طائفة أتمزقت وأنحازت عن الجماعة الكثيرة^(٣).

وقيل: هي البقية من البقية ، القطعة فيهم ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ

﴿ ٥٤ ﴾^(٤) ، أي: قطعة وبقية لأن فرعون اضل منهم كثيراً فبقيت منهم شردمة ، أي: قطعة^(٥).

١٤ . جِبَلَةٌ:

جبل: الجيم والباء واللام اصل يطرده ويقاس وهو تجمع الشيء من ارتفاع.

والجبل: الجماعة العظيمة الكثيرة ، والجبلية: الخليفة ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ

مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا ﴿ ٦ ﴾ ، و ﴿ جِبَلًا ﴾ ايضاً^(٧).

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: لأبن فارس: مجلد ٤ ص ٤٩٣-٤٩٤.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري: ص ٢٧٨-٢٧٩.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: لأبي فارس: ٣ / ٢١٢.

(٤) سورة الشعراء: ٥٤

(٥) ينظر: الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري: ص ٢٧٨-٢٧٩.

(٦) سورة يس: ٦٢

(٧) القراءة الاولى قراءة نافع وعاصم وابي جعفر ، وقرأ ابن كثير وحزمة والكسائي وخلق ((جبلاً)) وضممتين وتحقيق اللام ((جِبْلًا)) .

وقيل: إن الجبل اسم يقع على الجماعات المجتمعة من الناس حتى يكون لهم معظم وسواد ، وذلك أن اصل الكلمة الغلظ والعظم. ومنه قيل: الجبل لغلظه وعظمة ، ورجل جبل وأمرأة جبل غليظة الخلق.

ومن قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّ الْأُولِينَ﴾ (١) وقول النبي ﷺ: (جُبلت القلوب على حُب من احسن اليها) (٢).

١٥. الملاء:

ذكر ابو هلال العسكري^(٣) في كتابه الفروق اللغوية (أن الملاء : هم الاشراف الذين يملؤون العيون جمالاً والقلوب هيبية ، وقال بعضهم: الملاء الجماعة من الرجال ومن النساء ، والاول الصحيح وهو ملأت.

ويجوز ان يكون الملاء الجماعة الذين يقومون بالامور من قولهم وهو مليء بالأمر إذا كان قادراً عليه ، والمعنيان يرجحان الى اصل واحد وهو: الملاء (٤).

(١) سورة الشعراء: ١٨٤

(٢) اورده السيوطي في الدرر المنتثره برقم (١٧٥) ، اخرجه البيهقي في الشعب عن ابن مسعود مرفوعاً وموقوفاً ، قال: وهو المحفوظ ، وقال: ابن عدي: وهو المعروف.

(٣) هو: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ولد سنة (٩٢٠م) (٩٢٠م) وتوفي سنة (١٠٠٥م) ، وابو هلال الشاعر الناثر الاديب الفقيه ، وصفه عارفوه بالعلم والفقه معاً وكان الغالب عليه الادب والشعر.

وذكروا ان كان ابن اخت (ابي احمد العسكري) وان تتلمذ عليه ووافق اسمه اسم شيخه واسم ابيه وهو عسكري ايضاً وكلاهما ينتمي الى عسكر مُكرم من كور الاهواز.

(٤) ينظر: الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري: ص ٢٨٠.

المطلب الثاني: مساحة مادة (طائفة) في القرآن الكريم

آيات الطائفة:

١. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنفُسُهُمْ

وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ (١)

٢. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَجَهَ النَّهَارِ وَآكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ (٢)

٣. قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغَشِّي طَائِفَةً مِّنكُمْ

وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ

هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يَخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ

لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ

الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ

وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ (٣)

(١) سورة آل عمران: ٦٩

(٢) سورة آل عمران: ٧٢

(٣) سورة آل عمران: ١٥٤

٤. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (١)

٥. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (٢)

٦. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (٣)

(١) سورة النساء: ٨١

(٢) سورة النساء: ١٠٢

(٣) سورة النساء: ١١٣

٧. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، وَطَائِفَةٌ

لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ (١)

٨. قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَن طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ

نُعَذِّب طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ (٢)

٩. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَعَذُّوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن

نَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنُفَعِّلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ

الْحَافِظِينَ ﴿٨٣﴾ (٣)

١٠. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ

مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَنْفِقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ

يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ (٤)

(١) سورة الأعراف: ٨٧

(٢) سورة التوبة: ٦٦

(٣) سورة التوبة: ٨٣

(٤) سورة التوبة: ١٢٢

١١. قَالَ تَعَالَى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي

دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ

(١) ﴿٢﴾

١٢. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً

مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ (٢)

١٣. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ

فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ (٣)

١٤. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُوبًا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ

أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا نَت طَّائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ

طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾ (٤)

١٥. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي الثَّلَاثِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثُهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ

مَعَكَ وَاللَّهُ يَقْدِرُ الثَّلَاثَ وَالنَّهَارَ عِلْمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ

عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ

وَءَاخَرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا

(١) سورة النور: ٢

(٢) سورة القصص: ٤

(٣) سورة الأحزاب: ١٣

(٤) سورة الصف: ١٤

اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ (١)

١٦. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ (٢)

١٧. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِإِنْ طَّائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ
إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا
بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ (٣)

آيات الفئة:

١. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ
فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ
فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا
طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ

(١) سورة المزمل: ٢٠

(٢) سورة آل عمران: ١٢٢

(٣) سورة الحجرات: ٩

كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ

(١) ﴿٢٤٩﴾

٢. قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ

إِن فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ (٢)

٣. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرَهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِّقِنَالٍ أَوْ مَتَحَرِّفًا إِلَى فِئَةٍ

فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيَتْسَى الْأَمِيرُ ﴿١٦﴾ (٣)

٤. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ

كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ (٤)

٥. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُمْ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ﴿٤٣﴾ (٥)

٦. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَنَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ

اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ (٦)

(١) سورة البقرة: ٢٤٩

(٢) سورة آل عمران: ١٣

(٣) سورة الأنفال: ١٦

(٤) سورة الأنفال: ٤٥

(٥) سورة الكهف: ٤٣

(٦) سورة القصص: ٨١

٧. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكَّهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَلَّا تَرِيدُونَ أَنْ

تَهْتَدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ (١)

٨. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ

مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي

بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ

﴿٤٨﴾ (٢)

٩. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ

وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ

﴿١٩﴾ (٣)

آيات الزمر والنفر والشييع والحزب:

١. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ

أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ

(١) سورة النساء: ٨٨

(٢) سورة الأنفال: ٤٨

(٣) سورة الأنفال: ١٩

وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى
الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ (١)

٢. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا
وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ
﴿٧٣﴾ (٢)

٣. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ
طَائِفَةٌ لِيَنْفِقَهُوا فِي الدِّينِ وَيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ
﴿١٢٢﴾ (٣)

٤. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾﴾ (٤)

٥. قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًّا ﴿٦٩﴾﴾ (٥)

٦. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ (٦)

(١) سورة الزمر: ٧١

(٢) سورة الزمر: ٧٣

(٣) سورة التوبة: ١٢٢

(٤) سورة الحجر: ١٠

(٥) سورة مريم: ٦٩

(٦) سورة المائدة: ٥٦

٧. قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ (١٢) (١)
٨. قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (٥٣) (٢)
٩. قَالَ تَعَالَى: ﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (٣٢) (٣)
١٠. قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٦) (٤)
١١. قَالَ تَعَالَى: ﴿ اسْتَحْوِذْ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١٩) (٥)
١٢. قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

(١) سورة الكهف: ١٢

(٢) سورة المؤمنون: ٥٣

(٣) سورة الروم: ٣٢

(٤) سورة فاطر: ٦

(٥) سورة المجادلة: ١٩

تَحِبُّهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ
حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ (١)

آيات الاحزاب والنفر:

١. قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ
مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ
مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مَرِيضَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿ ١٧ ﴾ (٢)

٢. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ
يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ
﴿ ٣٦ ﴾ (٣)

٣. قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ
بَادُوتَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا
قَلِيلًا ﴿ ٢٠ ﴾ (٤)

(١) سورة المجادلة: ٢٢

(٢) سورة هود: ١٧

(٣) سورة الرعد: ٣٦

(٤) سورة الأحزاب: ٢٠

٤. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ. وَصَدَقَ اللَّهُ

وَرَسُولُهُ. وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ (١)

٥. قَالَ تَعَالَى: ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾ (٢)

٦. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمُودٌ وَقَوْمٌ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾﴾ (٣)

٧. قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ

أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَيَجِدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ

عِقَابِ ﴿٥﴾﴾ (٤)

٨. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ

﴿٣٠﴾﴾ (٥)

٩. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ

أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ (٦)

(١) سورة الأحزاب: ٢٢

(٢) سورة ص: ١١

(٣) سورة ص: ١٣

(٤) سورة غافر: ٥

(٥) سورة غافر: ٣٠

(٦) سورة الزخرف: ٦٥

١٠. قَالَ تَعَالَى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١)
١١. قَالَ تَعَالَى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢)
١٢. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (٣)
١٣. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ لَهُ نَمْرُوقًا لِيَصْحَبَهُ وَهُوَ يَمْحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ (٤)
١٤. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ (٥)
١٥. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ (٦)

(١) سورة الواقعة: ١٣

(٢) سورة الواقعة: ٣٩

(٣) سورة الواقعة: ٤٠

(٤) سورة الكهف: ٣٤

(٥) سورة الأحقاف: ٢٩

(٦) سورة الجن: ١

آيات العصبية:

١. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْنَمَا نَتَّخِذُ عَصَبَةً إِنَّ أَبَانَا لَنَعَى

ضَلَّالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ (١)

٢. قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّبْتُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذَا لَخِيسِرُونَ

﴿١٤﴾ (٢)

٣. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شِرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ

لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ

﴿١١﴾ (٣)

٤. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُم مِّنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ

مَفَاتِحَهُ لَشَنُوءًا بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ

﴿٧٦﴾ (٤)

(١) سورة يوسف: ٨

(٢) سورة يوسف: ١٤

(٣) سورة النور: ١١

(٤) سورة القصص: ٧٦

آيات فوج:

١. قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَضِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَأَ بِهِمْ إِلَيْهِمْ صَالُوا النَّارِ ﴾ (١)

٢. قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ

﴾ (٢)

٣. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَوْمَ نَخْشُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ

﴾ (٣)

(١) سورة ص: ٥٩

(٢) سورة الملك: ٨

(٣) سورة النمل: ٨٣

الفصل الاول

الطائفة المؤمنة من المسلمين وفيه مبحثان:

المبحث الاول: فقه الطائفة المؤمنة وعبادتها وفيه تمهيد
واربعة مطالب:

المطلب الاول: فقه الطائفة المؤمنة

المطلب الثاني: عبادة الطائفة المؤمنة

المطلب الثالث: شهادة الطائفة المؤمنة في اقامة الحد

المطلب الرابع: القتال بين الطائفتين المؤمنين

المبحث الثاني: تربية الطائفة المؤمنة على الجهاد في
سبيل الله وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

المطلب الاول: علاج الطائفة المؤمنة من الخوف

المطلب الثاني: توجيه الطائفة المؤمنة في القتال

المطلب الثالث: رعاية الله للطائفة المجاهدة

المبحث الاول: فقه الطائفة المؤمنة وعبادتها:

لما كانت الطائفة المؤمنة هي اشرف الطوائف التي اشار اليها القرآن الكريم في العديد من آياته ، ولما كانت الطائفة المسلمة في عهد رسول الله ﷺ من تلك الطوائف ، وقد اشار سبحانه وتعالى الى فقهها وما كانت عليه هذه الطائفة من عبادة وجهاد وبيان لعدالتها ، فإننا نجد في آيات الطائفة المؤمنة أن الله عز وجل ورسوله ﷺ قد اختارها لتشهد على اقامة حدود الله في خلقه وتولى علاجها عندما تكون فائقة كما تولى توجيهها في قتال طوائف الكفر كل ذلك وما يتعلق به من أمور سأتناول بحثه وفق المطالب الآتية:-

المطلب الاول: فقه الطائفة المؤمنة

المطلب الثاني: عبادة الطائفة المؤمنة

المطلب الثالث: شهادة الطائفة المؤمنة في اقامة الحد

المطلب الرابع: القتال بين الطائفتين المؤمنتين

المطلب الاول: فقه الطائفة المؤمنة

الفقه في اللغة: - هو مطلق الفهم سواء كان غرضاً للمتكلم أم لغيره ، وهذا الذي عليه أئمة اللغة ، واستدلوا له بما ورد في القرآن الكريم مثل قوله تعالى:

﴿ قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (١) (٢).

وقوله (عليه الصلاة والسلام): ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)) (٣).

وقيل: الفقه في اللغة: هو فهم الاشياء الدقيقة ، فلا يقال: فقحت ان السماء فوقنا والارض تحتنا وهذا مردود بما قاله أئمة اللغة (٤).

ويقال فقه بكسر القاف: أي: فهم ، وفقه بالضم: أي صار الفقه له سجية وملكة ، وفقه بالفتح: أي: سبق غيره الى الفهم (٥).

الفقه في الاصطلاح: - هو استنباط الاحكام الجزئية العملية من الشريعة من ادلتها التفصيلية وتطبيقها على الوقائع (٦).

(١) سورة النساء: ٧٨

(٢) ينظر: لسان العرب: لأبن منظور: ٥٢٢/١١

(٣) البخاري: كتاب العلم ، باب من يرد الله به خير يفقهه في الدين ١ / ٣٠ رقم ٧١.

(٤) اصول الفقه: لأبي النور زهير: ٦ / ١

(٥) ينظر: اصول الفقه الاسلامي: د. حسن الاهدل ، ص ١٥.

(٦) ينظر: كتاب التعريف بعلم اصول الفقه والفتوة: د. محمد سعاد جلال ص ١٢٩.

وهي في اصطلاح الفقهاء والاصوليين: العلم بالاحكام الشرعية العملية من ادلتها التفصيلية^(١) او هو: العلم بالاحكام الشرعية الفرعية العملية المستنبطة من ادلتها التفصيلية^(٢).

والمتمائل لآيات القرآن الكريم يجد أن سبحانه وتعالى قد أمر بالتفقه في الدين ، وما زال الفقه الاسلامي بمذاهبه المتعددة مواكبا لحياة المسلمين في جميع شؤونهم، الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والمعيشية ، فالفقه هو معرفة الاحكام الشرعية التي تحكم اعمال المكلفين الظاهرة والباطنة ، من الواجبات والمحرمات والمندوبات والمكروهات والمباحات ، ومعرفة احكام العبادات والمعاملات.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾^(٣)

ففي هذه الآية الكريمة بيان لمراده سبحانه وتعالى من نفي الأحياء كلها، وشرذمة من كل قبيلة إن لم يخرجوا كلهم، ليتفقه الخارجون مع الرسول ﷺ بما ينزل من الوحي عليه، وينذر قومهم إذا رجعوا إليهم بما كان من أمر العدو فيجتمع لهم الأمران في هذا:-

النفي المعين وبعده، صلوات الله وسلامه عليه ، تكون الطائفة النافرة من الحي إما للتفقه وإما للجهاد؛ فإنه فرض كفاية على الأحياء^(٤).

(١) ينظر: المفردات: للراغب الاصبهاني: ص ٣٨٤.

(٢) ينظر: شرح الكوكب المنير: للفتوح، ص ١١.

(٣) سورة التوبة: ١٢٢.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ٤/٢٣٦.

وهذه الآية الكريمة تبين شرف العلم حيث جعل غاية الملازمة ﷺ للجهاد... كما هو ظاهر من مناسبة هذه الآية الكريمة وعلاقتها لما قبلها وما بعدها من الآيات.

فالآية تقع ضمن سلسلة من الآيات فيها تهديد لمن كان له مظنة أن يتخلف عن رسول الله ﷺ وعن يقوم مقامه، فيتمكن حينئذ الأعداء من الاموال والعيال، جاءت الآية لتقول :-

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١) أَي : الذين حثهم على النفر الرسوخ في الإيمان قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَنْفِرُوا كَأَفَّةٍ﴾. أَي : جميعاً فإن ذلك تقصير لكثير من الاغراض الصالحة وهو تعليم ما هو الأنسب بالدين والدنيا من انقسام الناس قسمين:

قسماً للجهاد ، وقسماً للتفقه وحفظ الاموال والاولاد، كل ذلك بأمره عليه الصلاة والسلام والعمل بما يرضاه^(٢).

ومما يتفق مع ما تقدم ما جاء في سبب نزول هذه الآية فعن ابن عباس "رضي الله عنهما" :

لما انزل الله تعالى عيوب المنافقين لتخلفهم عن الجهاد قال المؤمنون:- والله لا نتخلف عن غزوة يغزوها رسول الله ﷺ ولا سرية ابدأ، فلما امر رسول الله ﷺ

(١) سورة التوبة: ١٢٢.

(٢) ينظر: نظم والدرر: للبقاعي: ٣١/٤.

بالسرايا الى العدو ، نفر المسلمون جميعاً وتركوا رسول الله ﷺ وحده بالمدينة فانزل الله تعالى هذه الآية^(١).

وجاء في تفسير هذه الآية (أن النفر للغزو واجب على الكفاية أي على طائفة كافية لتحصيل المقصد الشرعي منه. وان تركه متعين على طائفة كافية منهم لتحصيل المقصد الشرعي مما أمروا بالاشتغال به من العلم في وقت اشتغال الطائفة الاخرى بالغزو.

وهذا تقيد للإطلاق الذي في فعل في (إنفروا) ، ولذلك كانت هذه الآية اصلاً في وجوب طلب العلم على طائفة عظيمة من المسلمين وجوباً على الكفاية ، أي على المقدار الكافي لتحصيل المقصد من ذلك الايجاب.

واشعر نفي وجوب النفر على جميع المسلمين وإثبات ايجابية على طائفة من كل فرقة منهم بأن الذين يجب عليهم النفر ليسوا بأواخر عدداً من الذين يبقون للتفقة والانداز.

وأن النفير الى الجهاد يكون بمقدار ما يقتضيه حال العدو المغزوّ وان الذين يبقون للتفقة يبقون بأكثر ما يستطاع ، وان ذلك سواء.

ولا ينبغي الاعتماد وعلى ما يخالف هذا النفير من الاقوال في معنى الآية وموقعها من الآية السالفه.

ولولا: حرف تحضيض

(١) ينظر: اسباب النزول للواحدي: ص٢٠٣ ، النكت والعيون للماوردي ١٥١/٢.

والفرقة: الجماعة من الناس الذين تفرقوا على غيرهم في المواطن فالقبيلة فرقة ، واهل البلاد الواحدة فرقة.

والطائفة: الجماعة ، ولا تتقيد بعدد.

وتتكير طائفة مؤذن بأن نفر للنفق في الدين وما يترتب عليه من الانذار واجب على الكفاية. وتعين مقدار الطائفة وضبط حد النفقة موكول الى ولادة امور الفرق ، فتتبع الطائفة بتعيينهم فهم ادرى ما تتطلبه المصلح المنوط بها وجوب الكفاية^(١).

واخرج الامام الطبري عن بعض السلف قال: هو نفر كان من قوم كانوا بالبادية، بعثهم رسول الله ﷺ يعلمون الناس الاسلام، فلما نزل قوله: (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله)، انصرفوا عن البادية إلى النبي ﷺ خشية أن يكونوا ممن تخلف عنه، وممن عني بالآية، فأنزل الله في ذلك عذرهم بقوله: ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً﴾، وكره انصراف جميعهم من البادية الى المدينة^(٢).

وفي معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً﴾^(٣) وجهان:-

الأول: وما كان عليهم أن ينفروا جميعاً لأن فرضه صار على الكفاية وهذا ناسخ

لقوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾. قاله ابن عباس " رضي الله عنه "

(١) ينظر: التحرير والتنوير: لأبن عاشور: ٦٠/١١-٦١.

(٢) ينظر: جامع البيان: للطبري: ٥٦٩/١٤.

(٣) سورة التوبة: ١٢٢

والثاني: معناه وما كان للمؤمنين إذا بعث رسول ﷺ سرية أن يخرجوا جميعاً فيها ويتركوا رسول الله ﷺ وحده بالمدينة حتى يقيم معه بعضهم^(١).

والمأمل في مجمل هذه الآية والتي قبلها وما بعدها من الآيات يجد أنها تبرئة أهل المدينة والذين حولهم من التخلف عن رسول الله ﷺ. فلا جرم كانت قوة الكلام مؤذنة بوجوب تمحض المسلمين للغزو. وإذ قد كان من مقاصد الإسلام بث علومه وآدابه بين الأمة وتكوين جماعات قائمة بعلم الدين وتنقيف أذهان المسلمين كي تصلح سياسة الأمة على ما قصده الدين منها، من أجل ذلك عقب التحريض على الجهاد بما يبين أن ليس من المصلحه تخصص المسلمين كلهم لأن يكونوا غزاة أو جنداً، وأن ليس حظ القائم بواجب التعليم دون حظ الغازي في سبيل الله من حيث إن كليهما يقوم بعمل لتأييد الدين، فهذا يؤيده بتوسع سلطانه وتكثير أتباعه، والآخر يؤيده بتثبيت ذلك السلطان وإعداده لأن يصدر عنه ما يضمن إنتظام أمره وطول دوامه، فإن إتساع الفتوح ومسألة الامة لا يكفيان لاستبقاء سلطانهما إذا هي خلت من جماعة صالحه من العلماء والساسة وأولي الرأي : المهتمين بتدبير ذلك السلطان، ولذلك لم يثبت ملك الممتونيين^(٢) في الأندلس إلا

(١) ينظر: النكت والعيون. للموردي: ١٥١/٢.

(٢) هي : دولة قوية ، مجيدة ، أبية ، رفعت راية الإصلاح والجهاد في القرن الخامس الهجري وأعادة هيبة الإسلام إليه في شمال أفريقيا ، وأمتدت حدودها من طليطلة من الأندلس شمالاً الى غانا وبلاد السودان جنوباً ، ويكشف تاريخها على مآثر حميدة وأنجازات ضخمة تملأ الصفحات الطوال بأحرف من نور انها دولة المرابطين اللمتونيين نسبة الى لمتونة إحدى قبائل صنهاجة . ينظر : تاريخ ابن خلدون : ص ١٩٨ .

قليلاً حتى تقلص، ولم تثبت دولة التتار إلا بعد أن امتزجوا بعلماء المدن التي فتحوها ووكلوا أمر الدولة إليهم^(١).

ومن محاسن هذا البيان أن قابل صيغة التحريض على الغزو بمثلها في التحريض على العلم إذ افتتحت صيغة التحريض على الغزو بلام الجحود قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾^(٢)

وافتتحت صيغة التحريض على العلم والتفقه بمثل ذلك إذ يقول: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾^(٣)

وقد ذكر الامام البغوي^(٤) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾ انه لما انزل الله تعالى هذه الآية بين فيها عيوب المنافقين في غزوة تبوك حيث كان النبي ﷺ يبعث سرايا فكان المسلمون ينفرون جميعاً الى الغزو ويتركون النبي ﷺ وحده فانزل الله عز وجل هذه الآية.

(١) ينظر: التحرير والتنوير. لابن عاشور: ٤٠٤/٦.

(٢) سورة التوبة: ١٢٠.

(٣) سورة التوبة: ١٢٢.

(٤) هو: الامام ابو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفداء البغوي وقد دعي البغوي نسبة الى بلدة خراسان وكانت ولادته سنة (٤٣٣هـ). ويعد البغوي اماماً من ائمة اهل السنة والجماعة، وكان اماماً في التفسير واماماً في الحديث واماماً في الفقه وكان جليلاً ورعاً متقهماً وكانت وفاته رحمه الله سنة (٥١٠هـ). ينظر: سير اعلام النبلاء/الذهبي/٤٣٩/١٩، طبقات المفسرين/لداودي/ص ١٦١-١٦٢.

قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ﴾ اي: فهلا خرج الى الغزو من كل قبيلة جماعة (ويبقى مع رسول الله ﷺ جماعه) ﴿ لِيَسْفَقَهُوا فِي الدِّينِ ﴾، يعني الفرقة القاعدين يتعلمون القران والسنن والفرائض والاحكام فاذا رجعت سرايا اخبروهم بما انزل بعدهم، فتمكث السرايا يتعلمون ما نزل بعدهم وتبعث سرايا اخرى.

فقوله تعالى: ﴿ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ ﴾ (١) أي : ان هذا التفقه والانذار راجع الى الفرقة النافرة ومعناه: هلا نفر فرقة ليتفهموا اي: ليتبصروا بما يريهم الله من الظهور على المشركين ونصرة الدين، ولينذروا قومهم من الكفار اذا رجعوا اليهم (٢).

قال ابن عباس (رضي الله عنه) في الاية المتقدمة لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾ ان هذه الاية ثابتة الحكم مع خروج رسول الله ﷺ الى الغزو ، وهذه ثابتة الحكم اذا لم يخرج اي: يجب اذا لم يخرج الا ينفر الناس كافة فيبقى هو مفرداً وانما ينبغي ان ينفر طائفة وتبقى طائفة لتتفقه هذه الطائفة في الدين وتتنذر النافرين اذا رجعوا اليهم.

وقد تكون هذه الاية ناسخة لكل ماورد من التزام الناس كافة بالنفير والقتال، فعلى هذا وعلى قول ابن عباس (رضي الله عنه) يكون الضمير ﴿ فِي ﴾

(١) سورة التوبة: ١٢٢

(٢) ينظر: تفسير مدارك التنزيل/ للبغوي: ١١١/٤.

﴿لَيَنْفَقَهُنَّ﴾ عائذ للطائفة المقيمة مع النبي ﷺ فعليه يكون كلا النفيرين هو في سبيل الله واحياء دينه، هذا بالعلم وهذا بالقتال^(١).

وروى الكلبي^(٢) عن ابن عباس (رضي الله عنهما) انه كما شدد على المتخلفين قالوا: لا يتخلف من أحد عن جيش أو سريه ابدأ ففعلوا ذلك وبقى رسول الله ﷺ وحده فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً﴾ والمراد نهيمهم من النفير جميعاً لما فيه من الاخلال بالتعلم.

فلولا هنا تحضيضيه وهي مع الماضي تفيد التويخ على ترك الفعل ومع المضارع تفيد طلبه والامر به، لكن اللوم على الترك فيما يمكن تلافيه قد يفيد الامر به في المستقبل اي: فهلا نفر.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ﴾^(٣) أي : جماعة كثيرة ﴿مِنْهُمْ﴾ كأهل بلدة أو قبيلة عظيمة.

﴿طَائِفَةٌ﴾ أي : جماعة قليلة.

(١) ينظر: تفسير البحر المحيط/ ابو حيان الاندلسي: ١١٦/٥.

(٢) هو : هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن عمر الكلبي ت(٢٠٤هـ) مؤرخ وعالم انساب واخبار العرب وایامها يعتبره البعض المرجع الاوثق في علم الانساب يعتقد بعض اهل السنه في الاخذ من ابن الكلبي في الانساب لا مانع منه. اما في الامور الاخرى فيترك. ينظر: موسوعة علماء العرب/ عبد السلام السعيد/ الطبعة الاولى/ سنة ٢٠٠٥م، سير اعلام النبلاء/ للذهبي/ ٦/ ٢٤٨، لسان الميزان: ١٩٦/٦.

(٣) سورة التوبة: ١٢٢

وحمل الفرقة والطائفة على ذلك مأخوذةً من السياق، ومن (التبعية) لان البعض في الغالب اقل من الباقي، وقد ذكر بعضهم ان الطائفة قد تقع على الواحد وذكر البعض الاخر انها لا تقع وان اصلها اثنان وقيل ثلاثة وقوله: ﴿لِيَنْفَقَهُوا فِي الدِّينِ﴾ اي: ليتكفوا الفقاهه فيه، وصيغة التفعّل للتكلف.

قال حجة الاسلام الامام الغزالي "عليه الرحمة"^(١): كان اسم الفقه في العصر الاول اسماً لعلم الآخرة ومعرفة آفات النفوس ومفسدات النفوس ومفسدات الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب هذا ما دلت عليه الآية في قوله تعالى: ﴿لِيَنْفَقَهُوا فِي الدِّينِ﴾.

فما به الانذار والتخويف هو الفقه^(٢).

وذكر الفخر الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا

كَأَفَّةً فَلَوْلَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾^(٣)

(١) هو: الامام ابو حامد محمد بن محمد بن احمد الغزالي الطوسي النيسابوري الفقيه الصوفي الشافعي الاشعري الملقب بحجة الاسلام ت(٥٠٥هـ) مجدد القرن الخامس الهجري وهو أحد اعلام عصره واشهر علماء الدين في التاريخ الاسلامي. الف الكثير من الكتب في العقيدة وعلم الكلام والفلسفة والمنطق والفقه ت(٥٠٥هـ). ينظر: طبقات الشافعية: أبي نصر السبكي ٢٠٩/٦، ٣٠٤/٥، البداية والنهاية ١٣٧/١٢.

(٢) ينظر: تفسير روح المعاني: ٤٨/١١ .

(٣) سورة التوبة: ١٢٢

مسائل:

المسألة الأولى: اعلم انه يمكن ان يقال: هذه الآية من بقية احكام الجهاد ، ويمكن ان يقال: انها كلام مبتدأ لا تعلق لها بالجهاد.

فلاحتمال الاول:

نقل عن ابن عباس (رضي الله عنه) انه عليه السلام كان اذا خرج الى الغزو لم يتخلف عنه منافق أو صاحب عذر. فلما بلغ الله سبحانه وتعالى في عيوب المنافقين في غزوة تبوك قال المؤمنون: والله لا نتخلف عن شيء من الغزوات مع الرسول ﷺ ولا عن سرية. فلما قدم الرسول ﷺ المدينة وارسل السرايا الى الكفار نفر المسلمون جميعاً الى الغزو وتركوه وحده بالمدينة فنزلت هذه الآية.

والمعنى: انه لا يجوز للمؤمنين ان ينفروا بكليتهم الى الغزو والجهاد، بل يجب ان يصيروا طائفتين، تبقى طائفة في خلافة رسول الله ﷺ وتنفر طائفة اخرى الى الغزو، وذلك لان الاسلام في ذلك الوقت كان محتاجاً الى الغزو والجهاد وقهر الكفار ، وايضاً التكاليف تحدت والشرائع تنزل، وكان للمسلمين حاجة الى من يكون مقيماً بحضرة الرسول ﷺ فيتعلم تلك الشرائع ويبلغها الى الغائبين.

فثبت ان في ذلك الوقت كان الواجب انقسام اصحاب رسول الله ﷺ الى قسمين ، احد القسمين ينفرون الى الغزو والجهاد ، والثاني يكونون مقيمين بحضرة الرسول ﷺ ، فالطائفة النافرة الى الغزو يكونون نائبين عن النافرين في التفقه.

وبهذ الطريق يتم امر الدين بهاتين الطائفتين إذا عرفت هذا فتقول على هذا

القول احتمالان:-

أحدهما: ان تكون الطائفة المقيمة هم الذين يتفقهون في الدين بسبب أنهم لما لازموا الرسول ﷺ وشاهدوا الوحي والتنزيل ، فكلما نزل تكليف وحدث شرع عرفوه وضبطوه ، فإذا رجعت الطائفة النافرة من الغزو اليهم ، فالطائفة المقيمة يندرونهم ما تعلموه من التكاليف والشرائع ، وبهذا التقرير فلا بد في الآية من إضمار ، والتقدير: فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ، وأقامت طائفة ليتفقهه المقيمون في الدين وليندروا قومهم ، يعني النافرين الى الغزو واذا رجعوا اليهم لعلمهم يحذرون معاصي الله تعالى عند ذلك التعلم.

ثانيهما: هو ان يقال: التفقه صفة للطائفة النافرة ، ومعنى الآية فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة حتى تصير هذه الطائفة النافرة فقهاء في الدين ، وذلك التفقه المراد منه أنهم يشاهدون ظهور المسلمين على المشركين. حينئذ يعلمون ان ذلك بسبب ان الله تعالى خصهم بالنصرة والتأييد وأنه تعالى يريد اعلاه دين محمد ﷺ وتقوية شريعته.

الثالثهما: وهو ان يقال: هذه الآية ليست من بقايا احكام الجهاد ، بل هو حكم مستند مستقل بنفسه ، وتقديره ان يقال ان الله تعالى لما بين في هذه السورة امر الهجرة ، ثم امر الجهاد وهما عبادتان بالنفر ، بين ايضاً عبادة التفقه من جهة الرسول ﷺ ليتفقهوا في الدين بل ذلك غير واجب وغير جائز وليس حاله كحال الجهاد معه الذي يجب ان يخرج فيه كل من لا عذر له.

لذلك على هذا التقدير يكون المراد وجوب الخروج للتفقه والتعلم الى حضرة الرسول ﷺ فإن قيل: أفتدل الآية على وجوب الخروج للتفقه في كل زمان؟

قلنا: متى عجز التفقه الا بالسفر وجب عليه السفر ، وفي زمان الرسول ﷺ كان الامر كذلك ، لأن الشريعة ما كانت مستقرة ، اما في زماننا فقد صارت الشريعة مستقرة ، فإذا أمكن تحصيل العلم في الوطن لم يكن السفر واجباً.

المسألة الثانية: في تفسير الالفاظ المذكورة في هذه الاية ((ولولا)) إذا دخل على الفعل كان بمعنى التخصيص مثل: هلاً ، وانما جاز ان يكون لولا بمعنى هلا ، لأن هلا كلمتان هل وهو استفهام وعرض ، فهلا مركب من امرين: العرض ، الجحد.

فإذا قلت هلا فعلت كذا ، فكأنك قلت ، هل فعلت ، ثم قلت معه (لا) أي: ما فعلته.

المسألة الثالثة: هذه الاية لمن يرى ان خبر الواحد حجة ، والذي نقوله ههنا ان كل ثلاثة ، فرقة. وقد اوجب الله تعالى ان يخرج من كل فرقة طائفة ، والخارج من الثلاثة يكون اثنين او واحداً فوجب ان تكون الطائفة اما اثنين او واحداً ، وعليه يكون خبر الواحد والاثنين حجة في الشرع.

فعليه فإن هذه الاية لا تدل على وجوب العمل بخبر الواحد لان الطائفة قد تكون جماعة يقع بخبرها الحجة ، ولان قوله تعالى ﴿وَلْيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ وهذا الانذار يتضمن التخويف ، وهذا القدر لا يقتضي وجوب العمل به.

فإن قالوا: انه تعالى اوجب العمل يقول اولئك الطوائف ولعلمهم بلغوا في الكثرة الى يحصل العلم بقولهم.

قلنا: إنه تعالى اوجب على كل طائفة ان يرجعوا الى قومهم وذلك يقتضي رجوع كل طائفة الى قوم خاص ثم انه تعالى اوجب العمل بقول تلك الطائفة وذلك يفيد المطلوب^(١).

وجاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ...﴾^(٢) أي: لتتفر طائفة ، ولتمكث طائفة مع رسول الله ﷺ فالماكثون مع الرسول ﷺ هم الذين يتفقهون في الدين وينذروا إخوانهم ﴿إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) في قوله ﴿وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً﴾ ، يعني: ما كان المؤمنون لينفروا جميعاً ويتركوا النبي ﷺ وحده ، ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ يعني: عصابة ، يعني السرايا ، فلا يسيرون الا بإذنه ، فإذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قران تعلمه القاعدون من النبي ﷺ ، قالوا: ان الله قد انزل على نبيكم قرأناً وقد تعلمناه فتمكث السرايا يتعلمون ما انزل الله على نبيهم ﷺ بعدهم ، ويبعث سرايا آخر^(٣).

(١) ينظر: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: للرازي: ص ٢٣١، ٢٣٢ ، ٢٣٣.

(٢) سورة التوبة: ١٢٢

(٣) ينظر: تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي: ٧/ ٥٩٤-٥٩٥-

فذلك قوله: ﴿لِيَنْفَقَهُوا فِي الدِّينِ﴾ أي: يتعلمون ما انزل الله على نبيه ،
وليعلموه السرايا اذا رجعت اليهم لعلهم يحذرون^(١).

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) في قوله: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا
كَافَّةً...﴾^(٢)، قال: ليست هذه الآية من احكام الجهاد ، لكن لما دعا رسول
ﷺ على مُضَرَ بالسنيين ، اجدبت بلادهم فكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتى
يحلّوا بالمدينة من الجهد ويعتلوا الاسلام وهم كاذبون ، فضيقوا على اصحاب
رسول الله ﷺ واجهدوهم فأنزل الله تعالى يخبر رسوله ﷺ أنهم ليسوا بمؤمنين
فردهم الى عشائرهم فذلك قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(٣).

(١) ينظر: ابن جرير ١٢ / ٧٧ ، ٧٨ ، وابن ابي حاتم ٦ / ١٩٠٧ - ١٩٠٩ مفرقا والبيهقي
١ / ٢٤٤.

(٢) سورة التوبة: ١٢٢

(٣) ينظر: ابن جرير ١٢ / ٧٩ - ٨٠ ، وابن ابي حاتم ٦ / ١٩١٣.

المطلب الثاني: عبادة الطائفة المؤمنة.

والعبودية اظهر التذلل، والعبادة ابلغ منها لأنها غاية التذلل ولايستحقها الامن له غاية الافضال وهو الله تعالى^(١) ولهذا قال: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(٢)

وجاء في تعريف العبادة في المعاجم اللغوية:

عبادة: عبد: العين والياء والبدال اصلان صحيحان ، كأنهما متضادان ، و (الاول) من ذينك الاصلين يدل على لين وذل ، والاخر على شدة وغلظ.

فالاول العبد ، هو المملوك والجماعة العبيد ، وثلاثة اعبد وهم العباد واما عبد يعبد عبادة فلا يقال الا لمن يعبد الله تعالى. يقال منه عبد يعبد عبادة ، وتعبد يتعبد تعبدًا. فالمتعبد: المتفرد بالعبادة^(٣).

والعبادة ضربان: عبادة بالتسخير كما هو السجود للانسان والحيوان والنبات والجماد^(٤).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلًّا لَهُمْ بِالْعُدُورِ وَالْأَصَالِ﴾^(٥)

(١) ينظر: المفردات: للراغب ص: ٣٥٧.

(٢) سورة يوسف: ٤٠.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ١٦٤/٤.

(٤) ينظر: المفردات: للراغب ص: ٢٥١.

(٥) سورة الرعد: ١٥.

وقوله تعالى: ﴿يَنْفَعِيوُا ظِلَالَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ﴾^(١) فهذا سجود التسخير وهو الدلالة الناطقة الصامتة المنبهة على كونها مخلوقة وانها خلقُ فاعلٍ حكيم^(٢).

والضرب الثاني: عبادة الاختيار وهو لذوي النطق وهي المأمور بها^(٣) في قوله تعالى: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾^(٥)

والمتأمل في آيات القرآن الكريم يجد ان كثرة العبادة هي دأب الانبياء ومن الآيات التي تصف الطائفة المؤمنة بكثرة العبادة منها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^(٦)

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ﴾^(٧)، وقد جمع الله تعالى بين بين ذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾^(٨)

(١) سورة النحل: ٤٨.

(٢) ينظر: المفردات: للراغب ص: ٢٥٠.

(٣) ينظر: المفردات: للراغب ص: ٣٥٧.

(٤) سورة البقرة: ٢١.

(٥) سورة النساء: ٣٦.

(٦) سورة البقرة: ١٦٥.

(٧) سورة المعارج: ٢٧.

(٨) سورة الأنبياء: ٩٠.

وكمال هذه العبادة بكمال شبيئين فيها وهما كمال الحب مع كمال الذل ، وهو ان يحب ما يحبه الله تعالى وبيغض ما يبغضه ، فيمتثل او امره ويجتنب مناهيه ويوالي اوليائه ويعادي اعداءه^(١).

ولذا كان اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض فيه^(٢) ومن الايات التي جاء ذكرها في القرآن الكريم تصف عبادة الطائفة المؤمنة قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نُحْصِيَهُ فَنَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْهُ مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُمْ مَّرْضَىٰ وَءَاخِرُونَ يَضِرُّونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وءَاخِرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْهُ مَا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَقَرِّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا نُقِمْوهُمُ لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ مِّمَّا جَدُّوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾^(٣)

والمتمثل في آيات القرآن الكريم يجد ان كثرة العبادة هي دأب الانبياء من ذلك ما جاء في حق نبينا محمد ﷺ واصحابه الكرام قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾﴾^(٤) **الْبَلِّ إِلاَّ قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَبِّلِ الْقُرْآنِ نَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾** وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٤﴾ وقد جاء في سبب نزول هذه الايات ان الله

(١) ينظر: اعلام السنة المنشورة: للشيخ حافظ بن احمد حكمي: ص ١٦.

(٢) ينظر: اعلام السنة المنشورة: للشيخ حافظ بن احمد حكمي: ص ١٦.

(٣) سورة المزمل: ٢٠.

(٤) سورة المزمل: ١-٨.

الله سبحانه وتعالى لما انزلها على نبيه ﷺ: ﴿يَأَيُّهَا الْمَرْمَلُ﴾^(١) فمكث النبي ﷺ على هذه الحال عشر سنين يقوم الليل، كما امره.

وكانت طائفة من اصحابه يقومون معه، فأنزل الله عليه بعد عشر سنين: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾^(٢) الى قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(٣). فخفف الله تعالى عنهم بعد عشر سنين^(٤).

و اول ما نلاحظ على هذه الايات هو المراد بقوله تعالى: ﴿أَشَدُّ وَطْأًا﴾^(٥) فقد ذكر السلف لها خمسة تأويلات هي كما يلي:

١. مواطنة قلبك وسمعك وبصرك.

٢. مواطنة قولك لعملك.

٣. مواطنة عملك لفراغك، وهو محتمل.

٤. اشد نشاطاً؛ لانه زمان راحتك.

٥. اشد واثبت واحفظ للقراءة^(٦).

وقد جمع الامام الرازي بين بعض هذه الاقوال فقال:

(١) سورة المزمّل: ١

(٢) سورة المزمّل: ٢٠

(٣) سورة المزمّل: ٢٠

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير: ٢٥٥/٨.

(٥) سورة المزمّل: ٦.

(٦) ينظر: النكت والعيون: ٣٤٢/٤.

اما قوله تعالى: ﴿ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا ﴾^(١) أي : مواطنة وملائمة وموافقة، وهي مصدر يقال: واطئتُ فلاناً على كذا (مواطنة ووطئت) ومنه قوله تعالى: ﴿لِيُؤَاطِعُوا عِبَادَ اللَّهِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾^(٢)

أي : ليوافقوا، فأن فسرنا الناشئة بالساعات كان المعنى انها اشد موافقة كما يرويه من الخشوع والاخلاص، وان فسرناها النفس الناشئة كان المعنى شدة المواطنة بين القلب واللسان، وان فسرناها بقيام الليل كان المعنى ما يراد من الخشوع والاخلاص، وان فسرناها بما ذكرت كان المعنى ان إفضاء تلك المجاهدات الى حصول المكاشفات في الليل اشد منه في النهار، وعن بعض السلف: اشد مواضعة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق^(٣).

ولما كان التهجد يجمع القول والفعل، وبين ما في الفعل لانه اشق فكان بتقديم الترغيب بالمدحة احق، اتبعه القول فقال: ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾^(٤). اي: واعظم سداداً من جهة القبيل في فهمه ووقعه في القلوب وبحضور القلب ورياقة الليل بهدوء الاصوات وتجلي الرب سبحانه وتعالى بحصول البركات واخلص من الرياء والقصود الدنيات^(٥).

(١) سورة المزمل: ٦

(٢) سورة التوبة: ٣٧.

(٣) التفسير الكبير: ١١٠/١٦.

(٤) سورة المزمل: ٦

(٥) ينظر: نظم الدرر: ٩ / ٢٢٤.

وكما بين سبحانه من اول الايات الى هذه الاية ما به صلاح الدين والدنيا واطهرها للتهجد من الفضائل، فكان التقدير حتماً: فواظب عليه لتناول هذه الثمرات، قال: معللاً له مبيناً^(١): ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾^(٢)

فالذي يبدو ان موقع هذه الجملة موقع العلة لشيء مما في جملة: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾^(٣)، وذلك دائر بين معنيين:

الاول: بين ان يكون تعليلاً لاختيار الليل لغرض القيام عليه فيه، فيفيد تأكيداً المحافظة على قيام الليل لان النهار يفيد غناؤه فيتحصل من المعنى: ﴿قُرْ أَيْل﴾ لان قيامه اشد وقعاً وارسخ قولاً، لان النهار زمن فيه شغل عظيم لا يترك لك خلوه بنفسك. وشغل النبي ﷺ في النهار الدعوة الى الله وابلغ القرآن وتعليم الدين ومحاجة المشركين وافتقاد المؤمنين المستضعفين فعبر عن جميع ذلك بالسبح الطويل.

ومن الاسباب المسهلة لقيام الليل منها: ان لا يكثر الاكل، فيكثر الشرب؛ فيغلبه النوم ويتقل عليه القيام. ومنها: ان لا يترك القيلولة (فأنها سنة الاستعانة على قيام الليل)^(٤). ومنها: ان يعرف فضل قيام الليل بسماع الايات والاعبار حتى

(١) المصدر نفسه : ٩ / ٢٢٤.

(٢) سورة المزمل: ٧ .

(٣) سورة المزمل: ٦

(٤) حديث حسن اخرجهُ الطبراني في الاوسط (١/٣/١)، والخطيب في الموضح (٨/١/٢)

وفي تاريخ اصبهان (١/١٩٥).

يستحكم به رجاءوه وشوقه الى ثوابه، فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان.

ومنها- وهو اشرف البواعث: الحب لله وقوة الايمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف الا وهو مناج به ربه، وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وان تلك الخطرات من الله تعالى خطاباً معه، فأذا احب الله تعالى احب لا محالة الخلوه به، وتلذذ المناجاة، فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام: ولا ينبغي ان تستبعد هذه اللذة بأن يشهد لها العقل والنقل.

فاما العقل: فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله أو لملك بسبب إنعامه وامواله أنه كيف يتلذذ به في الخلوة ومناجاته حتى لا يأتيه النوم طول ليله فنقول ان الجميل يتلذذ بالنظر اليه وأعلم ان المحب يتلذذ بمجاورته المجرده دون النظر ودون الطمع في امر آخر سواه .

واما النقل فيشهد له احوال قوام الليل في تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له^(١).

الثاني: وبين أن يكون تلطفاً واعتذاراً عن تكلفيه قيام الليل، وفيه ارشاد إلى أن النهار ظرف واسع لإيقاع ما عسى أن يكلفه قيام الليل من فتور بالنهار لينام بعض النهار وليقوم بمهامه فيه. ويجوز أن يكون تعليلاً لما تضمنه قوله تعالى: ﴿أَوْ أَنْصُ مِنْهُ قَلِيلاً﴾^(٢)، أي: إن نقصت من نصف الليل شيئاً لا يفتك ثواب عمله، فإن

(١) ينظر موعظة المؤمنين من احياء علوم الدين للشيخ جمال الدين القاسم الدمشقي ص: ١٦٢.

(٢) سورة المزمل: ٣

لك في النهار متسعاً للقيام والتلاوة^(١) مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِيفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾^(٢)، وهكذا كان السلف يحرصون على عمارة الليل بأنواع العبادات، كما أمر نبيه الكريم ﷺ بالانقطاع الى العبادة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾^(٣)، اي: اكثر من ذكره، وانقطع اليه، وتفرغ لعبادته اذا فرغت من أشغالك، وما تحتاج اليه من أمور دنياك. وقال ابن عباس أي: أخلص له العبادة. أو كما قال سبحانه: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾^(٤)، اي: اذا فرغت من مهامك فانصب في طاعته وعبادته، لتكون فارغ البال^(٥).

وكما علمَ تفردهُ سبحانه كان الذي ينبغي لعباده أن لا يوجد أحد منهم شيئاً من رغبته لغيره فلذلك سببُ عند قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾^(٦)، اي: خذهُ بجميع جهدك وذلك بإفرادك إياه بكونه تعالى ﴿وَكَيلًا﴾ اي: على كل من خالفك بأن تفوض جميع امورك إليه فإنه يكفيها كلها^(٧).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٨٢/١٥.

(٢) سورة الفرقان: ٦٢

(٣) سورة المزمل: ٨

(٤) سورة الشرح: ٧

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير: ٢٥٥/٨.

(٦) سورة المزمل: ٩

(٧) ينظر: نظم الدرر: ٢٢٦/٩.

وكما أفردته بالعبادة فأفرده بالتوكل، كما قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾^(١)، وكقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٢)، وآيات كثيرة في هذا المعنى، فيها الأمر بإفراد العبادة والطاعة لله، وتخصيصه بالتوكل عليه^(٣).

ومن الآيات التي تدلُّ على فضيلة قيام الليل قوله تعالى: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ إِذْ أَمَّاءَ اللَّيْلِ﴾^(٥)، وقوله عز وجل: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾^(٦) وَإِلَّا سَحَارٍ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ^(٦)

ومن الاخبار قوله ﷺ: (إن من الليل ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلم سأل الله تعالى خيراً الا اعطاه اياه)^(٧)، وقوله صلوات الله عليه: (عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم)^(٨).

(١) سورة هود: ١٢٣

(٢) سورة الفاتحة: ٥

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير: ٢٥٥/٨.

(٤) سورة السجدة: ١٦

(٥) سورة الزمر: ٩

(٦) سورة الذاريات: ١٧-١٨.

(٧) حديث صحيح: رواه مسلم (صلاة المسافرين/ برقم ٧٥٧/١٦٦، ١٦٧)، واحمد (٣/٣٤٨).

(٨) حديث حسن: رواه الترمذي (٣٥٤٩)، والحاكم (٣٠٨/١) وصححه على شرط البخاري، البخاري، والطبراني في الكبير، (٣١٧/٦)، والبغوي في شرح السنة (٣٤/٤)، وابن خزيمة (١٣٥).

واما قيام رسول الله ﷺ فلم يكن على ترتيب واحد، بل ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه أو سدسه، يختلف ذلك في الليالي، ودل عليه قوله تعالى في الموضعين: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾^(١)، فأدنى من ثلثي الليل كأنه نصفه ونصف سدسه، فإن كُسِرَ قوله ﴿وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾^(٢) كان نصف الثلثين وثلثه، فيقرب من الثلث والرابع، وإن نُصِبَ: كان نصف الليل وثلثه، وقالت عائشة (رضي الله عنها): (كان ﷺ يقوم إذا سمع الصارخ)^(٣)، يعني: الديك وهذا يكون السدس فما دونه^(٤).

وقوله تعالى تذكرةً لنبيه ﷺ: إن ربك يا محمد يعلم إنك تقوم اقرب من ثلثي الليل مُصلياً، ونصفه وثلثه.

واختلفت القراءة في قراءة ذلك: فقراءته عامة قراءة المدينة والبصرة بالخفض ﴿وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾^(٥). بمعنى: وادنى من نصفه وثلثيه.

(١) سورة المزمل: ٢٠

(٢) سورة المزمل: ٢٠

(٣) رواه البخاري (١١٣٢)، ومسلم (صلاة المسافرين/ برقم ٧٤١ / ١٣١)، واحمد

(٦/ ٢٧٩)، والنسائي (٢٠٨/٣)، وابو داود (١٣١٧)، والبيهقي في (الكبرى) (١٧/٣).

(٤) ينظر: موعظة المؤمنين من احياء علوم الدين : ص ١٦٤

(٥) هو قراءة نافع وابي عمرو وابن عامر: السبعة لابن مجاهد ص ٦٥٨

أي: انكم لم تطيقوا العمل بما افترض عليكم من قاييم الليل ، فقوموا ادنى من ثلثي الليل ومن نصفه وثلثيه. وقرأ ذلك بعض قرأة مكة وعامة قرأة الكوفة بالنصب^(١). بمعنى: إنك تقوم ادنى من ثلثي الليل ، وتقوم نصفه وثلثه.

وقوله: ﴿وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ يعني: من أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا مؤمنين بالله حيث فرض عليهم قيام الليل.

وقوله ﴿عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحُصُّهُ﴾ ، أي: علم الله بكم ايها الطائفة المؤمنة من الذين فر من عليهم قيام الليل ، ان لن تطيقوا قيامه ، ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ إذ عجزتم وضعفتم عنه ورجع لكم الى التخفيف عنكم^(٢).

حدثنا ابو كريب ، قال: ثنا ابو نعيم ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب عن ابيه ، عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: ((يأتني احدكم الشيطان وهو في صلاته فيقول: (ذكر كذا ، ذكر كذا. حتى ينفثل ولعله ان لا يفعل ، ويأتيه في مضجعه فلا يزال يُنومُه حتى ينام))^(٣).

وقوله: ﴿فَأَقْرَهُوْا مَا يَتَسَّرُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ أي: توجيهه الى الطائفة المؤمنة أن تقرأ ما تيسر لها من القرآن في الصلاة وهذا تخفيف من الله عز وجل عن بعباده فرضه الذي كان فرض عليهم.

(١) هو قراءة ابن كثير وعاصم وحزمة والكسائي: المصدر السابق.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن: للطبري: ج ٢٣ ، ص ٣٩٣-٣٩٤.

(٣) اخرجه الحميدي (٥٣٨) ، عبد الرزاق في مصنفه (٣١٨٩) ، والنسائي في الكبرى

(١٠٦٥٥) ، والبيهقي في الشعب (٦١٣) من طريق سفيان به.

وجاء في معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي إِلَيْهِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ.

وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۗ ﴾^(١).

وفيه مسألتان:-

المسألة الاولى: والمراد من قوله ﴿ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي إِلَيْهِ ﴾ اقل منهما وإنما استعير الادنى وهو الاقرب للاقل ، لان المسافة بين الشئيين إذا دنت قل ما بينهما من الاحياز ، وإذا بعدت كثر ذلك.

المسألة الثانية: قرىء نصفه وثلثه بالنصب ، والمعنى انك تقوم اقل من الثلثين وتقوم النصف ، وقرىء ونصفه وثلثه بالجر ، أي: تقوم اقل من الثلثين والنصف والثلث ، وقوله تعالى: ﴿ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۗ وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۗ ﴾ أي: اصحابك من الذين يقومون من الليل هذا المقدر المذكور من الليل العالم بمقادير اجزاء الليل والنهار ليس الا الله تعالى ، وهذه الطائفة المؤمنة علم الله انه لا تستطيع ان تحصي الساعات المطلوبة لقيام الليل فجاء قوله تعالى: ﴿ عَلِمَ أَن لَّنْ حُصُوهُ ۗ ﴾ وفيه مسألتان:-

المسألة الاولى: الضمير في ان لن تحصوه عائد الى مصدر مقدر أي علم انه لا يمكنكم إحصاء مقدار كل واحد من اجزاء الليل والنهار على الحقيقة.

المسألة الثانية: احتج بعضهم على تكليف ما لا يطاق لانه تعالى قال: ﴿لَنْ تُخْصَوْهُ﴾ أي لن تطيقوه ، ثم انه كان قد كلفهم به ، ويمكن ان يجاب عنه بان المراد صعوبته لا أنهم لا يقدرون عليه.

الى ان جاء قوله تعالى: ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ وهو عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدر والمعنى انه رفع التبعة عنكم في ترك هذا العمل كما رفع التبعة عن التائب.

وقوله تعالى: ﴿فَأَقْرءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ وفيه قولان: الاول: ان المراد من هذه القراءة الصلاة لان القراءة احد اجزاء الصلاة. والثاني: قراءة القرآن بعينها والغرض منه دراسة القرآن ليحصل الامن من النسيان^(١).

وفي معنى قوله ﴿وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ منه اخبار من الله تعالى الى الطائفة المؤمنة التي كانت تقيم الليل مع النبي ﷺ والتي كانت لا تقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما الا الله وحده ، فجاء قوله ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنياً عليه: يقدر ، هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير ؛ والمعنى انكم لا تقدرون عليه وهو شاق عليكم فجاء قوله تعالى: ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة في تركه عنكم كما يرفع التبعة عن التائب^(٢).

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي: ج ٣/ ص ١٨٦ - ١٨٧.

(٢) ينظر: الكشف - للزمخشري: ٦ / ٢٤٨.

وذكر ابن كثير في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ (أي: تارة هكذا وتارة هكذا ، وهذا كله من غير قصد منكم ولكن لا تقدرين على المواظبة على ما امركم به من قيام الليل ، لأنه يشق عليكم ، ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ، أي: يعتدلان ، وتارة يأخذ هذا من هذا ، او هذا من هذا ، ﴿عَلِمَ أَنَّ لَن تُخْصِمُوهُ﴾ ، أي: الفرض الذي اوجبه عليكم ، ﴿فَأَقْرَهُوْا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ ، أي: من غير تحديد بوقت ، أي: قوموا من الليل ما تيسر^(١) .

وقد استدلل اصحاب الامام ابي حنيفة (رحمه الله) بهذه الاية وهو قوله: ﴿فَأَقْرَهُوْا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ ، على انه لا يتعين قراءة الفاتحة في الصلاة بل لو قرأ بها أو بغيرها اجزأه^(٢).

وقد اجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت: ان رسول الله ﷺ قال: لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب^(٣).

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير ، ١٧١/١٤ .

(٢) صحيح البخاري في كتاب الاذان ، باب: امر النبي ﷺ الذي لا يتم ركوعه بالاعادة ، حديث (٧٩٣) (٢٧٦-٢٧٧) . ومسلم في كتاب الاذان: باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ، حديث (٣٩٧/٤٥) .

(٣) صحيح البخاري في كتاب الاذان ، باب: وجوب القراءة للامام والمؤمن في الصلوات الخمس في الحضر والسفر ، حديث (٧٥٦) (٢٣٧/٢) ومسلم في كتاب: الصلاة ، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة حديث (٣٨/٣٩٥) (١٣٤/٤) .

ولعل اروع ما ذكره سيد قطب (رحمه الله) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ .

حيث يقول (رحمه الله) (إنها لمسة التخفيف الندية ، تمسح على التعب والمشقة ، ودعوة التيسير الالهي على النبي ﷺ والمؤمنين ، وقد علم الله منه ومنهم خلوصهم له ، وقد انتفخت اقدمهم من القيام الطويل للصلاة بعذر من القرآن كبير . وما كان الله يريد لنبيه ان يشق بهذا القرآن بالقيام ، إنما كان يريد ان يعده للامر العظيم الذي سيواجهه طوال ما يعني له من الحياة هو والمجموعة القليلة من المؤمنين الذين قاموا معه بقوله تعالى ﴿وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ .

وفي الحديث مودة وتطمين إنه رآك! إن قيامك وصلاتك انت وطائفة من الذين معك قبلت في ميزان الله .. أن ربك يعلم انك وهم تجافت جنوبكم عن المضاجع وتركتم دفء الفراش في الليلة القاسية ، ولم تسمع نداء المضاجع المغربي وسمعت نداء الله.

إن ربك يعطف عليك ويريد ان يخفف عنك وعن اصحابك وهو يعلم انك انت ومن معك ماضون تقومون أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه ، وهو يعلم ضعفكم عن الموالاة ، وهو لا يريد ان يشق عليكم انما يريد لكم الزاد وقد تزودتم فخففوا عن انفسكم وخذوا الامر هينا.

﴿فَاقْرَأْ مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ في قيام الليل بلا مشقة ولا عنت.

إنها لمسة الرحمة والود والتيسير والطمأنينة تجيء بعد عام من الدعوة الى القيام! ولقد خفف الله عن المسلمين فجعل قيام الليل لهم تطوعاً لا فريضه.

اما رسول الله ﷺ فقد مضى على نهجة مع ربه لا يقل قيامه عن ثلث الليل ينجي ربه في خلوة الليل ويستمد من هذه الحضرة زاد الحياة وزاد الجهاد.

على ان قلبه ما كان ينام وان نامت عيناه فقد كان قلبه ﷺ مشغولاً دائماً بذكر الله متبتلاً لمولاه ، وقد فرع قلبه من كل شيء الاحسن ربه ، عن ثقل ما يحمل على عانقه وعلى مشقة الاعباء الثقال^(١) .

المطلب الثالث: شهادة الطائفة المؤمنة في اقامة الحد

الحد: يفيد معنى تمييز المحدود من غيره ، ولهذا قال المتكلمون: حدّ القدرة كذا ، وحدّ السواد كذا ، وسمى حدّاً لانه يمنع غيره من المحدود وفيما هو حد له ، وفي هذا تمييز له من غيره^(٢).

والحد: حد: الحاء والداد اصلان: الاول منع ، والثاني طرف الشيء.

فالحد: الحاجز بين الشئيين. وفلان محدود ، اذا كان ممنوعاً ، ويقال للبواب حداد ، لمنعه الناس من الدخول.

وحد العاصي سُميَ حدّاً لانه يمنعه من المعاوضة^(٣).

(١) ينظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب ٢٨ / ٣٧٤٨ ، ٣٧٤٩.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية: لابي هلال العسكري: ص ٢٩٤.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: لأبن فارس: ٥/٢.

الحد: الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط احدهما بالآخر، يقال حددت كذا جعلت له حداً يميز وحدّ الدار تتميز به عن غيرها ، وحدّ الشيء الوصف المحيط بمعناه المميز له عن غيره ، وحد الزنا والخمر سمّي به لكونه مانعاً لمتعاطيه عن معاودة مثله ومانعاً لغيره ان يسلك مسلكه، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ (٢) وقال: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ (٣) أي : احكامه وقيل حقائق معانيه (٤). ومن الحدود التي اوجب الله ان تقام (حد الزنى)

قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥) الزانية والزاني: الزنى في اللغة: الوطء المحرم، وفي الشرع: (وطء الرجل المرأة في الفرج عن غير نكاح ولا شبهة نكاح). ويسمى الفاحشة (٦). قال تعالى: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيكِ

(١) سورة الطلاق: ١

(٢) سورة البقرة: ٢٢٩

(٣) سورة التوبة: ٩٧

(٤) ينظر: المفردات: للراغب الاصفهاني: ١٢٣.

(٥) سورة النور: ٢

(٦) ينظر: تفسير ايات الاحكام/ للشيخ محمد علي الصابوني ص(٧).

أَلْفَحِشَّةٌ مِّنْ نِّسَائِكُمْ ﴿١﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً
وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢﴾.

الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زاني أو مشرك
وحرّم ذلك على المؤمنين. ففي هذه الايات اوجب الله عز وجل بهذه النصوص
على المسلمين ممثلين في اولي الامر منهم بأن يجلدوا بالسياط كل واحد من
الزواني والزناه ثبت عليه هذه الجريمة مائة جلدة تباشر اجسادهم وان يكون هذا
الجلد موجوعاً من غير رافة ولا نقصاً في العدد المطلوب حال الجلد- الضرب-
وهذا الجلد للزواني والزناة جزء من دين الله تعالى وشرعه.

فإن جريمة الزنى اخطر واعظم من ان تستدر العطف أو لترفع الى العفو عن
مرتكب هذه الجريمة النكراء، فإن من عرف اثارها واضرارها من تدنيس
للعرض والشرف، وضياع للانساب، واعتداء على كرامة النساء، وتلطيخ لهم
بالعار والثرار وتعريض الاولاد للتشرد والضياع، حيث يولد (اللقيط) وهو لا
يدري اباه ولا يعرف حسبه ونسبه- الى غير ما هنالك من اضرار- فمن عرف
ذلك أدرك حكمة الله تعالى في تشريع هذا العقاب الزاجر الصارم، وليس هذا
فحسب بل لا بد ان تشهدوا على هذه العقوبة لتكون زجراً له ولافراد المجتمع من
اقتراف مثل هذا المنكر الشنيع. وقد حرم الله الزنى لما فيه من اضرار عظيمة،
ومخاطر جسيمة تؤدي بحياة الافراد والجماعات، وتؤدي الى هدم المجتمعات،
وتعرض الاولاد للتشرد والضياع.

(١) سورة النساء: ١٥

(٢) سورة الاسراء: ٣٢

فالزاني لا يليق به ان ينكح المؤمنة العفيفة الشريفة انما ينكح مثله الزانية الفاجرة المشركة أو المشركة الوثنية والزانية الخبيثة كذلك لا يرغب فيها الا خبيث مثلها أو مشرك^(١). قال تعالى: ﴿الْحَيْثُ لِلْحَيْثِ وَالْحَيْثُ لِلْحَيْثِ وَالطَّيِّبُ لِلطَّيِّبِ وَالطَّيِّبُ لِلطَّيِّبِ﴾^(٢)

وقد أمر الله سبحانه وتعالى الطائفة المؤمنة بأن تشهد إقامة هذا الحد. فقال: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) والشهادة الحضور والمشاهد بالبصر أو البصيرة، ويقال: للمحضر الذي يشهده جمع من الناس، مشهد^(٤).

والمراد بـ (الطائفة) الجماعة:- قال العلماء قد يطلق لفظ الطائفة على الواحد، والاثنين والثلاث والاربعة فصاعداً^(٥).

وسياق الآية يقتضي ان يكون الحضور جمعاً، لذا قال الشيخ الآلوسي^(٦): (والحق أن المراد بالطائفة هنا: جمع يحصل فيهم التشهير والزجر، وتختلف قلة وكثرة بحسب إختلاف الاماكن والاشخاص، فلرب شخص يحصل تشهيره،

(١) ينظر: تفسير آيات الاحكام/ للشيخ/ محمد علي الصابوني: ٩/٢.

(٢) سورة النور: ٢٦.

(٣) سورة النور: ٢

(٤) ينظر: المفردات: ٢٦٨.

(٥) جامع لاحكام القرآن: للقرطبي: ١١١/١٢، وينظر احكام القرآن: لابن العربي: ٣٥٣.

(٦) هو ابو الثناء، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي: كان محدثاً مفسراً فقيهاً، ادبياً، لغوياً، تقلد إفتاء العراق، توفي سنة (١٨٥٤م)، ينظر: اعلام العراق: محمد بهجت الاثري ١٩٧٩: ٤٥ ومعجم المؤلفين: ١٢/ ١٧٥.

وزجره بثلاثة وآخر لا يحصل تشهيره وزجره بعشرة، والقائل بالاربعة هنا، له وجه وجيه كما لا يخفى^(١)

وقوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: المسلمين، لانهم مؤتمون على تنفيذ شرع الله تعالى وبيدهم قيادة الناس. في ضوء ما تقدم يكون المعنى حينئذ: وليحضر مشهد الجلد الموجه للزانية والزاني جمع من أهل الأيمان والاسلام، رجالاً ونساءً لأنهم جميعاً مكلفون شرعاً، وكلمة ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ تشمل المؤمنات كما هو مقرر عند علماء الاصول.

وظاهر الآية أن الحضور هنا للوجوب الكفائي: إذ لا صارف للأمر عن الوجوب في هذه الآية، لكن بعض الفقهاء يرى أن الحضور مندوب لا واجب^(٢). اما حضور غير المؤمنين من الكفار فلا يلزمون بذلك بل هم بالخيار ان شاءوا الحضور لم يمنعوا، بل فيه تنبيه وتحذير لهم ايضاً.

وقد أوجب الاسلام الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من زنى وغيره من المنكرات التي قبها الله سبحانه وتعالى وحذر من عواقبها في كثير من آياته البينات كل ذلك ليبقى مجتمع المسلمين طاهراً نظيفاً خالياً من الفساد والردائل مما يساعد بالتأكيد على طهارة الفرد وصلاحه فتزول أو تضعف عوامل الفساد في نفوس الافراد^(٣).

(١) روح المعاني: ٨٤/١٨.

(٢) ينظر: مغنى المحتاج في شرح المنهاج: ٤/ ٥٢ للخطيب الشربيني. محمد بن احمد - شمس الدين ت ٩٧٧هـ — ينظر: الاعلام: ٦/ ٦.

(٣) ينظر: المفصل في احكام المرأة: عبد الكريم زيدان: ١٢/٥.

والمنتبع لأسباب نزول هذه الآيات نجد إنها تتفق مع المعنى المتقدم. فقد روت مصادر السنة وأكثر كتب التفسير أنها نزلت في مرثد بن أبي مرثد الغنوي. وكان يحمل الأسرى من مكة حتى يأتي بهم المدينة- أو كان يأتي مكة فيحمل ضعفة المسلمين إلى رسول الله ﷺ^(١). وكانت بمكة امرأة بغي يقال لها ((عناق))^(٢) وكانت صديقه في الجاهلية فلما أتى مكة دعتة ((عناق)) إلى نفسها فقال مرثد: إن الله حرم الزنا- قالت فأنكحني^(٣). فقال حتى أسأل رسول الله ﷺ ولم يرد شيئاً حتى نزلت ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً...﴾ الآية فقرأها عليّ وقال: لا تتكحها^(٤) وفي رواية البيهقي قال: ((وكانت مع زناها مشركة))^(٥).

(١) ينظر: جامع البيان: للطبري: ٧١/١٨

(٢) عناق هذه هي التي يقال لها أم مهزول في بعض الروايات. ينظر سنن البيهقي في الصغرى تحقيق الشيخ بهجة يوسف حمد أبو الطيب: ٤٦٣/٢ برقم (٢٤٦٨)، وينظر: لباب النقول في اسباب النزول: ص ١٥٤.

(٣) ينظر: مدارك التنزيل: للبغوي: ٤٠/٥.

(٤) الحديث رواه الترمذي: ٣٠٧/٥ برقم ٣١٧٧ تحقيق أحمد محمد شاكر قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقال ابو بكر بن العربي: ((حديث مرثد: حسن صحيح جداً وإن كان أبو عيسى أغربه وحسنه)) ينظر: عارضة الأحوزي شرح صحيح الترمذي: ٤٢/١٢ ط الصاوي: ١٣٥٣هـ-١٩٣٤م على نفقة عبد الواحد محمد التازي.

ورواه الامام احمد في المسند برقم ٦٤٨٠. تحقيق احمد محمد شاكر: ٢٢٤٠٢٢٣/٩

(٥) ورواه البيهقي في السنن الصغرى برقم ٢٤٩٦: ٤٦٣/٢-٤٦٤ تحقيق الشيخ بهجة يوسف حمد أبو الطيب. ورواه ابو داود في باب (الزاني لا ينكح إلا زانية) برقم: ٢٠٣٧ ينظر هامش عون المعبود: ٤٨/٦.

ففي إمساك رسول الله ﷺ وعدم رده على مرثد الغنوي، حتى أنزل عليه في ذلك آية دليل على عظيم خطر من يريد أن ينكح الباغيات. ولحضور الطائفة المؤمنة لمشهد جلد الزناة أهداف تتحقق يمكن بيانها على النحو الآتي:-

١. تأديب الجاني بسبب إعتدائه على حرمان وأعراض الناس، ليذوق وبال سيئته التي ألحقها بغيره من الناس.

٢. أن تجعل هذه العقوبة عبرة حتى تجري مجرى عملية جراحية لأذهان أناس في المجتمع قد تكون في نفوسهم غرائز سيئة فلا يجرؤا على ارتكاب مثل هذه الجرائم مستقبلاً.

٣. أن لا يجترئ بعض المنفذين للعقوبة من الزيادة فيها أو النقصان منها، أو التلاعب بها^(١).

٤. أن يستغفر ويدعو بحسن الخاتمة، والتوفيق للتوبة حتى لا يعود المذنب لذنبه ثانية.

٥. الشعور بنعمة الله وفضله لمن وفق لطاعة الله تعالى نعمة تستوجب الشكر لرب العالمين ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾^(٢).

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي: ١٤٨/٢٣، وتفسير روح المعاني: للألوسي: ٨٣/١٨

وتفسير سورة النور: لأبي الأعلى المودودي: ٨٢-٨٣.

(٢) سورة النحل: ٥٣

وقوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢). يقول تعالى ذكره وليحضر جلد الزانيين البكرين وحدّهما إذا اقيم عليهما ، طائفة من المؤمنين . والعربُ تسمى الواحد فما زاد : طائفة .

وقوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول : من اهل الايمان بالله ورسوله .

وقد اختلف اهل التأويل في مبلغ عدد الطائفة الذي امر الله بشهود عذاب الزانيين البكرين ، فقال بعضهم : أقله واحد (١).

حدثنا محمد بن بشار ، قال ثنا عبد الرحمن ، قال ثنا سفيان ، عن ابن ابي نجيع ، عن مجاهد ، قال : الطائفة رجل (٢).

حدثني ابو السائب ، قال : ثنا حفص بن غياث ، قال : ثنا اشعث ، عن ابيه ، قال: اتيت ابا برزة الاسلمي في حاجة ، وقد اخرج جارية الى باب الدار ، وقد زنت ، فدعا رجلاً ، فقال : اضربها خمسين . فدعا جماعة ، ثم قرأ : ﴿وَلْيَشْهَدْ

عَذَابَهَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣)

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : اقل ما ينبغي حضور ذلك من عدد المسلمين : الواحد فصاعداً . وذلك ان الله عمّ بقوله : ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهَا

(١) ينظر : تفسير جامع البيان للطبري : ١٤٦/١٧

(٢) تفسير سفيان ص ٢٢٠ ، واخرجه عبد الرزاق في مصنف (١٣٥٠٥) عن ابن عيينه ، عن ابن ابي نجيع به.

(٣) اخرجه ابن ابي شيبة ١٠ / ٦١ ، وابن ابي حاتم في تفسيره ٢٥٢٢٠/٨ من طريق اشعث به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٨/٥ الى عبد الحميد وابن المنذر

طَائِفَةٌ ﴿ . والطائفة تقع عند ذلك العرب على الواحد فصاعداً فإذا كان ذلك كذلك ، ولم يكن الله تعالى ذكره وضع دلالة على ان مراده من ذلك خاص من العدد - كان معلوماً ان حضوراً وقع عليه ادنى اسم الطائفة ذلك المحضر مخرج مقيم الحد مما امره الله به بقوله : ﴿ وَلِشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

وان كان الامر على ما وصفت ، استحب الا يُقصرَ بعدد من يحضر ذلك الموضع عن اربعة انفس ، عدد من تقبل شهادته على الزنى. فلا خلاف بين الجمع انه قد ادى المقيم الحد ما عليه من ذلك (١).

وقد ذكر وقد ذكر ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلِشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، (هذا تتكيل للزانيين اذا جلد بحضرة الناس ، فان ذلك يكون ابلغ من زجرهما ، وانجح في ردهما ، فان في ذلك تقريباً وتوبيخاً وفضيحة اذا كان الناس حضوراً) (٢)

قال الحسن البصري في قوله : ﴿ وَلِشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يعني : علانية ، ثم قال علي بن ابي طلحة (عن ابن عباس) ﴿ وَلِشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الطائفة : الرجل فما فوقه ، وقال مجاهد الطائفة : رجل الى الالف ، وكذا قال عكرمة ، ولهذا قال الامام احمد : ان الطائفة تصدق على واحد . وقال عطاء بن ابي رباح اثنان ، وبه قال إسحاق بن راهويه ، وكذا قال سعيد بن جبر ﴿ طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال : يعني الرجلين فصاعداً ، وقال الزهروي : ثلاثة نفر

(١) ينظر : جامع البيان : للطبري : ١٤٩/١٧

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ١٠ / ١٦٤

فصاعداً ، وقال عبد الرزاق : حدثني ابن وهب عن الامام مالك في قوله ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال : الطائفة اربعة نفر فصاعداً ، لانه لا يكون شهادة في الزنا دون اربعة شهداء فصاعداً وبه قال الشافعي (١) .

وذكر ابن جزى (٢) في تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال : (في ذلك توبيخ للزناة والغلظة عليهم واختلف في اقل ما يجزئ من الطائفة فقيل اربعة اعتباراً بشهادة الزنا وهو قول ابن ابي زيد وقيل عشرة وقيل اثنين وهو مشهور في مذهب مالك وقيل واحد الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة الاية معناها ذم الزناة وتشنيع الزنا وانه لا يقع منه الا زان او مشرك ولا يوافق عليه من النساء الا زانية او مشركة) (٣)

وذكر ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (فيه امر ان تحضر جماعة من المسلمين إقامة حد الزنا تحقيقاً لأقامة الحد وقدراً من التساهيل فيه فإن الإحتقار ذريعة للإنسان ، فإذا لم يشهد المؤمنون فقد

(١) المصدر نفسه

(٢) هو محمد بن عبد الله بن يحيى بن يوسف بن عبد الرحمن بن جزى الكلبي الغرناطي (ولد في شوال ٧٢١هـ الموافق ١٤٢١م في غرناطة وتوفي في ٢٩ شوال ٧٥٧هـ الموافق ١٣٥٦م في فاس) كان كاتباً لابي الحجاج يوسف بن الاحمد النصري ، كان من اهل غرناطة ، أنتقل الى فاس بالمغرب وتوفي بها . من كتبه كتاب تاريخ غرناطة واهل الخير وله تفسير للقرآن سمي بالتسهيل في علوم التنزيل . ينظر : المقرئ - نفع الطيب ج ٥ ، والاحاطة في اخبار غرناطة ، لسان الدين بن الخطيب .

(٣) ينظر : تفسير ابن جزى : التسهيل لعلوم التنزيل : ٢ / ٢٤٧ .

يتساءلون عن عدم إقامته فإذا تبين لهم إهماله فلا يعدم بينهم من يقوم بتغيير المنكر من تعطيل الحدود .

وفيه فائدة اخرى وهي ان من مقاصد الحدود مع عقوبة الجاني ان يرتدع غيره ، وبحضور طائفة من المؤمنين يتعظ به الحاضرون ويزدجرون ويشيع الحديث فيه بنقل الحاضر الى الغائب.

وقد اختلف في تحديد عدد الطائفة التي تشهد اقامة الحد ، والظاهر انه عدد تحصل بخبره الاستفاضة وهو يختلف باختلاف الامكنة والمشهور عن مالك الاثنان فصاعداً ، وقال ابن ابي زيد: اربعة اعتباراً بشهادة الزنا. وقيل عشرة وظاهر الامر يقتضي وجوب حضور طائفة الحد (١).

واجمل ما صورته لنا سيد قطب في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهَا طَائِفَةٌ

مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هو تلك الصرامة في اقامة الحد، وعدم الراحة في اخذ الفاعلين بجرمهما ، وعدم تعطيل الحد او الترفق في إقامته ، تراخياً في دين الله وحقه ، وإقامته في مشهد عام تحضره طائفة من المؤمنين ، فيكون اوجع وواقع في نفوس الفاعلين ونفوس المشاهدين (٢) .

وأخرج ابن ابي شيبة في (المصنف) ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن ابي حاتم ، عن ابي جرزة الأسلمي ، انه أتى بأمة لبعض اهله قد زنت ، وعنده نفر نحو عشرة ، فأمر بها فأجلست في ناحية ثم أمر بثوب فطرح عليها ثم اعطى السوط رجلاً فقال : اجلدها خمسين جلدة ليس بالنشيز (المئزر)

(١) ينظر: التحرير والتنوير : لابن عاشور: ١٨ / ١٥١-١٥٢.

(٢) ينظر : الظلال في القرآن: لسيد قطب. ٤ / ٢٤٨٨

ولا بالخصعة (موضع الفرج) فجعل يفرق عليها بالضرب^(١) ، ثم قرأ ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

واخرج عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن ابي حاتم ، عن ابن عباس:

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: الطائفة الرجل فما فوقه^(٣).

واخرج جرير عن مجاهد في الاية قال: الطائفة واحد الى الالف^(٤).

واخرج ابن جرير عن ابن زيد في الاية قال: الطائفة اربعة^(٥).

واخرج ايضاً ابي شيبة عن الشيباني قال: قلت لابن ابي اوفى: رجم رسول الله

ﷺ؟ قال: نعم: قلت: بعد ما انزلت سورة النور ام قبلها؟ قال: لا ادري^(٦).

واخرج ابن ابي حاتم ، عن نصر بن علقمة ، قوله في الاية قال: ليس ذلك

للفضيحة ، إنما ذاك ليدعوا الله لهما بالتوبة والرحمة^(٧).

(١) ينظر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي: ٦٣٦/١٠.

(٢) ابن ابي شيبة ١٠ / ٦١ ، وابن جرير ١٧ / ١٤٨ ، وابن ابي حاتم ٨ / ٢٥٢٠ واللفظ له.

(٣) ابن ابي حاتم ٨ / ٢٥٢٠

(٤) ابن جرير ١٧ / ١٤٧

(٥) ابن جرير ١٧ / ١٤٨

(٦) ابن ابي شيبة ١٠ / ٧٥ ، والحديث عند البخاري (٦٨١٣ ، ٦٨٤٠) ، ومسلم (١٧٠٢)

(٧) ابن ابي حاتم ٨ / ٥٥٢٠.

المطلب الرابع: القتال بين الطائفتين المؤمنتين:

قتال: قتل: القاف والتاء واللام اصل صحيح يدل على إذلال وإماته.

يقال: قتله قتلاً ، القتل: الحال التي يقتل عليها. ومن ذلك: قتلت الشيء خبراً
وعلماً^(١).

قال تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧ ﴾^(٢)

والمأمل في الايات القرآنية يجد ان الله سبحانه وتعالى يحث المؤمنين على
عدم الاقتتال فيما بينهم والدعوة الى الاصلاح بينهما ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ
طَافَيْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي
تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ ﴾^(٣)

فالواجب على كل مسلم الاصلاح بين الطائفتين المؤمنتين فإن ظلمت احدهما
الاخري بعد الصلح فالواجب هو قتال الفئة الباغية حتى تعود للحق فإن عادت فقد
وجب الصلح مرة اخرى بالعدل كاول مرة.

وذكر الامام الرازي (رحمه الله) في تفسيره تعالى: ﴿ وَإِنْ طَافَيْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ
أَفْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ قال: (لما حذر الله المؤمنين من النبأ الصادر عن الفاسق
اشار الى ما يلزم منه استدراكا لما يفوت ، فقال فإن اتفق نكم تبثون على قول من

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٤٧/٥.

(٢) سورة النساء: ١٥٧.

(٣) سورة الحجرات: ٩.

يوقع بينكم ، وآل الامر الى إقتتال طائفتين من المؤمنين ، فأزيلوا ما اثبته ذلك الفاسق واصلحوا بينهما ﴿ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتِلُوا الَّتِي تَبَغَى ﴾ أي: الظالم يجب عليكم دفعه عنه ، ثم ان الظالم ان كان هو الرعية ، فالواجب على الامير دفعهم ، وان كان هو الامير ، فالواجب على المسلمين منعه بالنصيحة فما فوقها ، وشرطه ان لا يثير فتنة مثل التي في أقتتال الطائفتين أو اشد منها ، وفيه مسائل:

المسألة الاولى: قوله تعالى ﴿ وَإِنْ ﴾ إشارة الى ندرة وقوع القتال بين طوائف المسلمين ، فإن قيل فنحن نرى اكثر الاقتتال بين طوائفكم؟ نقول قوله تعالى ﴿ وَإِنْ ﴾ إشارة الى انه ينبغي ان لا يقع الا نادراً ، وكذلك ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ ﴾ اشارة الى ان مجيء الفاسق بالنبا ينبغي ان يقع قليلاً ، مع ان مجيء الفاسق بالنبا كثير ، وقول الفاسق صار عند أولي الامر اشد قبولاً من قول الصادق الصالح.

المسألة الثانية: قال تعالى ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ ﴾ ولم يقل وإن فرقتان تحقيقاً للمعنى وهو التقليل ، لأن الطائفة دون الفرقة.

المسألة الثالثة: قال تعالى ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ولم يقل منكم ، مع ان الخطاب مع المؤمنين لسبق قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ ﴾ تنبيهها على قبح ذلك وتبعداً لهم عنهم ، كما يقول السيد لعبده إن رأيت احد من غلماني يفعل كذا فامنعه ، فيصير بذلك مانعاً للمخاطب عن ذلك الفعال بالطريق الصحيح والحسن ، كأن يقول: أنت حاشاك ان تفعل ذلك ، فأن فعل غيرك فامنعه ، كذلك ههنا قال

﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ولم يقل منكم لما ذكرناه من التثنية مع ان المعنى واحد.

المسألة الرابعة: قال تعالى: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ ولم يقل: وإن اقتتل طائفتان من المؤمنين مع ان كلمة (إن) اتصالهما بالفعل اولى ، وذلك ليكون الابتداء بما يمنع من القتال ، فيؤكد معنى النكرة المدلول عليها ، بكلمة (إن) وذلك لأن كونهما من فئتين مؤمنتين يقتضي أن لا يقع القتال منهما.

المسألة الخامسة: قال تعالى: ﴿ اقْتَتَلُوا ﴾ ولم يقل: يقتتلوا لأن صيغة الاستقبال تنبئ عن الدوام والاستمرار فيفهم منه ان طائفتين من المؤمنين ان تمادى الاقتتال بينهما فأصلحوا ، وهذا لأن صيغة المستقبل تنبئ عن ذلك.

المسألة السادسة: قال تعالى: ﴿ اقْتَتَلُوا ﴾ ولم يقل اقتتلا وقال ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ ولم يقل بينهم ، ذلك لأن عند الاقتتال تكون الفتنة قائمة ، وكل احد برأسه يكون فاعلاً فعلاً ، فقال ﴿ اقْتَتَلُوا ﴾ وعند العود الى الصلح تتفق كلمة كل طائفة ، والإل لم يكن يتحقق الصلح فقال: ﴿ بَيْنَهُمَا ﴾ لكون الطائفتين حينئذ كنفسين^(١).

وعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال : وقف رسول الله ﷺ على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار ، فأمسك عبد الله بن ابي بأنفه وقال: خل سبيل حمارك فقد آذنا ننته . فقال عبد الله بن رواحه : والله ان بول حماره

(١) ينظر: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: للرازي: ١٢٦/٢٨-١٢٨

لأطيب من مسكك^(١) ومضى رسول الله ﷺ وطال الخوض بينهما حتى استبأ وتجالدا ، وجاء قومهما وهما الاوس والخزرج ، فتجالدوا بالعصي ، وقيل: بالأيدي والنعال والسعف ، فرجع اليهم رسول الله ﷺ واصلح بينهم ، ونزلت ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾^(٢).

وقد اختلف في سبب نزول قوله تعالى ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ هو ان ما وقع بين المسلمين وبين المتحزبين منهم عبد الله بن ابي بن سلول حين مرَّ به رسول الله ﷺ وهو متوجه الى زيارة سعد بن عباده في مرضه قبال حمار رسول الله ﷺ فقال عبد الله بن ابي للنبي عليه السلام لقد آذاني من نتن حمارك فردَّ عليه عبد الله بن رواحة وتلاها الناس حتى وقع بين الطائفتين ضرب بالجريد وقيل بالحديد ، وقيل سببها ان فريقين من الانصار وقع بينهما قتال وصالحهم رسول الله ﷺ بعد جهد ثم حكمها باق الى اخر الدهر وإنما قال اقتتلوا ولم يقل اقتتلا لان الطائفة في معنى القوم والناس فهي في معنى الجمع^(٣)

ويذكر سيد قطب (رحمه الله) في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ حيث يقول : (هذه قاعدة تشريعية عملية لصيانة المجتمع المؤمن من الخصام والتفكك ، تحت الثروات والاندفاعات . تأتي تعقياً

(١) قال الحافظ الزيلعي في (تخريج الكشاف) ٣/٣٣٥ : غريب من حديث ابن عباس واخرجه البخاري (٣٥١/٥) كتاب الصلح : باب ما جاء في الإصلاح بين الناس حديث (٢٦٩١) ، ومسلم (١٤٢٤/٣) كتاب الجهاد : باب (٤٠) حديث (١٧٩٩/١١٧) من حديث انس بنحو ما ذكر المصنف وقال ابن حجر في تخريج احاديث الكشاف .

(٢) ينظر: تفسير الكشاف: للزمخشري: ٥٧٠/٥-٥٧١.

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل : لابن الجزري : ٦٧/٣

على تبين خبر الفاسق وعدم العجلة والاندفاع وراء الحمية والحماسة ، قيل التثبت والاستبيان .

وسواء كان نزول هذه الآية بسبب حادث معين كما ذكرت الروايات ام كان تشريعاً لتلافي مثل هذه الحالة ، فهو يمثل قاعدة عامة محكمة لصيانة الجماعة الاسلامية من التفكك والتفريق . ثم لإقرار الحق والعدل والصلاح . والاركان في هذا كله الى تقوى الله ورجاء رحمته بأقرار العدل والصلاح .

والقرآن الكريم يكلف الذين امنوا - من غير الطائفتين المتقاتلتين طبعاً- ان يقوموا بالاصلاح بين المتقاتلين . فإن بغت إحداهما فلم تقبل الرجوع الى الحق - ومثله ان تبغيا معاً برفض الصلح او رفض قبول حكم الله في المسائل المتنازع عليهما - فعلى المؤمنين ان يقاتلوا البغاة إذن ، وان يظلوا يقاتلوهم حتى يرجعوا الى امر الله . وامر الله هو وضع الخصومة بين المؤمنين ، وقبول حكم الله فما اختلفوا فيه ، وادى الى الخصام والقتال . فإذا تم قبول البغاة لحكم الله ، قام المؤمنين بالاصلاح القائم على العدل الدقيق طاعة لله وطلباً لرضاه (¹) ذكر بعض الروايات في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ

إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾

١ . حدثني محمد بن عبد الاعلى ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن ابيه عن انس ، قال : قيل للنبي ﷺ : لو اتيت عبد الله بن ابي ابن سلول . قال : فأطلق اليه وركب حماراً ، وانطلق المسلمون ، وهي ارض تسبيخه ، فلما آتاه رسول الله ﷺ قال : إليك عني ، فو الله لقد آذاني نتن حمارك . فقال

(١) ينظر: في ظلال القرآن : سيد قطب : ٣٣٤٣/٦ .

رجل من الانصار : والله لحمار رسول الله ﷺ اطيب ريحاً منك . قال :
فغضب لعبد الله بن ابي رجل من قومه . قال فغضب لكل واحد منهما
اصحابه ، قال : فكان بينهم ضرب بالجريد والايدي ووالنعال ، فبلغنا انه
نزلت فيهم : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾^(١)

٢. حدثنا محمد بن عمرو ، ثنا ابو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني
الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ووقاء ، جميعاً عن ابن ابي نجيح ،
عن قال : الاوس والخزرج بالعصي بينهم^(٢) .

٣. حدثنا ابن حميد قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير ، عن
ابن عباس في قوله : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾
قال : كان قتالهم بالنعال والعصي ، فأمرهم ان يصلحوا بينهم^(٣)

(١) اخرجه مسلم (١٧٩٩) عن محمد بن عبد الاعلى به ، واحمد ٥٦/٢٠ (١٢٦٠٧)
والبخاري (٢٦٩١) ، وابو يعلى (٤٠٨٣) ، البيهقي ١٧٢/٨ ، والواحي في اسباب النزول
ص٢٩٣-٢٩٤ من طريقه معتمر بن سليمان ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٩٠/٦ الى
ابن المنذر وابن مردويه .

(٢) تفسير مجاهد ص٦١١ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور الى عبد بن حميد

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٩٠/٦ الى المصنف وابن مردويه.

المبحث الثاني

تربية الطائفة المؤمنة على الجهاد

تمهيد :

المطلب الاول: علاج الطائفة المؤمنة من الخوف

المطلب الثاني: توجيه الطائفة المؤمنة لصلاة الجماعة في القتال

المطلب الثالث: رعاية الله للطائفة المجاهدة

تمهيد

الجهاد في اللغة: قال ابن فارس (رحمه الله): (جهد: الجم والهاء والـدال أصله المشقة ، ثم يحمل عليه ما يقاربه. يقال: جهدت نفسي واجهدت ، والجهد الطاقة ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ (١)

ومما يقارب الباب الجهاد ، وهي الارض الصلبة (٢).

قال ابن منظور (رحمه الله): (جهد: الجهد والجهد: الطاقة ، تقول: أجهد جهداً ، وقيل: الجهد: المشقة ، والجهد: الطاقة. والجهاد: المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب او اللسان ، او اما اطاق من شيء) (٣).

الجهاد في الاصطلاح: قال شيخ الاسلام ، ابن تيمية (رحمه الله): (الجهاد هو: بذل الوسع - وهو القدرة - في حصول محبوب الحق ودفْع ما يكرهه الحق) (٤).

والمتمأل في آيات الذكر الحكيم يجد ان الجهاد قد ذكر في العديد من السور القرآنية ، منها على سبيل المثال:

(١) سورة التوبة: ٧٩.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: لأبن فارس: ٢٢٧

(٣) ينظر: لسان العرب: لابن منظور: ١٣٥ / ١٣٣٣.

(٤) ينظر: مجموع الفتاوي: لابن تيمية: ص ١٩١١٠

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (١).

ومنه قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٤٤) (٢).

والجهاد هو دليل صدق الايمان وسبيل الفوز بجنة الرضوان وذروة سنام الاسلام وافضل فرائضه بعد الخمسة اركان.

وعن بشير بن الخصاصية (رضي الله عنه) قال: أتيت رسول الله ﷺ لا بايعه على الاسلام.

فأشترط عليّ: تشهد لا اله الا الله ، وان محمد رسول الله ، وتصلي الخمس ، وتصوم رمضان ، وتؤدي الزكاة ، وتحج البيت ، وتجاهد في سبيل الله.

قلت يا رسول الله: اما اثنان فلا اطيقهما (فذكر الصدقة والجهاد) ، فقال ﷺ: (لا صدقة ولا جهاد فيم تدخل الجنة) (٣).

إذن فالجهاد واجب على الطائفة المؤمنة وهو ضرب من ضروب الاستجابة لله والرسول ، وإن الجهاد في سبيل الله من اعظم ما يحييهم به في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة (٤).

(١) سورة الحجرات: ١٥

(٢) سورة آل عمران: ١٤٢.

(٣) رواه احمد ٥ / ٢٢ ، والطبراني ٢ / ٤٤ ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٢ / ٨٠.

(٤) ينظر: كتاب إحياء القلوب: ابي عبد الرحمن محمد بن محمود الاسكندري: ص ٧٠.

ومن خلال هذا البحث المتواضع ساتناول ثلاث مطالب رئيسية لجهاد الطائفة المؤمنة.

المطلب الاول: علاج الطائفة المؤمنة من الخوف

الخوف: عبادة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال، والعلم باسباب المكروه هو السبب الباعث لاحراق القلب وتألمه، وذلك الاحتراق هو الخوف.

فالخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته، وان لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع، وتارة يكون لكثرة الجناية بمفارقة المعاصي، وتارة يكون جميعاً وبحسب معرفة بعيوب نفسه، ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائاه. وانه لا يسأل كما يفعل وهم يسألون.

فأخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه، ولذلك قال: ﷺ: (انا اخوفكم لله)^(١).

ثم اذا كملت معرفه اورثت جلال الخوف، واحتراق القلب. ثم يفيض اثر الحرقه من القلب على البدن وعلى الجوارح: فبكفها عن المعاصي وتقيدها بالطاعات تلافياً لما فرط واستعداداً للمستقبل.

واما في الصفات: فبان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهه كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيها اذا عرف انه فيه سماً

(١) صحيح: عن عائشة مرفوعاً: (والله اني لارجو ان اكون أخشاكم واعلمكم بما اتقي). رواه مسلم (الصيام/ ١١١٠)، واحمد (٢٤٥/٦٧/٦)، وابو داود (٢٣٨٩)، والبيهقي (٢١٣/٤) ومسند الشافعي (١٤٧/٤).

فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذعول والخشوع والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد، ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة، ومؤاخذة النفس بالخطرات والخطوات والكلمات.

وما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر، وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والرضوان وهي مجامع مقامات اهل الجنان^(١)، قال تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَزْهَبُونَ﴾^(٢)

لذلك: فقد عالج القرآن الكريم في آياته البينات الطائفة المؤمنة بالله تعالى وبرسوله الكريم ﷺ وقد عالج سبحانه وتعالى نفوس أهل هذه الطوائف بألطف واعمق واشمل ما يعالج به امثالهم نلاحظ هذا المعنى وغيره من المعاني الجليله العظيمة ونحن نتأمل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣) إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ^(٤)

وهذه الايتان الكريمتان تدل على حركة الضعف والفسل التي راودت قلوب طائفتين من المسلمين^(٤). كما نلخص من خلالها صورة من صور العلاج القرآني

(١) ينظر: موعظة المؤمنين من احياء علوم الدين: ص: ٥٣٧، ٥٣٨.

(٢) سورة الاعراف: ١٥٤.

(٣) سورة آل عمران: ١٢١-١٢٢

(٤) ينظر: جامع البيان: للطبري: (١٦٧/٧) فتح القدير (٣٧٨/١)، وتفسير المراغي (٥٥/٤).

للطائفة المسلمة اذا اصابها ضعف وخوف. وقد ذكر المفسرون اذ هذه الطائفتان اللتان همتا بالفشل هما (بنو سلمة وبنو الحارثة)^(١).

وقد روى الشيخان عن جابر (رضي الله عنه)^(٢). قال: فينا نزلت: ((ان همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما)). قال: نحن الطائفتان: بنو حارثه وبنو سلمه،

وما نحب انها لم تنزل، لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهَا﴾.

وعن قتادة^(٣): قوله: (اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا) وذلك يوم احد^(٤).

(١) ينظر جامع البيان: (١٦٥/٧).

(٢) هو: جابر بن عبد الله بن مرام بن كعب بن غنم بن سليمة الانصاري، الخزرجي. ولد سنة ١٦ قبل الهجرة، يعدُّ سيدنا جابر (رضي الله عنه) من اشهر الرواة عن النبي ﷺ، كما روي عن كبار الصحابة، كف بصره في اخر عمره وتوفي سنة (٧٨هـ) وفي قول (٧٤هـ) وقبل سنة (٧٧هـ)، عن عمر يناهز ٩٤ عاماً. ينظر: الحديث والمحدثون: للشيخ محمد ابي زهو: ص ١٠٣. ينظر: اسد الغابة في معرفة الصحابة: ص: ١٧.

(٣) هو: قتادة بن دُعامة بن قتاده السدوسي ولد ضريراً سنة (٦١هـ)، أحد المفسرين والحفاظ للحديث، كان راساً في العربية توفي سنة (١١٨هـ). ينظر: طبقات المفسرين: للداودي: ٤٧/٢ - والاعلام: للزركلي: ١٦١/٦.

(٤) معركة احد: كانت هذه الغزوة في شوال السنة الثالثة للهجرة وسمي أحد اُحداً لتوحده من بين تلك الجبال وكان سبب معركة أحد ان المشركين حين قتل من قتل من اشرافهم يوم بدر وسامت العير بما فيها من التجارة التي كانت مع ابي سفيان، رصدت قريش ما بقي من الاموال لقتال محمد ﷺ فانفقوها في ذلك، واقبلوا في نحو من ثلاثة الاف مقاتل حتى نزلوا قريباً من أحد تلقاء المدينة لقتال محمد ﷺ فوقعت المعركة، بينما كان الجيش الاسلامي الصغير يسجل مرة اخرى نصراً ساحقاً على مكة، وقعت من اغلبية فصيلة الرماة غلطة فظيعة قلبت الوضع تماماً، وادت الى الحاق الخسائر الفادحة بالمسلمين وكادت تكون سبباً في مقتل النبي ﷺ، وقد تركت اسوأ اثر على سمعتهم. ينظر: تفسير ابن كثير: ١٠٤/٢، ينظر الرحيق المختوم للشيخ: المبارك كفوري: ص ١٩٣.

والطائفتان: بنو سلمه^(١) وبنو حارثة^(٢) وهما حيّان من الانصار هموا بأمر فعصمهم الله من ذلك^(٣). وقد تقدم قولهم عندما نزلت هذه الآية: ما سرنا أنا لم نهم بما هممنا به، وقد اخبرنا الله انه ولينا^(٤).

وقد كان بنو سلمه من الخزرج وبنو حارثة من الأوس جناحي عسكر رسول الله ﷺ تجنبنا عن القتال حين رأوا انخزال عبد الله بن ابي ومن معه عن رسول الله ﷺ^(٥).

كل هذا الذي حصل للطائفتين من الضعف والفسل التي راودت قلوبهم لم تصل إلى حد العصيان قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾. أي : الله متولي امرهم لصدق ايمانهم لذلك صرف الفسل عنهما وثبتهما فلم يجيبا داعي الضعف الذي ألمّ بهما عند رجوع المنافقين، وكانوا نحو ثلث العسكر بل تذكروا ولاية الله للمؤمنين.

فوثقا به وتوكلا عليه. ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾. اي: ان المؤمنين ينبغي ان يدفعوا ما يعرض لهم من جزع أو مكروه بالتوكل على الله لا بحولهم وقوتهم،

(١) هم : قبيلة تنسب الى سليم بن منصور بن عكرمة بن قيس، وهي قبيلة عربية قيسية، كانوا يقيمون بنجد الحجاز. ينظر: كتاب نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب: ص: ١٠٢. ينظر: كتاب الانساب للسمعاني: ١٠٦/٤.

(٢) هي : قبيلة قحطانية الاصل وهو بنو الحارث بن كعب بن عمرو بن جلد بن مالك، من اهم منازل هذه القبيلة قديماً: نجران وهم ملوكها، ولهذه القبيلة العريقة وجود في العراق واليمن والامارات وقطر وبلاد الشام. نفس المصادر السابقة.

(٣) ينظر: جامع البيان: ١٦٦/٧.

(٤) المصدر نفسه: ١٦٦/٧.

(٥) ينظر: جامع البيان: ١٦٧/٧، وفتح القدير: ٣٧٨/١، وتفسير المراغي ٥٥/٤.

ولا بأنصارهم واعوانهم بعد اخذ الأهلية والعدة تحقيقاً لسُننِ الله في خلقه^(١). وفي مناسبة هذه الايات لما قبلها وما بعدها بيان لهذه المعنى المتقدم.

وذكر الامام الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ

تَفْشَلَا﴾ مسائل جاء فيها:-

المسألة الاولى: العامل في قوله ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ﴾ فيه وجوه ،
(الاول) قال الزجاج: العامل في التبوئة ، والمعنى كانت التبوئة في ذلك الوقت ،
(الثاني) العامل فيه قوله ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ، و (الثالث) يجوز ان يكون بدلاً من
﴿وَإِذْ عَدَوْتَ﴾.

المسألة الثانية: الطائفتان حيان من الانصار: بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة
من الاوس لما أنهزم عبد الله بن ابي همت الطائفتان بأتباعه ، فعصمهم الله ،
فثبتوا مع الرسول ﷺ ؛ ومن العلماء من قال: إن الله تعالى أبهم ذكرهما وستر
عليهما ، فلا يجوز لنا ان نهتك ذلك الستر.

المسألة الثالثة: الفشل الجبن والخور ، فإن قيل: الهم بالشيء هو العزم ، فظاهر
الاية يدل على ان الطائفتين عزمتا على الفشل والترك وذلك معصية فكيف بهما
ان يقال والله وليهما؟

والجواب: الهم قد يراد به العزم ، وقد يراد به الفكر ، وقد يراد به حديث النفس ،
وقد يراد به ما يظهر من القول الدال على قوة العدو وكثره وحضوره ، لأن أي

(١) ينظر: بحر العلوم: سمرقندي: ١٤٣/٢- وتفسير المراغي: ٥٥/٤.

شيء ظهر من هذا الجنس صح أن يوصف من ظهر ذلك منه بأنه هم بأن يفشل من حيث ظهر منه ما يوجب ضعف القلب ، فكان قوله ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ لا يدل على ان معصية وقعت منهما ، وايضاً فبتقدير ان يقال: إن ذلك معصية لكنها من باب الصغائر لا من باب الكبائر ، بدليل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهَا﴾ فان ذلك الهم لو كان من باب الكبائر لما بقيت ولاية الله لهما^(١).

قال الامام الرازي^(٢): - (اعلم انه تعالى كما قال: (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً)^(٣). اتبعه بما يدلهم على سنة الله تعالى فيهم في باب النصر والمعونة ودفع مضار العدو اذ هم صبروا واتقوا.

وخلاف ذلك فيهم إذا لم يصبروا فقال: (واذا غدوت من اهلك) يعني انهم يوم أُحد كانوا كثيرين للقتال، فلما خالفوا امر الرسول انهزموا، ويوم بدر كانوا قليلين غير مستعدين للقتال فلما اطاعوا امر الرسول غلبوا واستولوا على خصومهم، وذلك يؤكد قولنا، وفيه وجه اخر وهو أن الانكسار يوم أُحد انما حصل سبب تخلف عبد الله بن ابي بن سلول المنافق، وذلك يدل على انه لا يجوز إتخاذ هؤلاء المنافقين بطانة^(٤).

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي: ٢٢٦/٨.

(٢) هو: فخر الدين محمد بن الحسين الرازي ابو عبد الله القرشي البكري التميمي مفسر امام المتكلمين صاحب التفسير الكبير والمصنفات المشهورة، توفي بهراة سنة (٦٠٦هـ—).

ينظر: طبقات المفسرين: للسيوطي ص ٣٩، طبقات المفسرين للداودي ٢١٤/٢.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٣٧/٥.

(٤) التفسير الكبير: ٣٦٦/٤.

وهذا هو القول في مناسبة ما نحن بصدده من الايات لما قبلها أما مناسبتها لما بعدها من الايات فقد جاءت الايات بعدها لتبين كيف يتولى القران استحياء القلوب وتوجيهها وتدينها فقد عقب على احداث معركة أحد التي انتهت بالهزيمة بتذكيرهم بالمعركة التي انتهت بالنصر معركة بدر الكبرى^(١).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢)

يعني أغلبكم الله يوم بدر وانتم قليلون ويجب عليكم ان تعرفوا هذه نعمة النصر وأن تتقوا الله ولا تعصوه وان تشكروا الله على ما منَّ به عليكم من هذا النصر على اعدائكم واطهار دينكم^(٣).

ولسنا هنا صدد ذكر قصة معركة أحد ومعركة بدر. وما جرى فيها من احداث فذلك مشهور ومنشور في كتب التفسير والتاريخ وغيرهما وانما الغرض اظهار صورة من صور القران الكريم للطائفة المؤمنة اذا اصابها الضعف والخوف وبالإضافة الى ما ذكرنا فغزوة أحد وغيرها لم تكن معركة في الميدان وحده - كما

(١) معركة بدر: كانت هذه المعركة ليلة الجمعة السابع عشرة من شهر رمضان سنة (٢هـ)، وقد بات رسول الله ﷺ تلك الليلة يُصلى الى جذم (قطعة من الشجر) ويكثر في سجوده ويقول (يا حي يا قيوم) ويكرر ذلك تكراراً ومراراً، فحين خرج رسول الله ﷺ في اصحابه وكان عددهم ثلاث مائة وبضعة عشر رجلاً حتى بلغ وادياً يقال له (دفران) فخرج منه فشار رسول الله ﷺ الناس واخبرهم عن قريش فقام ابو بكر (رضي الله عنه) فقال فأحسن، وقام عمر (رضي الله عنه) فقال فأحسن، الى ان قام المقداد بن عمر فقال: يا رسول الله امضي كما امرك الله فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الضماد (يعني مدينة الحبشة) لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه. ينظر: البداية والنهاية لابن كثير: ٢/٢٧٣، ٢٧٤.

(٢) سورة آل عمران: ١٢٣

(٣) ينظر: بحر العلوم: ١٤٣/٢، وتفسير النسفي: ١٨٠/١

يقول سيد قطب^(١) "رحمه الله"، (انما كانت معركة كذلك في الضمير.. كانت معركة ميدانها أوسع الميادين . لأن ميدان القتال فيها لم يكن الاجانباً واحداً من ميدانها الهائل الذي دارت فيه.. ميدان النفس البشرية، وتصوراتها ومشاعرها، واطماعها وشهواتها، ودوافعها، وكوابحها، على العموم... وكان القرآن هنا يعالج هذه النفس^(٢)) .

وقد تضمنت هذه الآيات بجمليتها- آيات معركة أحد ومعركة بدر وما صاحبتهما من احداث عبر وعلاجات قرآنية تفيد الطائفة المؤمنة .

وجاء في مناسبه نزول قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾^(٣).

انها تقدم أوضح مظاهر كيد المخالفين في الدين ، المنافقين ، ولما كان شأن المنافقين من اليهود واهل يثرب واحداً ودخيلتهما سواء وكانوا يعملون على ما تدبره اليهود ، جمع الله مكائد الفريقين بذكر غزوة احد ، وكان نزول هذه السورة عقب غزوة احد ، فهذه الايات تشير الى وقعة احد الكائنة في شوال سنة ثلاث من الهجرة حين نزل مشركوا مكة ومن معهم من احلافهم سفح جبل احد ، حول المدينة ، لأخذ الثأر بما لهم يوم بدر من الهزيمة ، فأستشار رسول الله ﷺ

(١) هو : سيد قطب بن ابراهيم، مفكر اسلامي كبير، واديبٌ بليغ، له جهود ظاهرة في الاصلاح، صاحب كتاب في ظلال القرآن توفي مقتولاً في سنة (١٣٨٧هـ—). ينظر:

الاعلام:- للزركلي: ١٤٧/٣ .

(٢) في ظلال القرآن: ٤٥٧/١ .

(٣) سورة آل عمران: ١٢١ - ١٢٢

اصحابه فيما يفعلون ، وفيهم عبد الله بن ابي ابن سلول رأس المنافقين ، فأشار جمهورهم بالتحصن بالمدينة ، حتى إذا دخل عليهم المشركون المدينة قاتلوهم في الديار والحصون فغلبوهم ، وان رجعوا رجعوا خائبين ، وأشار فريق بالخروج ورغبوا في الجهاد والحو على رسول الله ﷺ فأخذ النبي ﷺ برأي المشيرين بالخروج ، ولبس لأمته ، ثم عرض للمسلمين تردد في الخروج فراجعوا رسول الله ﷺ فقال : (لا ينبغي لنبي ان يلبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه) وخرج المسلمون الى جبل احد وكان وراءهم ، وصفهم للحرب وانكشفت الحرب عن هزيمة خفيفة لحقت المسلمين بسبب مكيدة ابن سلول رأس المنافقين ، إذ انخزل هو وثلاث الجيش ، وهمت بنو سلمة وبنو حارثة من المسلمين بالانخزال ثم عصمهم الله ، فذلك قوله تعالى : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا ﴾ أي : (ناصرهما) على ذلك الهم الشيطاني ، الذي لو صار عزماً لكان سبب شقائهما ، ولعناية الله تعالى بهما برأهما من فعل ما همتا به. (١)

قوله : ﴿ وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا ﴾ أي : بولايته الخاصة التي هي لطفه بأوليائه ، وتوضيفهم لما فيه صلاحهم . (٢) ويمضي السياق القرآني يصور حال طائفة اخرى ، او يصف فعلة اخرى لطائفة في المجتمع المسلم بقوله تعالى :

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ

الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٣)

(١) ينظر : تفسير التحرير والتنوير : لابن عاشور : ٧٠/٦٩/٤

(٢) ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم المنان : للسعدي : ج ١ ، ص ٢٠٦

(٣) سورة النساء : ٨٣

والصورة التي يرسمها هذا النص القرآني ، هي صورة جماعة في المعسكر الاسلامي ، لم تألف نفوسهم النظام ، ولم يدركوا قيمة الإشاعة في خلخلة المعسكر ، وفي النتائج التي تترتب عليها ، وقد تكون قاصمة لانهم لم يرتفعوا الى مستوى الاحداث ، ولم يدركوا جدية الموقف . فإن إشاعة امر الامن مثلاً في مثل هذا المعسكر تحدث نوعاً من التراخي - مهما تكن الاوامر باليقظة - لان اليقظة النابعة من التحفز للخطر غير اليقظة النابعة من مجرد الاوامر وفي ذلك التراخي قد تكون القاضية - كذلك إشاعة امر الخوف في معسكر مطمئن لقوته ، ثابت الاقدام بسبب هذه الطمأنينه . وقد تحدث إشاعة امر الخوف فيه خلخلة وإرتباكاً ، وحركات لاضرورة لها لأتقاء مضان الخوف .. وقد تكون كذلك القاضية .

فيأتي النص القرآني ليعالج هذه الخلخلة بمنهجه الرباني ويدل الجماعة المسلمة على الطريق الصحيح ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾^(١) أي لو انهم ردوا ما يبلغهم من انباء الامن او الخوف الى الرسول ﷺ ان كان معهم ، او الى امرائهم المؤمنين ، لعلم حقيقة القادرون على استنباط هذه الحقيقة ، واستخرجها من ثنايا الانباء المتناقضة ، والملابسات المتراكمة .

وهكذا كان القران يربي .. فيغرس الايمان والولاء للقيادة المؤمنة ، ويعلم نظام الجندية في اية واحدة .. بل بعض اية .. فصدر الاية يرسم صورة منفردة للجندي وهو يتلقى نبأ الامن او الخوف ، واخر الاية يربط القلوب بالله في هذا ويذكرها بفضله ويحركها الى الشكر على هذا الفضل ، ويحذرنا من اتباع

الشيطان الواقف بالمرصاد الكفيل بأفساد القلوب لولا فضل الله ورحمته . لقوله

تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١)

اية واحدة تحمل هذه الشحنة كلها ، وتتناول القضية من اطرافها وتتعمق

السريرة والضمير ، وهي تضع التوجيه والتعليم ذلك انه من عند الله (٢)

وتتجلى عظمة القران في ذكره لادراك العقلاء خطورة الامر والتعامل معه بما

يلجمه . وقد وضع القران اللمسات التوجيهية التي تقمع الفتن التي تجر الى التفرق

فقال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَيُضَلَّوْا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ

مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٣) حيث يبين الله تعالى في هذه الاية الكريمة الى عدم التنازع

واشاعة الفتن والفرقة لانها سبب الفشل وذهاب القوة ، والدعوة الى الوحدة

والجماعة واطاعة الاوامر الرنانية واطاعة الرسول ﷺ كي لاتذهب ريحكم ، أي

قوتكم ونصركم. (٤) وجاء في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ

أَدَّعُوا بِهٖ ﴾ (٥)

أي : اذا ورد عليهم شئ من اثار الجمال او الجلال اخشوه واشاعوه ﴿ وَلَوْ

رَدُّوهُ ﴾ أي اعرضوه ﴿ إِلَى الرَّسُولِ ﴾ الى ما علم من احواله ، وما كان عليه

(١) سورة النساء: ٨٣

(٢) ينظر : في ظلال القران : السيد قطب : ص ٢٣٢

(٣) سورة الأنفال: ٤٦

(٤) ينظر : اضواء البيان : للشنقيطي: ١٠٢/٢

(٥) سورة النساء: ٨٣

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ وهم المرشدون الكاملون الذين نالوا مقام الوراثة المحمدية ﴿لَعَلَّمَهُ﴾ أي: لعلم مآله وانه مما يذاع او انه لا يذاع. (١) وفي تأويل قوله جل ثناؤه ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ أَلْخَوْفِ أذَاعُوا بِهِ﴾ النساء: ٨٣

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ﴾ . واذا جاء هذه الطائفة المبيّنة غير الذي يقول رسول الله ﷺ ﴿أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ﴾ فالهاء والميم من قوله تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ﴾ من ذكر الطائفة المبيّنة .

يقول جل ثناؤه : واذا جاءهم خير عن سرية للمسلمين غازية بأنهم قد امنوا عددهم بغلبتهم إياهم ، ﴿أَوْ أَلْخَوْفِ﴾ يقول : او تخويفهم من عدوهم بإصابة عدوهم منهم ﴿أذَاعُوا بِهِ﴾ يقول : افشوه وبثوه في الناس من قبل رسول الله ﷺ وقبل امراء سرايا رسول الله ﷺ والهاء في قوله: ﴿أذَاعُوا بِهِ﴾ من ذكر ﴿الْأَمْرِ﴾ وتأويله : اذاعوا بالأمر من الامن او الخوف الذي جاءهم (٢) يقال منه:

اذاع فلان بهذا الخبر ، واذا ع . ومنه قول ابي الاسود (٣)

اذاع به في الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت بثقوب

(١) ينظر : روح المعاني : للالوسي : ١٠٤/٥

(٢) ينظر : جامع البيان : للطبري : ٢٥٢/٧

(٣) البيت في الاغاني لابي فرج الاصفهاني ٣٠٥/١٢ ، ومجاز القران ، لابي عبيده معمرين

المعنى ١٣٣/١ .

وعن قتاده قوله : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾ يقول :
سار عوا به وافشوه . (١)

وعن ابن عباس قوله : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾
قال : افشوه وسعوا به (٢)

المطلب الثاني: توجيه الطائفة المؤمنة لصلاة الجماعة في القتال

تقدم القول في المطلب السابق كيف يعالج الله سبحانه وتعالى الطائفة المؤمنة إذا أصابها الضعف والخوف. وفي هذا المطلب نتناول الكلام على التشريعات الالهية والاعداد التربوي للطائفة المسلمة في كيفية التعامل مع الخوف أثناء المعركة وما شرعه الله سبحانه وتعالى لهذه الطائفة من احكام تتعلق بأمر العباد والقتال والخروج من طوق الخوف.

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (١٠١) ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ

(١) ذكره ابن ابي حاتم في تفسيره ١٠١٤/٣ عقب الاثر (٥٦٨٣) معلقاً

(٢) اخرجه ابن ابي حاتم في تفسيره ١٤/٣ عقب الاثر (٥٦٨٣) عن محمد بن سعديه ،
وعزاه الحافظ في الفتح ٢٥٧/٨ الى ابن المنذر .

(٣) سورة النساء: ١٠١

وَأَسْلِحَتْهُمْ^١ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً
وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا
أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١﴾

وفي هاتين الآيتين تشريع للقصر من الصلاة تخفيفاً على المسلمين عند الخوف من العدو إذ رأوا أنهم في وجه عدو يتربص بهم غفلة^(٢) - كما يأتي تفصيل ذلك -

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافرتم في البلاد ، كما قال تعالى:
﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ ۚ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۚ وَآخَرُونَ
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٣)

وقوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ أي: تخففوا فيها ، إما من كميتهما بأن تجعل الرباعية ثنائية ، كما فهمه الجمهور من هذه الآية ، واستدلوا بها على قصر الصلاة في السفر على اختلافهم في ذلك ، فمن قائل: لا بد ان يكون سفر طاعة من جهاد ، أو صبح ، أو عمرة ، أو طلب علم ، أو زيارة ، أو غير ذلك ، كما هو مروى عن ابن عمر وعطاء.

(١) سورة النساء: ١٠٢

(٢) ينظر: المفردات: ٤٠٥.

(٣) سورة المزمل: ٢٠.

ومن قائل: لا يشترط سفر الغربية ، بل لابد ان يكون مباحاً ، لقوله: ﴿فَمَنْ

أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ (١)

فما أباح له تناول الميتة مع اضطراره الا بشرط أن لا يكون عاصياً بسفره. وهذا قول الشافعي واحمد وغيرهما من الائمة.

واما قوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فقد يكون هذا خرج مخرج الغالب حال نزول هذه الآية ، فإن مبدأ الاسلام بعد الهجرة كان غالب اسفارهم مخوفة ، بل ما كانوا ينهضون الا الى غزو عام ، او سرية خاصة ، وسائر الاحياء حرب للاسلام واهله (٢).

وقد قال الامام احمد: حدثنا ابن ادريس ، حدثنا ابن جريج ، عن ابن ابي عمار ، عن عبد الله بن ابيه ، عن يعلي بن امية قال: سألت عمر بن الخطاب ، قلت: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقد آمن الناس ، فقال لي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): - عجبت مما عجبت منه ، فسألت رسول الله ﷺ ، عن ذلك فقال: (صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته) (٣).

وقال ابو بكر بن ابي شيبة: حدثنا ابو نعيم ، حدثنا مالك بن مغول ، عن ابي حنظلة الحذاء ، قال: سألت ابن عمر عن صلاة السفر ، فقال: ركعتان ، فقلت:

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ٢٣٦/٤

(٣) مسلم ، كتاب: صلاة المسافرين وقصدها ، باب: صلاة المسافرين (٦٨٦) ، وابو داود ، باب: صلاة المسافرين: (١١٩٩ ، ١٢٠٠) ، الترمذي ، كتاب: تفسير القرآن (٣٠٣٤).

ابن قوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُفْنِتَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ونحن آمنون؟ فقال: سنة رسول الله ﷺ (١).

وذكر ابن كثير (رحمه الله) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٢)

قوله: (صلاة الخوف انواع كثيرة فإن العدو تارة يكونون تجاه القبلة ، وتارة يكونون في غير صوبها ، والصلاة تكون رباعية ، وتارة تكون ثلاثية كالمغرب ، وتارة تكون ثنائية كالصبح وصلاة السفر ، ثم تارة يصلون جماعة ، وتارة يلتحم الحرب فلا يقدر على الجماعة ، بل يصلون فرادى مستقبلي القبلة مستقبلي القبلة وغير مستقبليها ، رجالاً وركباناً ، ولهم أن يمشوا والحالة هذه ، ويضربوا الضرب المنتاب في متن الصلاة) (٣).

(١) رواه في المصنف (٣٣٦/٢) ثنا وكيع واحمد (٢/٢٠ ، ٣١) ثنا يحيى ويزيد ، ثلاثتهم (وكيع ، يحيى ، ويزيد) ، ورواه ابن عبد البر في (التمهيد) (١١/١٦٧) من طريق محمد بن اسماعيل الترمذي.

(٢) سورة النساء: ١٠٢.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ٤/٢٤٧.

ومن العلماء من اباح تأخير الصلاة لعذر القتال والمناجزة ، كما آخر النبي ﷺ يوم الاحزاب صلاة العصر ، قيل: والظهر ، وصلاهما قبل الغروب ، ثم صلى بعدها المغرب ، ثم العشاء^(١).

وكما قال بعدها ، يوم بني قريظة ، حين جهز الجيش: (لا يصلين احد منكم العصر الا في بني قريظة)^(٢).

وذكر السعدي في تفسيره لهاتين الايتين من سورة النساء من قوله تعالى:
﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ الْكٰفِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ مَّعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَّرَآئِكُمْ وَلِتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّبِينًا ﴿١٠٢﴾ ﴾^(٣)

(١) رواه مسلم ، كتاب: المساجد: ومواضع الصلاة ، باب الدليل ممن قال: الصلاة الوسطى هي صلاة العصر (٢٠٥) (٦٢٧).

(٢) رواه البخاري ، كتاب الخوف ، باب: صلاة الطالب والمطلوب راكباً وإيماءً (٩٤٦) ، وكتاب: المغازي ، باب: مرجع النبي ﷺ من الاحزاب (٤١١٩) ، ومسلم ، كتاب: الجهاد والسير ، باب: المبادرة بالجزو (٦٩) (١٧٧٠) من حديث عبد الله بن عمر.

(٣) سورة النساء: ١٠١ - ١٠٢.

قوله: ((هاتان الايتان اصل في رخصة القصر ، وصلاة الخوف ، يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: في السفر ، وظاهر الآية ان يقتضي الترخيص في أي سفر كان ولو كان سفر معصية ، كما هو مذهب ابي حنيفة (رحمه الله) ، وخالف في ذلك الجمهور وهم الأئمة الثلاثة (مالك ، وأحمد ، والشافعي) ، وغيرهم فلم يجوزوا الترخيص في سفر المعصية ، تخصيصاً للآية بالمعنى والمناسبة ، فإن الرخصة سهولة من الله لعباده إذا سافروا ان يقصروا ويفطروا ، والعاصي بسفره لايناسب حالة التخفيف ويدل على افضلية القصر على الإتمام أمران:

احدهما: ملازمة النبي ﷺ على القصر في جميع اسفاره.

والثاني: أن هذا من باب التوسعة والترخيص والرحمة بالعباد ، والله تعالى يجب ان تؤتى رخصة كما يكره ان تؤتى معصيته.

وقوله: ﴿ أَنْ نَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ﴾ ولم يقل ان تقصروا الصلاة فيه فائدتان:

احدهما: انه لو قال ان تقصروا لكان القصر غير منضبط بحد من الحدود فربما ظن انه لو قصر معظم الصلاة وجعلها ركعة واحدة لأجزأ فاتيانه بقوله: ﴿ مِنْ الصَّلَاةِ ﴾ لبدل ذلك على ان القصر محدود مضبوط مرجوع فيه الى ما تقرر من فعل النبي ﷺ واصحابه.

الثانية: أن ﴿ مِنْ ﴾ تفيد التبويض ليعلم بذلك ان القصر لبعض الصلوات المفروضات لا جميعها.

ويرجع حاصل اختلافهم الى ان هل المراد بقوله: ﴿أَنْ نَقْصُرُوا﴾ قصر العدد فقط؟ او قصر العدد والصفة؟ فالإشكال إنما يكون عن الوجه الاول.

فعلى هذا يكون هذا القيد أتى به نظر لغالب الحال التي كان النبي ﷺ واصحابه عليها ، فإن غالب اسفاره اسفار جهاد.

وفيه فائدة اخرى ، وهو بيان الحكمة والمصلحة في مشروعية رخصة القصر ، فبين في هذه الآية أنها ما يتصور من المثقة المناسبة للرخصة ، وهو اجتماع السفر والخوف.

واما على الوجه الثاني ، وهو ان المراد بالقصر: قصر العدد والصفة فإن القيد على بابه ، فإذا وجد السفر والخوف ، جاز قصر العدد ، وقصر الصفة ، وإذا وجد السفر وحده جاز قصر العدد فقط او الخوف وحده جاز قصر الصفة.

ولذلك أتى بصفة صلاة الخوف بعدها بقوله: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ أي: صليت بهم صلاة تقيمها وتنم ما يجب فيها ويلزم ، فعلمهم ما ينبغي لك ولهم فعله.

ثم فسر ذلك بقوله ﴿فَلَنْقُمَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ﴾ أي: وطائفة قائمة بإزاء العدو وكما يدل ذلك ما يأتي: ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ أي: الذين معك أي: أكملوا صلاتهم وعبر عن الصلاة بالسجود ليدل على فضل السجود ، وانه ركن من اركانها ، بل هو اعظم اركانها.

(فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا) وهم الطائفة الذين قاموا
إزاء العدو ﴿ فليصلوا معك ﴾ .

ودل ذلك على ان الامام يبقى بعد انصراف الطائفة الاولى منتظراً للطائفة
الثانية ، فإذا حضروا صلى بهم ما بقي من صلاته ثم جلس ينتظرهم حتى يكملوا
صلاتهم ، ثم يسلم بهم ، وهذا احد الوجوه في صلاة الخوف.

فإنها صحت عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة كلها جائزة ، وهذه الآية تدل على
ان صلاة الجماعة فرض عين من وجهين:

احدهما: ان الله تعالى امر بها في هذه الحالة الشديدة وقت اشتداد الخوف من
الاعداء وحذر مهاجمتهم.

والثاني: ان المصلين صلاة الخوف يتركون فيها كثيراً من الشروط واللوازم
وعفى فيها عن كثير من الافعال المبطللة في غيرها. وما ذاك الا لتأكد وجوب
الجماعة^(١).

والضرب في الارض: هو السفر ، وادنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر
عند ابي حنيفة: مسيرة ثلاثة ايام ولياليهن بسير الابل ومشى الاقدام على القصد ،
وقوله تعالى: ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ﴾ : ظاهرة التخيير بين
القصر والاتمام ، وإن الاتمام افضل^(٢).

(١) ينظر: تفسير السعدي: للسعدي: ص ٣٠٨-٣١٠.

(٢) ينظر: تفسير الكشاف: للزمخشري: ١٤٠ / ٢.

وروي عن النبي ﷺ انه اتم في السفر (١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾: يتعلق بظاهرة من لا يرى صلاة الخوف بعد رسول الله ﷺ حيث شرط كونه فيهم ، وقال من رآها بعده: إن الأئمة نواب عن رسول الله ﷺ في كل عصر ، قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له يتناولاً لكل إمام يكون حاضر الجماعة في حال الخوف ، عليه ان يؤمهم كما أم رسول الله ﷺ الجماعات التي كان يحضرها والضمير في (فيهم) للخائفين.

﴿فَلَنْتُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ﴾: فاجعلهم طائفتين فلتقم أحدهما معك فصل بهم ، وقوله ﴿وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾. فإن قلت: كيف جمع بين الاسلحة وبين الحذر في الاخذ؟

قلت: جعل الحذر وهو التحذر والتهيؤ يستعملها الغازي ، فلذلك جمع بينه وبين الاسلحة في الاخذ (٢).

وبمناسبة الحديث عن صلاة الضارب في الارض ، الخائف من فتنة الذين كفروا ، يجيء حكم صلاة الخوف في ارض المعركة ، وتحشد جنبات هذا الحكم الفقهي بلمسات نفسية وتربوية شتى:

(١) اخرجه الدار قطني في سننه (٣٢٩/١) رقم (٦٨٢) ، باب: صلاة المسافر: باب: قصر

الصلاة في السفر. والشافعي في مسنده (١٨٢/١) ، باب: في صلاة المسافر

(٢) ينظر: تفسير الكشاف ، للزمخشري: ٢ / ١٤٣

ويذكر سيد قطب (رحمه الله) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنُفِّخَنَّ مِنْهُمْ مَطَفًا مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾^(١)

ويقول: (إن المتأمل في اسرار هذا القرآن ، وفي اسرار المنهج الرباني للتربية المتمثل فيه ، يطلع على عجب من اللفظات النفسية ، النافذة الى اعماق الروح البشرية. ومنها هذه اللفظة في ساحة المعركة أي الصلاة ...

إن السياق القرآني لا يجيء بهذا النص هنا لمجرد بيان الحكم الفقهي في صفة صلاة الخوف ولكنه يحشد هذا النص في حملة التربية والتوجيه والتعليم والاعداد للصف المسلم وللجماعة المسلمة واول ما يلفت النظر هو الحرص على الصلاة في ساحة المعركة وهذا بديهي لان الصلاة سلاح من اسلحة المعركة. بل انها السلاح! فلا بد من تنظيم استخدام هذا السلاح، بما يتناسب مع طبيعة المعركة وجو المعركة.

والامر الثاني: هو التعبئة الروحية الكاملة تجاه العدو وهذا الحذر الذي يوصي المؤمنون به تجاه عدوهم الذي يتربص بهم لحظة غفلة واحدة عن اسلحتهم وامتعتهم يميل عليهم ميلة واحدة) (٢)

اما كيفية صلاة الخوف ، فتختلف فيها اراء الفقهاء ، اخذاً من هذا النص ، فتكتفي بالصفة العامة ، دون دخول في تفصيل الكيفيات المتنوعة.

(١) سورة النساء: ١٠٢.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن السيد قطب ٧٤٨/٢

﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا
أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا
فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾ (١).

المعنى: ان كنت فيهم فأمتمت في الصلاة ، فلتقم طائفة منهم تصلي معك
الركعة الاولى على حين تقف طائفة اخرى باسلحتها من ورائكم لحمايتكم. فاذا
اتمت الطائفة الاولى الركعة الاولى رجعت فاخذت مكان الحراسة ، وجاءت
الطائفة التي كانت في الحراسة ولم تصل. فلتصلي معك ركعة كذلك (وهنا يسلم
الامام اذ يكون قد اتم صلاته ركعتين).

عندئذ تجيء الطائفة الاولى فتقضي الركعة الثانية التي قامتها مع الامام وتسلم
- بينما تحرسها الطائفة الثانية - ثم تجيء الثانية فتقضي الركعة الاولى التي
فانتها وتسلم - بينما تحرسها الطائفة الاولى. وبذلك تكون الطائفتين قد صلتا
بامامة الرسول ﷺ وكذلك مع خلفائه وامراءه وامراء المسلمين منهم في كل
معركة (٢)

ويشترط في صلاة الخوف (ان يكون القتال مباحاً كقتال الكفار والبغاة
والمحاربين ومن عليهم باقي من يجوز قتاله بخلاف القتال المحرم نها رخصة فلا
تباح بمعصية) (٣)

(١) سورة النساء: ١٠٢

(٢) ينظر: في ظلال القرآن السيد قطب ٧٤٩/٢

(٣) ينظر: كشف القناع عن فتن الاقناع: منصور بن يونس البهوتي: ج ٢

حالتها في الكيفية^(١). والاية ضمن سلسلة من الايات فيها انتقال الى تشريع اخر بمناسبة ذكر السفر للخروج من سلطة الكفر على عادة القران في تفنين اغراضه، والتماس مناسبة^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ...﴾^(٣)

هذا خطاب للنبي ﷺ ان يصلي في الخوف بأصحابه واختلف اهل العلم فيه هل خص به النبي ﷺ؟ على قولين:

احدهما: انه خاص له وليس لغيره من امته أن يصلي في الخوف كصلاته لأن المشركين عزموا على الايقاع بالمسلمين إذا اشتغلوا بصلاتهم، فأطلع الله نبيه على سرائرهم وامره بالتحرز منهم، فكان ذلك سبب اسلام خالد بن الوليد، فلذلك صار هذا خاصاً للنبي ﷺ، وهذا القول محكي عن ابي يوسف.

والقول الثاني: ان ذلك عام للنبي ﷺ ولغيره من أمته إذا كان على مثل حاله في خوفه، لأن ذكر السبب الذي هو الخوف يوجب عليه متى وجد كما فعل الصحابه بعده حين خافوا وهو قول الجمهور.

(١) مفاتيح الغيب: ٣٦٢/٥

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٠/٤

(٣) سورة النساء: ١٠٢

وقوله تعالى: ﴿ فَلَنْقَمَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ ﴾^(١) يعني مع النبي ﷺ في الصلاة، وطائفة بإزاء العدو^(٢).

ثم قال تعالى: ﴿ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتِهِمْ ﴾^(٣): وفيها قولان أيضاً:-

أولاً: هي الطائفة التي كانت تصلي مع النبي ﷺ قال: ومعنى الكلام: ﴿ وَلْيَأْخُذُوا ﴾، يقول: ولتأخذ الطائفة المصلية معك من طوائفهم - ﴿ أَسْلِحَتِهِمْ ﴾، والسلاح الذي امروا بأخذه عندهم في صلاتهم، كالسيف يتقلده أحدهم، والسكين، والخنجر يشده إلى درعه وثيابه التي هي عليه، ونحو ذلك من سلاحه. ثانياً: بل الطائفة المأمورة بأخذ السلاح منهم: الطائفة التي كانت بإزاء العدو، دون المصلية مع رسول الله ﷺ وذلك قول ابن عباس^(٤).

وخلاصة القول في هذه الآيات أن الله سبحانه وتعالى يبين أن الصلاة فرض يجب على كل مسلم أن يؤديها في أوقاتها، ولا تسقط عنه بحال إلا في وقت القتال، ولا في السفر، ولكن شرع الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات القصر من الصلاة تخفيفاً على المسلمين عند الخوف من العدو إذا رأوا أنهم في وجه عدو يترصد بهم غفلة^(٥). أو يتربص فيهم خلاً، فيتخذ فرصة من اشتغالهم بالصلاة وطولها فينقض عليهم ويقتلهم فالله سبحانه فوت على الكافرين هذه الفرصة يجعل

(١) سورة النساء: ١٠٢.

(٢) ينظر: النكت والعيون: للماوردي: ٣٢٤/١.

(٣) سورة النساء: ١٠٢.

(٤) ينظر: جامع البيان: ١٤٢/٩.

(٥) ينظر: المفردات: للراغب: ص ٤٠٥.

الصلاة قصيرة، وذلك بترك بعض ركعاتها أو أركانها وهيئتها، حسب الحال التي يكون عليها المجاهدون مع عدوهم... فقد تكون بإشارة أو أيماء وقد تكون وقوفاً من غير ركوع أو سجود وقد تكون على ظهر فرس أو دابة... والأمر في هذا يترك لتقدير المقاتل المجاهد^(١). ثم بين الله سبحانه وتعالى كيف تصلي مع النبي ﷺ في ميدان القتال فقال: وإذا كنت فيهم يا محمد، أي: مع أصحابك في ساحة المعركة، وأردت ان تصلي بهم إماماً، فاجعلهم على قسمين:- قسم يقف معك في الصلاة ومعهم أسلحتهم، وقسم يرصد العدو ويحرسكم ومعهم أسلحتهم، فإذا صلى القسم الأول الركعة الأولى من الصلاة وأتموا السجود، ووقفوا للركعة الثانية، فليأخروا، فليتقدم القسم الثاني ويأخذ مكانه في الصلاة خلفك، آخذين حذرهم وأسلحتهم، ليصلوا الركعة الثانية، ثم تأتي الطائفة الأولى وتذهب الطائفة الثانية الى موضع العدو، حتى تقضي الطائفة الأولى الركعة الأخرى وتسلم، ثم تأتي الطائفة الثانية وتقضي الركعة الأولى وتسلم^(٢).

وعامة الفقهاء على انه سبحانه وتعالى علم الرسول ﷺ كيفيتها ليأتم به الأئمة بعده فانه نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره^(٣).

وذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ أن هذه الظاهرة (صلاة الخوف) انها متعلقة بظاهرة من لا يرى صلاة الخوف بعد رسول الله ﷺ، حيث شرط كونه فيهم، وقال من رآها بعده: إن الأئمة نواب عن رسول الله ﷺ في كل عصر قوام بما كان يقوم به رسول الله ﷺ، فكان الخطاب له

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب: ٨٨٢/٣.

(٢) التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب: ٨٨٢/٣.

(٣) ينظر: انوار التنزيل واسرار التأويل: للبيضاوي: ص ٢٤٦.

متتوالياً لكل امام يكون حاضر الجماعة في حال الخوف عليه ان يأمرهم كما أم رسول الله ﷺ الجماعات التي كان يحضرها. والضمير في ﴿ فِيهِمْ ﴾ للخائفين^(١).

وذكر الامام السمرقندي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ ﴾ يعني بالمؤمنين، ومعناه، اذا كنت بحضرة العدو وحضرت الصلاة ﴿ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ﴾ أي : جماعة منهم ﴿ مَعَكَ ﴾ في الصلاة ﴿ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ ﴾ يعني الذين يصلون معك، ويقال: وليأخذوا اسلحتهم الذين هم بازاء العدو ﴿ فَإِذَا سَجَدُوا ﴾ يعني: اذا صلوا الذين خلف الامام ركعة واحدة ﴿ فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ ﴾ أي : ينصرفون الى موقع العدو ويقفون هناك ﴿ وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا ﴾ كانوا بازاء العدو ﴿ فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ ﴾ ركعة اخرى.

وعن عبد الله ابن عمر وغيره، ان النبي ﷺ صلى صلاة الخوف حيث صلى بالطائفة الاولى ركعة، وبالطائفة الاخرى ركعة اخرى، ثم جاءت الطائفة الاولى وذهبت هذه الطائفة الى موضع العدو، حتى قضت الطائفة الاولى الركعة الاخرى، وسلموا ثم جاءت الطائفة الاخرى وقضوا الركعة الاولى وسلموا حتى صارت لكل طائفة ركعتان^(٢).

(١) ينظر: الكشاف: للزمخشري: ١٤٢/٣.

(٢) ينظر: بحر العلوم: للسمرقندي: ٣٨٢/١.

المطلب الثالث: رعاية الله للطائفة المجاهدة.

المتأمل في آيات القرآن الكريم يجد ان الله سبحانه وتعالى قد ذكر في العديد من آياته ، حفظه ورعايته للذين يجاهدون في سبيله وأعلاه كلمة التوحيد ونصرة دين سيدنا محمد ﷺ ، فجاءت الرعاية الالهية للطائفة المجاهدة في سبيل الله من خلال النعم العظيمة والشعور بالطمأنينة التي ذرعاها الله في نفوس المؤمنين الصابرين ومن هذه النعم نعمة النعاس الذي غشى الطائفة المؤمنة عندما ارادت النفوس ان تضعف بعض الشيء تجلت قدرة العظيم بأنزال نعمة النعاس الذي غشى المسلمين في غزوة بدر ثم غزوة احد ، وهي قصة حالة نفسية عجيبة لا تكون الا بأمر الله وقدره وتدبيره.

ففي بدر اتاهم النوم أمنة وأمناً ... وربط على قلوبهم ، ليبعد عنهم القلق والخوف ، وفي احد عقب هول الهزيمة وذعرها وهرجها ومرجها سكون عجيب. سكون في نفوس المؤمنين الذي تابوا الى ربهم وتابوا الى نبيهم ، لقد شملهم نعاس لطيف يستسلمون اليه مطمئنين.

وجاء معنى النعاس في معجم مقاييس اللغة لابن فارس:

نعاس: نعس: النون والعين والسين أصل يدل على وسن.

ونعس: ينعس ، نعاساً ، وناقاة نعوس ، توصف بالسماحة بالذر ، لأنها إذا ذرت نعست^(١).

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٣٤٤ / ٥.

فقد ورد ذكر النعاس الذي غشي المؤمنين في موضعين في القرآن الكريم
الموضع الاول في سورة الانفال التي تحدثت عن معركة بدر الكبرى ، لقوله
تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ
وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ (١)

والموضع الثاني الذي ذكر فيه النعاس في سورة آل عمران التي تحدثت عن
معركة احد ، لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يُغَشِّى طَائِفَةٌ
مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ (٢)

ويذكر سيد قطب (رحمه الله) في تفسيره للنعاس في الموضع الاول من سورة
الانفال من قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ
مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ
الْأَقْدَامَ ﴾ حيث يقول: (اما قصة النعاس الذي غشي المسلمين قبل المعركة فهي
قصة حالة نفسية عجيبة ، لا تكون الا بأمر الله وقدره وتدبيره لقد فزع
المسلمون وهم يرون انفسهم قلة في مواجهة خطر لم يحسبوا حسابه ولم يتخذوا له
عدته ... فإذا النعاس يغشاهم ، ثم يصحون منه والسكينه تغمر نفوسهم ،
والطمأنينة تفيض على قلوبهم (وهكذا كان يوم احد .. تكرر الفزع وتكرر النعاس
، وتكررت الطمأنينة) ويقول سيد قطب : ولقد كنت امر على هذه الايات ، وقرأ
اخبار هذا النعاس ، فأدركه حادث وقع يعلم الله سره ، ويحكي لنا خبره .. ثم إذا
بي اقع في شدة ، وتمر على لحظات من الضيق المكتوم ، والتوجس القلق ، في

(١) سورة الأنفال: ١١.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٤.

ساعة غروب .. ثم تدركني سنة من النوم لا تتعدى بضع دقائق .. واصحوا انسان جديداً غير الذي كان . ساكن النفس . مطمئن القلب . مستغرقاً في الطمأنينة الواثقة العميقة كيف تم هذا ؟ كيف وقع هذا التحول المفاجئ ؟ لست ادري ! ولكن بعدها ادرك قصة بدر واحد . ادركها في هذه المرة بكياني كله لابعقلي .

واستشعرها حية في حسي لامجرد تصور . وارى فيها يد الله وهي تعمل عملها الخفي المباشر ويطمئن قلبي .

لقد كانت هذه الغشبية ، وهذه الطمأنينة ، مدداً من امداد الله للعصبة المسلمة يوم بدر . فقوله تعالى : ﴿ اذِ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسَ اَمْنَةً مِّنْهُ ﴾ ولفظ ﴿ يُغَشِّكُمُ ﴾ ولفظ ﴿ النُّعَاسَ ﴾ ولفظ ﴿ اَمْنَةً ﴾ .. كلها تشترك في الإلقاء ظل لطيف شفيف ، وترسم الظل العام للمشهد ، وتصور حال المؤمنين يومذاك ، وتجلي قيمة هذه اللحظة النفسية الفاصلة بين حال للمسلمين وحال (١).

ومن نصره واستجابة لدعائكم ان انزل عليكم نعاساً يغشيكم ، أي: يذهب ما في قلوبكم من الخوف والوجل ويكون امانة لكم وعلامة على النصر والطمأنينة النفسية (٢).

وقوله تعالى : ﴿ اذِ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسَ اَمْنَةً مِّنْهُ ﴾ أي: من قبل الله ، واعلم ان كل نوم ونعاس فإنه لا يحصل الا من قبل الله تعالى فتخصيص هذا النعاس بانه من الله تعالى لابد فيه من فائدة وذكر فيه وجوهاً:

(١) ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب ٣ / ١٤٦٤

(٢) ينظر: تفسير السعدي: للسعدي: ٣ / ٢

احدها: ان الخائق إذا خاف من عدوه الخوف الشديد على نفسه واهله فانه لا يؤخذه النوم ، وإذا نام الخائفون أمنوا.

وثانيها: انهم خافوا من جهات كثيرة. **احدها:** قلة المسلمين وكثرة الكفار. **وثانيها:** الأهبة والالة والعدة للكافرين وقتلتها للمؤمنين. **وثالثها:** العطش الشديد. فلولا حصول هذا النعاس وحصول الاستراحة حتى تمكنوا في اليوم الثاني من القتال لما تم الظفر.

الوجه الثالث: في بيان كون ذلك النعاس نعمة في حقهم

الوجه الرابع: أن غشيم هذا النعاس دفعة واحدة مع كثرتهم ، وحصول النعاس للجمع العظيم في الخوف الشديد امر فارق للعادة. فلهذا السبب قيل: ان ذلك النعاس كان في حكم المعجز.

فان قيل: فان كان الامر كما ذكر فلما خافوا بعد ذلك النعاس؟ الجواب: لأن المعلوم ان الله تعالى يجعل جند الاسلام مظفراً ومنصوراً وذلك لا يمنع من سيرورة قوم منهم مقتولين^(١)

ويقول تعالى: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبِكُمْ﴾ ﴿إِذْ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسَ﴾ ، ويعني بقوله ﴿يُغَشِّكُمُ النُّعَاسَ﴾ يلقى عليكم النعاس ﴿أَمَنَةً﴾ يقول: أماناً من الله لكم من عدوكم ان يغلبكم ، وكذلك النعاس في الحرب امانة من الله عز وجل^(٢).

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي: ١٣٦ - ١٣٧.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن: ١١ / ٥٩

وأختلفت القراءة في قراءة قوله : ﴿ إِذِ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ ، فقراً ذلك عامة قرأة اهل المدينة : ﴿ إِذِ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسَ ﴾ وضم الياء وتخفيف الشين ونصب النعاس ، من اغشاهم الله النعاس ، فهو يغشيههم (١)

وقرأته عامة قرأة الكوفيين : ﴿ يُغَشِّكُمُ ﴾ بضم الياء وتشديد الشين من غشاهم الله النعاس ، فهو يغشيههم (٢) .

وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين (يَغْشَاكُمُ النُّعَاسَ) بفتح الياء ورفع النعاس ، بمعنى غشيهم النعاس ، فهو يغشاهم (٣) واستشهد هؤلاء لصحة قراءتهم كذلك بقوله في ال عمران : ﴿ يَغْشَى طَائِفَةً ﴾ (٤)

وأولى ذلك بالصواب ﴿ إِذِ يُغَشِّكُمُ ﴾

وندرك مرة اخرى ، حكمة النعاس الذي غشى جنود المسلمين في غزوة بدر ، فلقد كانوا قلة امام اعدائهم الكافرين - فأمن بالنعاس خوفهم وجدد قواهم ، فأنصرفوا على اعدائهم لقوله تعالى : ﴿ إِذِ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ (٥) (٦) .

(١) قراءة نافع : ينظر : السبعة ص ٣٠٤ ، والكشف ١/٤٩٠

(٢) قراءة عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي ينظر: المصدرين السابقين : ص ٣٠٤ ، والكشف ١/٤٩٠ .

(٣) القراءات كلها صواب ومقروء بها

(٤) سورة آل عمران : ١٥٤ .

(٥) سورة الأنفال : ١١

(٦) من كتاب بحوث في النوم والتنويم المغناطيسي: للدكتور أنور حمدي ، ص ٧٨ .

اما الموضع الثاني الذي ذكر فيه نعمة النعاس الذي غشي المؤمنين في سورة
ال عمران من قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَدِّ الْأَعْمَىٰ نُعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةٌ
مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ... ﴾ (١).

ويذكر سيد قطب (رحمه الله) في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ
بَدِّ الْأَعْمَىٰ نُعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ﴾ (٢) وهي ظاهرة عجيبة تشي برحمة
الله التي تحف بعباده المؤمنين ، فالنعاس حين يلج بالمجاهدين المرهقين المفزوعين
، ولو لحظه واحدة ، يفعل في كيانهم فعل السحر ، ويردهم خلق جديداً ويسكب في
قلوبهم الطمأنينة ، كما يسكب في كيانهم الراحة بطريقة مجهولة الكنه والكيف!

روى الترمذي والنسائي والحاكم من حديث حماد ابن سلمة عن ثابت عن انس
عن ابي طلحة قال : رفعت رأسي يوم احد ، وجعلت انظر ، وما منهم يومئذ احد
الا يميل تحت جحفته من النعاس.

وفي رواية اخرى عن ابي طلحة : غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم احد ،
فجعل سيفي يسقط من يدي واخذه، ويسقط واخذه ... اما الطائفة الاخرى ، فهم
ذوو الايمان المزعزع ، الذين شغلتهم انفسهم واهمتهم ، والذين لم يتخلصوا من
تصورات الجاهلية ، ولم يسلموا انفسهم كلها لله خالصة ، ولم يستسلموا بكليتهم
لقدره ، ولم تطمئن قلوبهم الى ان ما اصابهم انما هو ابتلاء للتمحيص ، وليس
تخلياً من الله عن اوليائه لاعدائه ، ولا قضاء منه - سبحانه - للكفر والشر والباطل
بالغلبة الاخيرة والنصر الكامل لقوله تعالى : ﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ

(١) سورة آل عمران: ١٥٤

(٢) سورة آل عمران: ١٥٤

يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ﴿١﴾؟ تلك

الطائفة الاخرى التي يتحدث عنها القرآن في هذا الموقع طائفة الذين شغلتهم انفسهم واهمتهم فهم في قلق وفي ارجحة ، يحسون انهم مضيعون في امر غير واضح في تصورهم ، يرون انهم دفعوا الى المعركة دفعاً ولا إرادة لهم فيها، وهم مع ذلك يتعرضون للبلاء المرير ويؤدون الثمن فادحاً من القتل والقرح والالم ... وهم لا يعرفون الله على حقيقته فهم يظنون بالله غير الحق كما تظن الجاهلية (٢)

يقول تعالى : ممتناً على عباده فيما انزل عليهم من السكينة والامنة ، وهو النعاس الذي غشيهم ، وهم مستلثموا السلاح في حال همهم وغمهم ، والنعاس في مثل تلك الحال دليل على الامان ، كما قال تعالى في سورة الأنفال في قصة بدر

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً﴾ (٣)

وقال البخاري (٤) وقال لي خليفة : حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن انس ، عن ابي طلحة (رضي الله عنه) قال : كنت فيمن تغشاه النعاس يوم احد ، حتى سقط سيفي من يدي مراراً ، يسقط واخذه ويسقط واخذه .

(١) سورة آل عمران: ١٥٤

(٢) ينظر : في ظلال القرآن : سيد قطب : ص ٤٩٥/١

(٣) سورة الأنفال: ١١

(٤) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب (ثم انزل عليكم) (٤٠٦٨) واخرجه

ايضاً (٤٥٦٢)

وقد رواه الترمذي والنسائي ، والحاكم^(١) من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن انس ، عن ابي طلحة ، قال: رفعت رأسي يوم احد ، وجعلت انظر ، وما منهم يومئذ احد الا يمد تحت حجفته من النعاس . لفظ الترمذي وقال : حسن صحيح .

ورواه النسائي ايضاً^(٢) عن محمد بن المثنى ، عن خالد بن الحارث ، عن قتيبة ، عن ابن ابي عدي ، كلاهما عن حميد ، عن انس ، قال : ابو طلحة : كنت فيمن ألقى عليه النعاس الحديث .

وقال البيهقي^(٣): اخبرنا ابو عبد الله الحافظ ، اخبرني ابو الحسين محمد بن يعقوب ، اخبرنا محمد بن اسحاق الثقفي ، حدثنا محمد بن عبد الله المبارك المخزومي ، حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا شيبان ، عن قتادة ، حدثنا انس بن مالك ، ان ابا طلحة قال: غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم احد ، فجعل سيفي يسقط من يدي واخذه ، ويسقط واخذه. قال: والطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم

(١) اخرجه الترمذي (٣٠٠٧) والنسائي كما في التحفة (٣٧٧١/٣) ، والحاكم في المستدرک (٢٩٧/٢) وصححه على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وقال الترمذي : (حديث حسن صحيح) .

(٢) اخرجه النسائي في (الكبرى) كما في التحفة (٣٧٧١/٣) وكذا اخرجه ابن جرير (٨٠٧٤/٧) ثنا ابن بشار قال : حدثنا ابن ابي عدي عن حميد به .

(٣) (دلائل النبوة) . للبيهقي (٢٧٣/٣ ، ٢٧٤) ، واخرجه ابن حبان في صحيحه (٧١٨٠/١٦)

هم الا انفسهم اجبن قوم وارعه و اخذله للحق (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) كذبة ، اهل شك وريب في الله عز وجل^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَدِّ الْأَمْنَةِ نَعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ ﴾. يعني اهل الايمان واليقين والثبات والتوكل الصادق ، وهم الجازمون بأن الله عز وجل سينصر رسوله ، وينجز له مأموله ، ولهذا قال : (وطائفة قد أهتمهم أنفسهم) يعني لا يغشاهم النعاس ، القلق والجزع والخوف^(٢).

والطائفة التي انعم الله عليها بالنعاس هم المؤمنون الذين ليس لهم هم الا إقامة دين الله ، ورضا الله ورسوله ، ومصالحة إخوانهم المسلمين.

واما الطائفة الاخرى الذين ﴿ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ فليس لهم هم في غيرها ، لنفاقهم او ضعف ايمانهم ، فلماذا لم يصبهم من النعاس ما أصاب غيرهم لأنهم اساءوا والظن بربهم وبدينه ونبيه^(٣).

وإنما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ، ولا على ما أصابكم من غلبة العدو ، وأنزل الله الأمن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم^(٤).

(١) تفسير ابن ابي حاتم (١٦٩٧/٢) ومن طريق ابن اسحاق اخرج ابن جرير (٨٠٩٤/٧) وابو نعيم والبيهقي في (دلائل النبوة) (ص ٤٢١) (٢٧٣/٣) ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور ١٥٦/٢ الى اسحاق بن راهوية وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: لأبن كثير: ٢٢٨/٣

(٣) ينظر: تفسير السعدي: للسعدي: ٢٢٠/٤

(٤) ينظر: الكشف: للزمخشري: ٦٤٢/١

وعن الزبير (رضي الله عنه): لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين أشتد علينا الخوف ، فأرسل الله علينا النوم ، والله إني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشائي: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾ (١).

وقد اختلف في قراءة قوله ﴿يَغْشَى﴾ ، فقرأ عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة وبعض الكوفيين بالتذكير ﴿يَغْشَى﴾ ، وقرأ جماعة من قراء الكوفيين بالتأنيث (تغشى) بالتاء لكل من حمزة ، والكسائي ، وخلف (٢).

والطائفة التي اهتمهم انفسهم يعني بهم المنافقين ، وكانوا قد خرجوا طمعاً في الغنيمة فلم يغشهم النعاس وجعلوا يتأسفون على الحضور ويقولون الاقاويل (٣).

ثم ذكر سبحانه ان تلك الامنة لم تكن عامة بل كانت لأهل الاخلاص وبقي اهل النفاق في خوف وفزع فقال: ﴿يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ﴾ أي: فريقاً منكم وهم المؤمنين المخلصون ، ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: جماعة اخرى حملتهم انفسهم على الهزيمة فلا رغبة لهم الا النجاة وهم المنافقون ، وكان السبب في ذلك توعده المشركين بالرجوع للقتال ، ففقد المؤمنون متهيئين للحرب فانزل الله عليهم الأمانة فناموا (٤).

(١) أخرجه ابن ابي حاتم في تفسيره (٢/٦٢٠) ، رقم (١٦٩٧).

(٢) ينظر: التسهيل لقراءات التنزيل: محمد فهد فاروف: ص ٧٠.

(٣) ينظر: جامع البيان: للطبري: ٦٢ / ٣

(٤) ينظر: صفوة التفاسير: للصابوني: ١ / ١٧٨

وذكر الامام الرازي (رحمه الله) في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا نُعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ...﴾ (١).

(واعلم ان الذين كانوا مع الرسول ﷺ يوم احد فريقان : احدهما :الذين كانوا مع الرسول ﷺ وجازمين انه نبي حق من عند الله وانه لاينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ، وكانوا قد سمعوا من النبي ﷺ ان الله تعالى ينصر هذا الدين ويظهره على سائر الاديان ، فكانوا قاطعين بأن هذه الواقعة لاتؤدي الى الاستئصال ، فلا جرم كانوا آمنين ، وبلغ ذلك الامن الى حيث غشيهم النعاس ، ، فإن النوم لايجئ مع الخوف ، فمجيئ النوم يدل على زوال الخوف بالكلية ، فقال ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا نُعَاسًا﴾ في احد ، وقال في قصة بدر ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمْنًا مِنْهُ﴾ ففي قصة احد قدم الامنة على النعاس ، وفي قصة بدر قدم النعاس على الأمانة .

واما الطائفة الثانية وهم المنافقون الذين كانوا شاكين في نبوة النبي عليه السلام ، وما حضروا الا لطلب الغنيمة ، فهؤلاء اشتد جزعهم وعظم خوفهم ، ثم انه تعالى وصف حال كل واحد من هاتين الطائفتين ، فقال في صفة المؤمنين ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا نُعَاسًا﴾ وفيه مسائل :

المسألة الاولى: قال الواحدي (الأمانة) مصدر كالامن ، ومثله من المصادر العظمة والغلبة ، وقال الجبائي : يقال : أمن فلان يأمن أمناً وأمانة وأماناً

المسألة الثانية: قال صاحب الكشاف : قرئ (أمنة) بسكون الميم لأنها المرة من الأمن .

المسألة الثالثة: في قوله تعالى (نعاساً) وجهان : احدهما : ان يكون بدلاً من أمنة، والثاني : ان يكون مفعولاً ، وعلى هذا التقرير ففي قوله (أمنة) وجوه : أحدهما : ان تكون حالاً منه مقدمة عليه ، كقولك رأيت ركباً رجلاً ، وثانيها : ان يكون مفعولاً له بمعنى نعستم أمنة ، وثالثها : ان يكون حالاً من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة.

ثم قال تعالى : ﴿ يَغْشَى طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ﴾ وفيه مسألتان:

المسألة الاولى: قد ذكرنا ان هذه الطائفة هم المؤمنون الذين كانوا على البصيرة في ايمانهم ، والنعاس في القتال أمنة لأنه في القتال لا يكون الا من غاية الوثوق بالله والفراغ عن الدنيا.

واعلم ان ذلك النعاس فيه فوائد: احدها: ان وقع على كافة المؤمنين لا على الحد المعتاد ، فكان ذلك معجزة ظاهرة للنبي ﷺ.

وثانيها: ان الارق والسهر يوجبان الضعف والكلال ، والنوم يغير عود القوة والنشاط واشتداد القوة والقدرة ، **وثالثها:** ان الكفار لما اشتغلوا بقتل المسلمين القى الله النوم على عين من بقى منهم لئلا يشاهدوا قتل اعزتهم فيشتد الخوف والجبن في قلوبهم ، **ورابعها:** ان الاعداء كانوا في غاية الحرص على قتلهم فبقاؤهم في النوم مع السلاح في تلك مثل المعركة من ادل الدلائل على ان حفظ الله وعصمته معهم.

المسألة الثانية: قرأ حمزة والكسائي (تغشي) بالتاء رداً على الامنة ، والباقون بالياء رداً على النعاس ، وهو اختيار ابي حاتم وخلف وابي عبيد.

واعلم ان الامنة والنعاس كل واحد منهما يدل على الاخر ، فلا جرم يحسن رد الكناية الى ايهما شئت.

ثم قال تعالى: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ وفيه مسألتان:

المسألة الاولى: هؤلاء هم المنافقون عبد الله بن ابي سلول ، ومعتب بن قشير واصحابهما.

المسألة الثانية: (طائفة) رفع بالابتداء وخبره (يظنون) وقيل خبره (اهتمتم انفسهم) (١).

(١) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب: للرازي: ٩/ ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨.

الفصل الثاني

الطائفة (من اليهود والنصارى) من (بنى إسرائيل)

المبحث الاول: الطائفة من اليهود والنصارى

المطلب الاول: الطائفة المستضعفة في عهد فرعون

المطلب الثاني: الطائفة المؤمنة بعيسى (عليه السلام) والطائفة الجاحدة.

المبحث الثاني: الأمم السابقة وانقسامها الى طائفة مؤمنة وكافرة

المطلب الاول: أنزال الكتب السابقة على طائفتي اليهود والنصارى

المطلب الثاني: أنقسام قوم سيدنا شعيب الى طائفتين مؤمنة وكافرة

تمهيد:-

كان بنو إسرائيل طوائف شتى منهم الطائفة المستضعفة التي استضعفها فرعون ومنهم المؤمنة والطائفة الجاحدة الى غير ذلك، من الطوائف التي اجملها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾^(١) كما إننا نقرأ في آيات الطوائف التي تتعلق باليهود والنصارى وكان العرب أيام النبي ﷺ يعرفونها ويعرفون أخبارها وما انزل عليها من التوراة والانجيل وكانوا يظنون كظن اليهود والنصارى أن لا كتب منزل بعد التوراة والانجيل ويحتجون أنها اخر ما نزل. وقد ردّ عليهم القرآن الكريم وفندّ مزاعمهم وظنونهم التي لاتغني عن الحق شيئاً. وهو ما نتناول بيانه في هذا الفصل وذلك وفق المباحث والمطالب الآتية:-

المبحث الاول: الطائفة من اليهود والنصارى

إن قراءة القرآن ودراسته وتدبره والعمل به هو بداية الطريق للخلاص من الذل ، إننا حين ننظر في قصة فرعون وجبروته وبطشه وتنكيله وتفشيهِ للفساد والاجرام وفرض ذلك على الناس... ثم موقف الشعب من ذلك ثم كيف تكون النهايات إذا تأملنا ذلك بتدبر ووعي ، سندرك جيداً فعل الله عز وجل وتقديره في ذلك الظلم والطغيان وتدمير البغي والعدوان وهو في كمال قوته وجبروته ، وكيف ينصر الله المستضعفين الذين لا حول لهم ولا قوة.

(١) سورة القصص: ٤

اما النصارى فأننا لا نجد امة عندها من الاختلاف في دينها ، كما عند النصارى في دينهم ، وخلافهم لا يكاد ينحصر ، وقد بدء حول شخص المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - وحقيقة الرب سبحانه وتعالى ، وروح القدس ، وتشعب الى كل فروع دينهم ، ولا يوجد فرقة منهم الا وهي تكفر الاخرى وتلعنها.

المطلب الاول: الطائفة المستضعفة في عهد فرعون:

قال تعالى: ﴿ طَسَمَ (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِنْبِ الْمِينِ (٢) نَتَلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (١).

كان بنو إسرائيل طوائف كثيرة ومختلفة ، وقد كان سبب في ذلك كما بينه القرآن الكريم إن فرعون لما علا في الارض وتجبر فرق شعبه الى طوائف منها طائفة بنو اسرائيل ، والطوائف الاخرى من شعب فرقا واحزابا متعددة واغرى بينهم العداوة والبغضاء ، كيلا يتفقوا على أمر وأحد ولا يجتمعوا على رأي ، ويشغل بعضهم بالكيد لبعض وبذا يلين له قيادهم ، ولا يصعب عليه خضوعهم وأستلامهم.

(١) سورة القصص: ٦-١

ابتدعت القصة بذكر أسبابها لتكون عبرة للمؤمنين يتخذون منها سنناً يعلمون بها علل الأشياء ومعلولاتها ، ويسيرونها في شؤونهم على طرائقها ، فلولا تجبر فرعون وهو من قبيل الخلال من حلّ به وبقومه الاستئصال ، ولما خرج بنو إسرائيل من ذل العبودية . وهذا مصدق المثل : (مصائب قوم عند قوم فوائد) وقوله تعالى : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ (١)

وصورت عظمة فرعون في الدنيا بقوله تعالى : ﴿ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ، لتكون العبرة بهلاكه بعد ذلك العلو أكبر العبر .

ومعنى العلو هنا (الكبر) وهو المذموم من العلو المعنوي كالذي في قوله تعالى : ﴿ بَجَعَلْهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ ﴾ ومعناه : ان يستشعر نفسه عالياً على موضع غيره ليس يساويه احد ، فالعلو مستعار لمعنى التفوق على غيره .

وفرعون هذا هو (عمسيس) الثاني وهو الملك الثالث من ملوك العائلة التاسعة عشرة في اصطلاح المؤرخين للفراعنة ، وكان فاتحاً كبيراً شديداً السطوة وهو الذي وُلد موسى عليه السلام في زمانه على التحقيق .

والارض : هي ارض مصر ، فالتعريف فيها للعهد لان ذكر فرعون يجعلها معهودة عند السامع لان اسم فرعون اسم ملك مصر ويجوز ان تجعل المراد بالارض جميع الارض يعني المشهور المعروف منها .

والشيعية : الجماعة التي تشايح غيرها على ما يريد أي تتابعه وتتصره . كما قال تعالى : ﴿ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾^(١) . ﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾^(٢)

والطائفة المستضعفة هي طائفة بني اسرائيل ، وضمير منهم عائد الى اهلها لا الى شيعاً ، وجملة : انه كان من المفسدين (تعليل لجملة) ان فرعون علا في الارض^(٣)

ويذكر سيد قطب في تفسيره ويقول : (قبل ان يبدأ القصة يرسم الجو الذي تدور فيه الاحداث ، والظرف الذي يجري فيه القصة ، ويكشف عن الغاية المخبوءة وراء الاحداث ، والتي من اجلها يسوق هذا القصة .. وهي طريقه من طرق العرض القرآني للقصة تساوت موضوعها واهدافها في هذا الموضوع من القرآن : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾^(٤) وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾^(٥) وَنُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَرَبِّي فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾^(٤)

وهكذا يرسم المسرح الذي تجري فيه الحوادث ، وتتكشف اليد التي تجريها . ولا يعرف على وجه التحديد من هو الفرعون الذي تجري حوادث القصة في

(١) سورة القصص: ١٥

(٢) سورة الروم: ٣٢ .

(٣) ينظر: التحرير والتنوير :لابن عاشور : ٦٦/٢٠

(٤) سورة القصص: ٤ - ٦

عهده ، فالتحديد التاريخي ليست هدفاً من اهداف القصة القرآنية ، ولا يزيد في دلالتها شيئاً ويكفي ان نعلم ان هذا كان بعد زمان يوسف - عليه السلام - الذي استقدمه أباه وإخوته. وأبوه يعقوب هو (إسرائيل) وهؤلاء كانوا ذريته . وقد تكاثروا في مصر واصبحوا شعباً كبيراً .

ولم كان ذلك الفرعون الطاغية علا في الارض وتكبر وتجر ، وجعل اهل مصر شيعاً ، وكل طائفة في شأن من شؤونه . ووقع اشد الاضطهاد والبغي على بني إسرائيل ، لان لهم عقيدة غير عقيدته هو وقومه ، فهم يدينون بدين جدهم إبراهيم وأبيهم يعقوب ، ومهما يكن قد وقع في عقيدتهم من فساد وانحراف فقد بقي لها اصل الاعتقاد بالله واحد ، وإنكار الوهية فرعون والوثنية الفرعونية جميعاً. وكذلك أحس الطاغية ان هناك خطر على عرشه وملكه من وجود هذه الطائفة في مصر ، ولم يكن يستطيع ان يطردهم منها وهم جماعة كبيرة اصبحت تعد مئات الالوف ، فأبتكر عندئذ طريقة جهنمية خبيثة للقضاء على الخطر الذي يتوقعه من هذه الطائفة التي لاتعبده ولا تعتقد بالوهية ، تلك هي تسخيرهم في الشاق الخطر من الاعمال ، واستذلالهم وتعذيبهم بشتى انواع العذاب . وبعد ذلك كله تذبيح الذكور من اطفالهم عند ولادتهم ، واستبقاء الاناث كي لايتكاثر عدد الرجال فيهم.)^(١) وعليه فأن فعل فرعون هذا اشتمل على مفسد عظيمة :

المفسدة الاولى : التكبر والتجبر فإنه مفسدة عظيمة تتولد منها مفسد جمة من احتقار الناس والاستخفاف بحقوقهم وسوء معاشرتهم وبث عداوته فيهم ، وفي ذلك بئس الرعب في نفوسهم من بطشة وجبروته ، فهذه الصفة هي ام المفسد وجماعها ولذلك قدمت على ما يذكر بعدها .

(١) ينظر: في ظلال القرآن : السيد قطب : ٢٦٧٧/٥

المفسدة الثانية : أنه جعل اهل المملكة شيعياً ومزقهم اقساماً وجعل منهم شيعياً مقربين منه ويفهم منه انه جعل بعضهم بصد ذلك ، وذلك فساد في الامة لانه يثير بينهما التحاسد والتباغض ، ويجعل بعضها يتربص الدوائر ببعض ، وهكذا يذهب الزمان في مكائد بعضهم لبعض فيكون بعضهم لبعض فتنة

المفسدة الثالثة : انه يستضعف طائفة من اهل مملكته فيجعلها محقرة مهضومة الجانب لامساواة بينها وبين فرق اخرى ، ولا عدل في معاملتها بما يعامل الفرق الاخرى .

والمراد بالطائفة : بنو إسرائيل وقد كانوا قطنوا في ارض مصر برضى ملكها في زمن يوسف - عليه السلام - واعطوا ارض (جاسان) وعمرها وتكاثروا فيها. وقد اشار الى هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾ إذا جعلها من اهل الارض الذين جعلهم فرعون شيعياً .

واشار بقوله طائفة الى انه يستضعف فريقاً كاملاً ، ومن اجل ذلك الاستضعاف المنوط بالعنصرية اجرى شدته على افراد تلك الطائفة دون تمييز بين مستحق وغيره .

المفسدة الرابعة : انه يذبح ابناءهم أي : يأمر بذبجهم ، بأسناد الذبح إليه مجاز عقلي ، والمراد بالابناء : الذكور من الاطفال ، وقصده من ذلك ان لا تكون لبني اسرائيل قوة من رجال قبيلتهم حتى يكون النفوذ في الارض لقومه خاصة .

المفسدة الخامسة : انه يستحي النساء ، أي يستبقي حياة الإناث من الاطفال ، فأطلق عليهم اسم النساء باعتبار المال إيماء الى انه يستحيهن ليصرن نساء فتصلحن لما تصلح له من النساء وهو ان يصرن بغايا اذ ليست لهن ازواج . واذا

كان احتقارهن بصد قومه عن التزوج بهن فلم يبق لهن حظ من رجال القوم الا قضاء الشهوة ، وباعتبار هذا المقصد انقلب الاستيحاء مفسدة بمنزلة تذييح الابناء اذ كل ذلك اعتداء على الحق (١)

وقوله ﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ وتلك الطائفة ، هم بنو إسرائيل ، الذين فضلهم الله على العالمين ، الذين ينبغي له ان يكرمهم ويجلهم ، ولكنه استضعفهم بحيث انه راي انهم لاصفة لهم لمنعم مما اراده فيهم ، فصار لايبالي بهم ، ولا يهتم بشأنهم ، وبلغت به الحال الى انه يذبح ابنائهم ويستحي نساءهم خوفاً من ان يكثروا ، فيغمروه في بلاده ، ويصير لهم الملك (٢) وقوله : ﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ

مِّنْهُمْ﴾ ، يعني : بني إسرائيل ، كانوا في ذلك الوقت خيار اهل زمانهم ، فهذا ، وقد سلط عليهم هذا الملك الجبار العنيد ، يستعملهم في اخس الاعمال ، ويكدهم ليلاً ونهاراً في اشغاله واشغال رعيته ، ويقتل ابنائهم ويستحي نساءهم ، إهانة لهم واحتقاراً وخوفاً من ان يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف منه هو واهل مملكته من ان يوجد منهم غلام يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه ، فلذلك امر بقتل ذكر بني إسرائيل ، ولن ينفع حذر من قدر ، لان اجل الله اذا جاءك لا يؤخر ، ولكل اجل كتاب (٣) وجاء في معنى قوله تعالى : ﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾

حين جعلهم في الاعمال القذرة ، وجعل لا يولد لبني إسرائيل مولود الا ذبح ، فلا يكبر الصغير ، وقذف الله في مشيخة بني إسرائيل الموت ، فأسرع فيهم ، فدخل رؤوس القبط على فرعون فكلموه ، فقالوا : ان هؤلاء القوم قد وقع فيهم الموت

(١) ينظر: التحرير والتنوير : لابن عاشور : ٧٠/٢٠

(٢) ينظر: تفسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم المنان : للسعدي : ٢٢٢/٣

(٣) ينظر: تفسير القران العظيم : لابن كثير : ٤٤٢/١٠

فيوشك ان يقع العمل على غلماننا بذبح ابناءهم ، فلا يبلغ الصغار فيعنيون الكبار ، فلو انك كنت تبقي من اولادهم ؟ فأمر ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة. (١) وذكر الامام الطبري (رحمه الله) في تأويل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يذَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٢) أي ان فرعون تجبر في ارض مصر وتكبر وعلا اهلها وقهرهم ، حتى اقروا له بالعبودة (٣)

كما حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا اسباط عن السدي : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ بقوله : تجبر في الارض (٤)

وحدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة : (ان فرعون علا في الارض) أي : بغى في الارض (٥)

وقوله ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ يعني : بالشيع الفرق : يقول : وجعل اهلها فرقا متفرقين (٦) كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ . اي : فرقا ، يذبح طائفة منهم ، ويستحي طائفة ،

(١) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور : للسيوطي : ٤٢٢/١١

(٢) سورة القصص : ٤

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن : للطبري : ١٥٠/١٨

(٤) اخرجه المصنف في تاريخه ٣٨٨/١ بأسناد السدي المعروف ، واخرجه ابن ابي حاتم في تفسيره ٢٩٣٨/٩/٢٩٣٩ من طريق عمرو بن حماد .

(٥) اخرجه ابن ابي حاتم في تفسيره ٢٩٣٩/٩ من طريقه يزيد به .

(٦) ينظر : المصدر السابق نفسه : ٢٩٣٩/٩ .

ويعذب طائفة ، ويستعبد طائفة ، قال تعالى : ﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ

كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١)

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ والمراد به قوة الملك والعلو في الارض يعني ارض مملكته ، ثم فصل الله تعالى بعض ذلك بقوله : ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ أي : فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك احد منهم مخالفته او يشيع بعضهم بعضاً في استخدامه فقد اغرى بينهم العداوة ليكونوا له اطوع او المراد ما فسره بقوله : ﴿ يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ ﴾ أي : يستخدمهم ويذبح ابناءهم ويستحي نساءهم ، وقوله ﴿ يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ ﴾ تلك الطائفة ، بنو إسرائيل (٢)

والمأمل فيما جاء من آيات الذكر الحكيم بحق فرعون يجد أن هذه الأقاويل الثلاثة يمكن أن تجمع في معنى واحد فقد استعبد فرعون بني اسرائيل وقتل أولادهم ، كما أنه كفر وإدعاء الربوبية كل ذلك غروراً بملكه وسلطانه.

(١) اخرجه ابن ابي حاتم في تفسيره ٢٩٣٩/٩ من طريقه سعيد بن بشر عن قتادة ، وعزاه

السيوطي في الدر المنثور ١٢٠/٥ الى عبد بن حميد .

(٢) ينظر : مفاتيح الغيب : للرازي : ٢٤/٢٥ .

والمراد بـ﴿الْأَرْضِ﴾ أرض مصر لأن فرعون ملك مصر، ولم يملك الأرض كلها ومصر تسمى الأرض ولذلك قيل لبعض نواحيها الصعيد^(١).

والمراد قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾^(٢) يعني: بني إسرائيل^(٣). حين جعلهم في الاعمال القذرة^(٤).

و﴿شِيَعًا﴾: الفرق^(٥) أي: فرقاً وأصنافاً في الخدمة^(٦). والمعنى: فرقاً يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم مخالفته أو يشيع بعضهم بعضاً

(١) النكت والعيون: الماوردي: ٢٦٤/٣. والصعيد: بمصر بلاد واسعة كبيرة فيها عدة مدن عظام منها أسوان وهي أوله من ناحية الجنوب ثم قوص وقفت وأخميم والبهنسا وغير ذلك وهي تنقسم ثلاثة أقسام الصعيد الأعلى وحده أسوان وآخره عند أخميم. والثاني: من أخميم إلى البهنسا والادنى من البهنسا إلى قرب الفسطاط. والصعيد في جنوبي الفسطاط ولاية يكتنفها جبلان والنيل يجري بينهما والقرى والمدن شائعة على النيل من جانبية وبنحو منه الجنان مشرفة والرياض بجوانبه محدقة أشبه شيء بأرض العراق ما بين واسط والبصرة. ينظر: معجم البلدان: ٤٠٨/٣.

(٢) سورة القصص: ٤

(٣) ينظر: غريب القرآن: لابن قتيبة: ص: ٣٢٨ / جامع البيان: ٥١٦/١٩، ومعالم التنزيل: للخازن: ١٥٦/٦، زاد المسير: ٤٠/٥.

(٤) ينظر: جامع البيان: ١٥٦/١.

(٥) المصدر نفسه: ١٥٦/١

(٦) ينظر: غريب القرآن / لابن قتيبة: ٣٢٨

في استخدامه أو اصنافاً في استخدامه أو فرقاً مختلفة قد أغرى بينهم العداوة ليكونوا له أطوع، أو المراد ما فسره بقوله: ﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾^(١)

أي: يستخدموهم ﴿يَذِيحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحِيءُ نِسَاءَهُمْ﴾^(٢) فهذا المراد بالشيخ^(٣).

والمأمل في ما يحدث اليوم. (العصر الذي نعيش فيه) يجد أن سياسة فرعون هذه هي بعينها سياسة الدول الكبرى، وذلك هو دستورها في حكمها.

كما يرى الشيخ المراغي^(٤) وفي حكمها لمستعمراتها، وقد نقش حكامها في صدورهم ذلك الدستور الذي ساروا عليه "فرق تسد" وطالما أحدى عليهم في سياسة تلك البلاد التي يعمها الجهل ويطغى على أهلها حُب الظهور، ويرضون بالنفاية والقشور.

رُحماك، اللهم رُحماك: بسطت لعبادك سنتك في الأكوان، وأنبت لهم طبيعة الإنسان، وانه محب للظلم والعدوان^(٥). والظلم من شيم النفوس فإن تجد... ذا عفة فلعله لا يظلم^(٦).

(١) سورة القصص: ٤.

(٢) سورة القصص: ٤.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي: ٢٠٨/١٢.

(٤) هو : الشيخ أحمد مصطفى المراغي (١٨٨١-١٩٤٥) عالم أزهرى وقاضي شرعي شغل شغل منصب شيخ الازهر في الفترة ١٩٢٨ حتى أستقالته في ١٩٣٠ ثم تولى المشيخة مرة اخرى عام ١٩٣٥ حتى وفاته سنة (١٣٦٤هـ) وقد كان على قدر من العلم والثقافة في حفظ القرآن. ينظر: تفسير المراغي: لأحمد مصطفى المراغي.

(٥) ينظر: تفسير المراغي: ١٤٨/٧-١٤٩.

(٦) ينظر: ديوان المتنبى: ص ٣٢٠.

والمراد بالطائفة في قوله تعالى: ﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ القصص: ٤. بنو إسرائيل بإجماع أهل التفسير^(١).

وفي سبب ذبح الابناء وجوه - عند اهل التفسير - منها: - إن كاهناً قال له يولد مولود في بني إسرائيل في ليلة كذا، ملكك على يده، فولد تلك الليلة اثنا عشر غلاماً فقتلهم، وعند أكثر المفسرين بقي هذا في بني إسرائيل سنين كثيرة، قال وهب قتل القبط في طلب موسى - عليه السلام - تسعين ألفاً من بني اسرائيل^(٢).

قال بعضهم في هذا دليل على حرق فرعون، فإنه إن صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وإن كذب فما وجه القتل^(٣)؟

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾^(٤). أي: يستعبد ويستذل فريقاً منهم وهم بنو إسرائيل فيسومهم سوء العذاب، فيقتل أبناءهم الذكور ويترك الإناث على قيد الحياة لخدمته وخدمة الاقباط، وان سبب تقتيله الذكور ان فرعون رأى في منامه ان ناراً عظيمة أقبلت من بيت المقدس وجاءت الى ارض مصر فأحرقت القبط دون بني إسرائيل، فسأل عن ذلك المنجمين والكهنة، فقالوا له: أن مولداً يولد في بني اسرائيل، يذهب ملكك على يديه، ويكون هلاكك بسببه، فامر ان يقتل كل ذكر من اولاد بني اسرائيل^(٥).

(١) ينظر: غريب القرآن: ٣٢٨/جامع البيان: ٨٩/٢٠ الكشاف: ١١٩/٥، مفاتيح الغيب:

للرازي: ٥٨/١٢/والجامع للاحكام: القرطبي: ٢٤٨/١٣.

(٢) ينظر: النكت والعيون: للماوردي: ٢٤٦/٣، ومفاتيح الغيب: ٥٨/٢.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ٥٨ / ١٢.

(٤) سورة القصص: ٤

(٥) ينظر: صفوة التفاسير: للصابوني: ٨١٥/٢.

ثم علل سبحانه اجتراحه لتلك الجرائم وازهاقه للأرواح البريئة بقوله: ﴿ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾^(١). وفي ذلك بيان أن القتل ما كان إلا فعل المفسدين فحسب، لأنه فعل لا طائله تحته، صدق الكاهن أو كذب^(٢). ولما كان التقدير كما أرشد إليه السياق لمن يسأل على فعله هذا العجيب: يريد بذلك زعم دوام ملكه بان لا يسلبه إياه وأحد منهم اخبره بعض علماء أنه يغلبه عليه ويستنقذ شعبه من العبودية عطف عليه - ما يحكي تلك الحالة الماضية-

فقال: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَتَمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾^(٣). ففي هذه الآية حكاية لتلك الحالة الماضية:- ﴿ وَنُرِيدُ ﴾ أو هي حالية، أي: يستضعفهم والحال أنا نريد في المستقبل أن نقويهم. أي: يريد دوام استضعافهم حال إرادتنا ضده من أنا نقطع ذلك بإرادة ﴿ أَنْ نَمُنَّ ﴾. أي: نعطي بقدرتنا وعلما ما يكون جديراً بأن نمتن به، ﴿ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا ﴾ أي: حصل استضعافهم وهان هذا الفعل الشنيع ولم يراقب فيهم مولاهم ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: أرض مصر فذلوا وأهينوا، ونريهم في انفسهم وأعدائهم وفق ما يحبون وفوق ما يأملون ﴿ وَنَجْعَلَهُمْ أَتَمَّةً ﴾ أي: مقدمين في الدين والدنيا، علماء يدعون الى الجنة عكس ما يأتي من عاقبة آل فرعون وذلك مع تصييرنا لهم أيضاً بحيث يصلح كل واحد منهم لأن يقصد للملك، بعد كونهم مستعبدين في

(١) سورة القصص: ٤

(٢) ينظر: الكشاف: للزمخشري: ١١٩/٥.

(٣) سورة القصص: ٥

غاية البعد عنه، ﴿وَجَعَلَهُمْ﴾ بقوتنا وعظمتنا، ﴿الْوَرِثِيَّةَ﴾ أي : لملك مصر لا ينازعهم فيه من أحد من القبط، ولكل بلد امرناهم بقصدها، وهذا إيذان بهلاك الجميع^(١).

ومن بديع ما تضمنته هذه الآيات الكريمات بجملتها. هو ذلك الاحتباك^(٢). فقد ذكر سبحانه العلو أولاً وفيه دليل على السفول ثانياً، والإفتراق ثانياً دليلاً على الاجتماع أولاً جعلهم كذلك حال كونه ﴿يَسْتَضِعُّ﴾ أي : يطلب ويوجد ان يضعف، أو هو استئناف ﴿طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ وهم بنو اسرائيل الذين كانت حياة جميع أهل مصر على يدي وأحد منهم، وهو يوسف -عليه السلام-^(٣).

والخلاصة:- أن الله سبحانه وتعالى بين ما نال عدوهم من النكال والوبال فقال: ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾^(٤). وقد فعل تعالى ذلك لهم كما قال: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا^ط وَدَمَّرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنًا وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾^(٥). وقال:

(١) ينظر: نظم الدرر: للبقاعي: ١٦٠/٦.

(٢) الاحتباك هو ان يجتمع في الكلام متقابلان ويحذف من كل واحد منهما مقابلة لدلالة الآخر عليه، ينظر: التعريفات: ص: ٢٥.

(٣) ينظر: نظم الدرر: ١٦٠/٦.

(٤) سورة القصص: ٦

(٥) سورة الاعراف: ١٣٧

﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(١) ، اراد فرعون بحوله وقوته أن ينجو من موسى، فما نفعه ذلك مع قدر الملك العظيم الذي لا يخالف أمره القدري، بل نفذ حكمه وجرى قلمه في القدم بأن يكون إهلاك فرعون على يديه، بل يكون هذا الغلام الذي احترزت من وجوده، وقتلت بسببه ألوفا من الولدان إنما منشؤه ومرباه على فراشك، وفي دارك، وغذاؤه من طعامك، وانت تربيته وتتفداه، وحتفك، وهلاكك وهلاك جنودك على يديه، لتعلم ان رب السموات العلا هو القادر الغالب العظيم، العزيز القوي الشديد المحال، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن^(٢).

المطلب الثاني: الطائفة المؤمنة بعيسى (عليه السلام) والطائفة الجاحدة

أرسل نبي الله عيسى -عليه السلام- الى بني اسرائيل نبياً ورسولاً يدعوهم في المقام الاول الى الاساس الذي بنيت عليه شرائع السماء، ذلك هو التوحيد المطلق المنزه لله خالق السموات والارض. وكانت شريعته استكمالاً للشريعة الموسوية وأمتداداً لها، ولما بلغ عيسى بن مريم -عليه السلام- رسالة ربه الى قومه إهدت طائفة من بني اسرائيل بما جاءهم به، وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به، وجدوا نبوته، ورموه وأمه بالعظام، وهم اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة- وغلت فيه طائفة ممن اتبعه، حتى رفعوه فوق ما اعطاه الله من النبوة، وافترقوا فرقاً وشيعاً، فمن قائل منهم: إنه ابن الله. وقائل: إنه ثالث ثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس. ومن قائل: إنه الله.

(١) سورة الشعراء: ٥٩

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ٢٢١/٦.

- كما يأتي بيانه - ونحن نتأمل في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفْرًا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَاَمَنَت طَّائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ۝﴾ (١)

وهذه الآية خطاب آخر للمؤمنين تكملة لخطاب تقدم في الآيات التي سبقت ما نحن بصدد تأمله وذلك في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَىٰ تَجَرُّفٍ تُنَجِّمُ مِنَ عَذَابِ أَلِيمٍ ۝١٠ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيَسِّرُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝١٣﴾ (٢)

فجاء قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفْرًا أَنصَارَ اللَّهِ.... ۝﴾ (٣). تذكيراً بأسوأ عزيمة من احوال المخلصين من المؤمنين السابقين وهم أصحاب عيسى -عليه السلام- مع قلة عددهم وضعفهم. فأمر الله المؤمنين بنصر الدين ووعدهم عليه بأن ينصرهم (٤).

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝﴾ (٥).

(١) سورة الصف: ١٤.

(٢) سورة الصف: ١٠-١٣.

(٣) سورة الصف: ١٤.

(٤) ينظر: ابن كثير: ١١٣/٨، والتحرير والتنوير: ٧٠/١٥.

(٥) سورة محمد: ٧.

وقال تعالى: ﴿وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنِ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(١).

والمنتبغ لسيرة رسول الله ﷺ مع قومه وما انزل عليه ومن الايات يجد أن رسول الله ﷺ كان يقول أيام الحج: من رجل يؤويني حتى ابلي رسالة ربي، فإن قريشاً قد منعوني ان ابلي رسالة ربي^(٢).

حتى قبض الله عز وجل له الاوس والخزرج من اهل المدينة فبايعوه وازروه، وشاطروه أن يمنعوه من الاسود والاحمر إن هو هاجر اليهم بمن معه من اصحابه ووفوا له بما عاهدوا الله عليه؛ ولهذا سماهم الله ورسوله: الانصار، وصار ذلك علماً عليهم، رضي الله عنهم وأرضاهم^(٣).

ولقد أمرهم سبحانه وتعالى بإدامة النصر والثبات عليه: فقله تعالى: ﴿كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾^(٤) أي: ودموا على ما انتم عليه من النصر^(٥). فان التقدير لما كان على صفة هي من الثبات والسرعة على صفة الحواريين عبّر عن ذلك بقوله: ﴿كَمَا﴾ أي: كونوا لأجل أني أنا نديتكم بقولي من غير واسطة ولزددتكم بخطابي مثل ما كان الحواريون انصار الله حين ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾^(٦).

(١) سورة الحج: ٤٠

(٢) رواه الامام أحمد في المسند: ٣/٣٢٢ من حديث جابر "رضي الله عنه".

(٣) ينظر: ابن كثير: ١٣/٨.

(٤) سورة الصف: ١٤

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي: ٣٤٣/١٥

(٦) ينظر: نظم الدرر: للبقاعي: ٣/٩.

وكان اصحاب النبي ﷺ معه كما كان الحواريون مع عيسى ابن مريم، اخرج الامام الطبري "رحمه الله" عن قتاده^(١) قال: قد كان لله انصار من هذه الامه تجاهد على كتابه وحقه. وذكر لنا انه بايعه ليلة العقبة اثنان وسبعون رجلاً من الانصار، ذكر لنا ان بعضهم قال: هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ انكم تبايعون على محاربة العرب كلها أو يسلموا. ذكر لنا ان رجلاً قال: يا نبي الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت، قال: اشترط لربي أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، واشترط لنفسي ان تمنعوني ما منعتم منه انفسكم وانباءكم. قالوا: فاذا فعلنا ذلك فما لنا يا نبي الله؟ قال: "لكم النصر في الدنيا، والجنة في الآخرة" ففعلوا ففعل الله.

ثم تلا قتاده -كما في بعض الروايات: ﴿كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾

لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴿٠﴾

(١) قتاده: هو قتاده بن دعامة السدسي بصري تابعي ت(١١٧هـ) ولد سنة (٦٠هـ) وكان ضرير البصر، عدّه اصحاب الطبقات من الطبقة الرابعة والتي تلي الوسطى من التابعين، روى له البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه. تعلم قتاده على بعض الصحابه كأنس بن مالك وعبد الله بن سرجس وحنضلة الكاتب وأبي الطفيل وكان يرسل الحديث عند الشعبي ومجاهد بن جبير وسعيد بن جبير والنخعي، وكان له مع القران حال فيروي انه كان يختم في كل سبع ليالي مرة، فاذا جاء العشر ختم في كل ليلة مره، وكان قتاده اذا سمع يختطفه اختطافاً، واذا كان سمع الحديث يأخذه العويل والزويل حتى يحفظه ينظر: التاريخ القديم: ص ١٣٥، الجرح والتعديل: ص ٢٠٣، تهذيب التهذيب:

قال: - قد كان ذلك بحمد الله، حيث جاءه سبعون رجلاً فبايعوه عند العقبة، فنصروه وأووه حتى اظهر الله دينه، قالوا: ولم يسم حي من السماء إسماً لم يكن لهم قبل ذلك غيرهم^(١).

﴿الْحَوَارِيُّونَ﴾ أصدقاء عيسى -عليه السلام- واشتقاقه من الحور وهو البياض وسموا بذلك لانهم كانوا قاصرين وقيل: للبسهم البياض، وقيل النقاء ظاهرهم وباطنهم، وزعموا أن ما قيل: من أنهم قاصرين إشارة الى انهم كانوا يطهرون نفوس الناس بإفادتهم الدين والعلم، وما قيل:- من انهم كانوا صيادين إشارة الى انهم كانوا يصطادون نفوس الناس من الحيرة ويقودوهم الى الحق^(٢).

وكان الحواريون اثنا عشر رجلاً فرقمهم عيسى -عليه السلام- في البلاد^(٣). والحواريون اول من امن بعيسى -عليه السلام- وهم الطائفة المؤمنة.

كما قال تعالى: ﴿فَأَمِنَت طَّائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾^(٤)

قال ابن عباس "رحمه الله": يعني الذين امنوا في زمن عيسى -عليه السلام-، والذين كفروا كذلك، ذلك لان عيسى -عليه السلام- كما رفع الى السماء تفرقوا ثلاث فرق، فرقة قالوا: كان الله فأرتفع، وفرقة قالوا: كان ابن الله فرفعه اليه، وفرقة قالوا: كان عبد الله ورسوله فرفعه اليه، وهم المسلمون، واتبع كل فرقة

(١) ينظر: جامع البيان: للطبري: ٣٦٥/٢٣.

(٢) ينظر: روح المعاني: للالوسي: ٤٩٢/٢٠.

(٣) ينظر: روح المعاني: للالوسي: ٤٩٢/٢٠.

(٤) سورة الصف: ١٤.

منهم طائفة من الناس، واجتمعت الطائفتان الكافرتان على الطائفة المسلمة فقتلوهم وطردهم في الارض، فكانت الحالة هذه حتى بعث الله محمد ﷺ فظهرت المؤمنة على الكافرة^(١).

وقال مقاتل^(٢): تم الكلام عند قوله تعالى: ﴿وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ﴾، ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بمحمد ﷺ على الاديان، وقال ابراهيم النخعي^(٣): اصبح من امن بعيسى ظاهرين بتصديق محمد ﷺ ان عيسى كلمة الله وروحه بتعليم الحجة^(٤).

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي: ٣٤٣/١٥.

(٢) مقاتل: هو مقاتل بن سليمان البلخي ت(١٥٠هـ) واصله من بلخ وانتقل الى البصرة بعد خروج الهاشمية، كنية ابو الحسن، كان يأخذ عن اليهود والنصارى الذين يوافق كتبهم. وروي عن الشافعي: ان وجوه الناس عيال على مقاتل في التفسير، ومقاتل بن سليمان يروى عن مجاهد، والضحاك، وعطاء، وابن سيرين. ينظر: كتاب المجروحين: لان بن حبان: ١٤/٣، وكتاب تهذيب التهذيب: لابن حجر: ٢٤٩/١٠، وميزان الاعتدال للذهبي ١٧٣/٤.

(٣) ابراهيم النخعي: هو ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الاسود بن عمرو الكوفي النخعي ت(٩٦هـ)، وهو أحد الائمة المشهورين.

تابعي ادرك الصحابة واخذ عن فقهاء التابعين، وهو الذي تزعم مدرسة الكوفة بعد ابن مسعود (رضي الله عنه)، ودرس عليه حماد بن سليمان شيخ ابي حنيفة. لذلك فان اكثر آراء ابي حنيفة يمكن اسنادها الى ابراهيم النخعي، مات وله من العمر ٤٩ سنة. ينظر: الاعلام: ٧٦/١، طبقات ابن سعد: ١٨٨/٦، وفيات الاعيان: ٢٥/١، تذكرة الحفاظ: ٧٣/١، تهذيب التهذيب: ١٧٧/١.

(٤) ينظر: زاد المسير: ٢٧/٦.

قال ابن قتيبة^(١): ﴿ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ اي: غالبين عليهم بمحمد ﷺ ، ومن قولك: ظهرت على فلان: اذا علوته، وظهرت على السطح: اذا صرت فوقه^(٢). وتأويل هذا النص ممكن ان ينصرف الى أحد المعنيين: اما ان الذين امنوا برسالة عيسى -عليه السلام-: هم المسيحيون اطلاقاً من استقام ومن دخلت في عقيدته الانحرافات، وقد ايدهم الله على اليهود الذين لم يؤمنوا به اصلاً كما حدث في التاريخ. واما ان الذين امنوا هم الذين اصروا على التوحيد في وجه المؤلهين لعيسى وسائر من الذين انحرفوا عن التوحيد. ومعنى انهم اصبحوا ظاهرين، أي: بالحجة والبرهان. أو ان التوحيد الذين هم عليه هو الذي اظهره الله بهذا الدين الاخير، وجعل له الجولة الاخيرة في الارض كما وقع في التاريخ. وهذا المعنى الاخير هو الاقرب والارجح في هذا السياق.

والعبرة المستفادة من هذه الاشارة ومن هذا النداء هي العبرة التي اشرنا اليها، وهي استنهاض همة المؤمنين بالدين الاخير، الامناء على منهج الله في الارض، وورثة العقيدة والرسالة الالهية المختارين لهذه المهمة الكبرى، استنهاض هماتهم لنصرة الله ونصرة دينه ﴿ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ والنصر في النهاية لانصار الله المؤمنين^(٣).

(١) هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ابو محمد: من ائمة الادب ومن المصنفين المكثرين، ولد ببغداد وسكن الكوفة، ومن كتبه (تأويل مختلف الحديث، وعيون الاخبار، ومشكل القرآن، غريب القرآن. ينظر: وفيات الاعيان: ٢٥١/١، لسان الميزان: ٢٥٧/٣، الاعلام: ١٣٧/٤).

(٢) ينظر: غريب القرآن: ص ٤٦٤، وينظر الجامع لاحكام القرآن: للقرطبي: ٢٩٠/١٨، ولسان العرب: ١٩٩/٦.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: ٣٥٦١/٦.

وذكر الاستاذ محمد علي الصابوني في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ
اللَّهِ فَأَمَنَّا بِطَائِفَةٍ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا
ظَاهِرِينَ﴾ (١)

أي: أنصروا دين الله وأعلوا مناره كما نصر الحواريون دين الله حين قال لهم
عيسى ابن مريم ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: من ينصروني ويكون عوني لتبليغ
دعوة الله، ونصرة دينه؟ ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أي: قال اتباع عيسى -
عليه السلام- وهم المؤمنون الخالص من خاصته المستجيبون لدعوته -نحن انصار
دين الله (٢).

وقال الرازي: والتشبيه محمول على المعنى أي: كونوا انصار الله كما كان
الحواريون أنصار الله (٣).

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَنَّا بِطَائِفَةٍ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ﴾ (٤) أي: فأنقسم بنو
اسرائيل الى جماعتين: جماعة أمنت به وصدقته وجماعة كفرت وكذبت برسالة

(١) سورة الصف: ١٤ .

(٢) ينظر: صفوة التفاسير: ١٢٤٤/٣ .

(٣) ينظر: التفسير الكبير: للرازي: ٣١٩/٢٩ .

(٤) سورة الصف: ١٤ .

عيسى ﴿ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ ﴾ أي : فقوينا المؤمنين على اعدائهم ﴿ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ أي : حتى صاروا غالبين عليهم بالحجة والبرهان^(١).

وذكر سيد قطب (رحمه الله) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ يقول: (والاية تهدف الى تصوير موقف لا الى تفصيل قصة ، فنسير نحن معها في ظلالها المقصود الى الغاية من سردها في هذا الموضع من السورة فقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ ﴾ ؛ في هذا الموضع الكريم الذي يرفعكم اليه الله. وهل ارفع من مكان يكون فيه العبد نصيراً للرب؟ إن هذه الصفة تحمل من التكريم ما هو اكبر من الجنة والنعيم .. كونوا انصار الله ، كما قال عيسى بن مريم للحواريين: من انصاري الى الله؟ قال الحواريون: نحن انصار الله. فانتدبوا لهذا الامر ونالوا هذا التكريم.

وعيسى جاء ليشر بالنبى الجديد والدين الاخير .. فما اجر اتباع محمد ان ينتدبوا لهذا الامر ، كما انتدب الحواريون للأمر الموقوت! وهذه هي اللمسة الواضحة في عرض هذا الحوار في هذا السياق.

وماذا كانت العاقبة؟

(١) ينظر: صفوة التفاسير: ١٢٤٤/٣.

﴿ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتَ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾

﴿١٤﴾ .. وتأويل هذا النص يمكن ان ينصرف الى احد معنيين :إما ان الذين امنوا برسالة عيسى (عليه السلام) هم المسيحيون إطلاقاً من استقام ومن دخلت في عقيدته الانحرافات ، وقد ايدهم الله على اليهود الذين لم يؤمنوا به أصلاً كما حدث في التاريخ . واما ان الذين امنوا هم الذين اصروا على التوحيد في وجه المؤلهين لعيسى والمثلثين وسائر النحل التي انحرفت عن التوحيد ، او ان التوحيد الذي هم عليه هو الذي اظهره الله بهذا الدين الاخير ! وجعل له الجولة الاخيرة في الارض كما وقع في التاريخ . وهذا المعنى الاخير هو الاقرب والارجح . والعبرة المستفادة من هذه الاشارة هي استنهاض همة المؤمنين بالدين الاخير ، الامناء على منهج الله في الارض ، ورثه العقيدة والرسالة الالهية) (١)

فمضى عيسى (عليه السلام) على امر الله ونصر دينه هو ومن معه من الحواريين ﴿ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ بسبب دعوة عيسى والحواريين ﴿ وَكَفَرَتَ طَائِفَةٌ ﴾ منهم ، فلم ينفادوا لدعوتهم ، فجاهد المؤمنون الكافرين ﴿ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ ﴾ أي :قويناهم ونصرناهم عليهم . ﴿ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ عليهم وقاهرين لهم (٢) ويذكر الطاهر بن عاشور في تفسيره لهذه الاية : واعلم ان مقالة عيسى عليه السلام المحكية في هذه الاية غير مقالته المحكية في اية ال عمران ، فإن تلك موجهة الى جماعة بني اسرائيل الذين احس منهم الكفر لما دعاهم الى الايمان به . اما مقالته المحكية هنا فهي موجهة للذين امنوا به طالباً منهم نصرته

(١) ينظر: في ظلال القرآن : السيد قطب : ٣٥٦١/٢٨ تفسير سورة الصف .

(٢) ينظر: تفسير السعدي : للسعدي : ٣٥٣/٤ .

لقوله تعالى: ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ ﴾^(١)، فلذلك تعين اختلاف مقتضى الكلامين المتماثلين .

ففي حكاية جواب الحواريين في الآية من قوله تعالى وقال الحواريون نحن انصار الله من سورة الصف ، خصوصية صيغة القصر بتعريف المسند اليه والمسند . وخصوصية التعريف بالاضافة . فكان إيجاز في حكاية جوابهم بأنهم اجابوا بالانتداب الى نصر الرسول ويجعل انفسهم محقوقين بهذا النصر لانهم محضوا انفسهم لنصر الدين وعرفوا بذلك وبحصر نصر الدين فيهم حصراً يفيد المبالغة في تمحضهم له حتى كأنه لا ناصر للدين غيرهم مع قتلهم ، وإفادته التعريض بكفر بقية قوتهم من بني إسرائيل .

وفرع على قول الحواريين نحن انصار الاخبار بأن بني إسرائيل افترقوا طائفتين طائفة امنت بعيسى وما جاء به ، وطائفة كفرت بذلك ، وهذا التفريع يقتضي كلاماً مقدراً وهو فنصروا الله بالدعوة والمصابرة عليها فأستجاب بعض إسرائيل وكفر بعض وانما استجاب لهم من بني إسرائيل عدد قليل فقد جاء في انجيل (لوقا) ان اتباع عيسى كانوا اكثر من سبعين .

لذلك فإن المقصود من قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ ﴾^(٢) ﴿ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلٰى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾^(٣) والتأييد النصر والتقوية ، ايد الله اهل النصرانية بكثير ممن اتبع النصرانية بدعوة الحواريين واتباعهم وانما

(١) سورة الصف: ١٤

(٢) سورة الصف: ١٤

(٣) سورة الصف: ١٤

قال : ﴿ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ولم يقل : فأيدنا لان التأييد كان لمجموع المؤمنين بعيسى لا لكل فرد منهم . والمقصود من هذا الخبر وعد المسلمين الذين امروا ان يكونوا انصاراً لله بأن الله مؤيدهم على عدوهم ^(١) وقوله : ﴿ فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ ﴾ ^(٢) يقول جل ثناؤه : فأمنت طائفة من بني إسرائيل بعيسى (عليه السلام) ، وكفرت طائفة منهم به ^(٣) حدثني ابو السائب ، قال : ثنا ابو معاوية ، عن الاعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما اراد الله ان يرفع عيسى الى السماء ، خرج الى اصحابه - وهم في بيت اثنا عشر رجلاً - من عين في البيت ورأسه يقطر ماءً قال : فقال : إن منكم من سيكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد ان امن بي . قال : ثم قال : ايكم يلقي عليه شبيهي فيقتل مكاني ، ويكون معي في درجتي ؟ قال : فقام شاب من احدهم سناً ، قال : فقال : انا فقال له : اجلس ثم اعاد عليهم ، فقام الشاب ، فقال : انا فقال : نعم : انت ذاك قال : فألقي عليه شبهة عيسى ، ورفع عيسى من روزنه في البيت الى السماء . قال : وجاء الطلب من اليهود ، واخذ شبهه ، فقتلوه وصلبوه ، وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد ان امن به ، فتفرقوا ثلاث فرق :

فقال فرقة : كان الله فينا ما شاء الله ، ثم صعد الى السماء ، وقالت فرقة : كان ابن الله فينا ما شاء الله ، ثم رفعه اليه ، وقالت فرقة : كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ، ثم رفعه اليه ، وهم المسلمون ، فتظاهرت الطائفتان الكافرتان على الطائفة المسلمة فقتلوا ، فلم يزل الاسلام طامساً حتى بعث الله

(١) ينظر: التحرير والتنوير : لابن عاشور : ٢٠٢/٢٨

(٢) سورة الصف: ١٤

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن : للطبري : ٦٢٢/٢٢ ، ٦٢٣

محمداً ﷺ ، ﴿ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ ﴾ أي : الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في زمن عيسى ، والطائفة التي امتت في زمن عيسى ، ﴿ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ أي : في إظهار محمد دينهم على دين الكفار فأصبحوا ظاهرين. (١)

(١) اخرجه ابن شيببة ٥٤٦/١١ ، والنسائي في الكبرى (١١٥٩١) وابن ابي حاتم / ١١١٠) (٦٢٢٣) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/٤٧٥ ، وعزاه لسبيوطي في الدر المنثور ٢٣٨/٢ الى عبد بن حميد وابن مردويه .

المبحث الثاني

الأمم السابقة وأنقسامها الى طائفة مؤمنة وكافرة

المطلب الأول : أنزال الكتب السابقة على طائفتين
اليهود والنصارى .

المطلب الثاني: أنقسام قوم سيدنا شعيب (عليه
السلام) الى طائفتين مؤمنة وكافرة .

المطلب الاول: انزال الكتب السابقة على طائفتين اليهود والنصارى

لقد تكرر في الكتاب الكريم قرنه بالتوراة لما بينهما من التشابه، فكل منهما شريعة كاملة، والانجيل والزبور ليسا كذلك، فإن أكثر الانجيل غطات وامثال، وأكثر الزبور ثناء ومناجاة إلى أن العرب كانوا يعلمون أن اليهود لهم كتاب يسمى التوراة، ولهم رسول يسمى موسى، وأنهم أهل علم، وكان يتمنى كثير من عقلائهم لو أتيح له كتاب كما أوتي اليهود التوراة، وأنه لو جاءهم كتاب لكانوا أهدى منهم، وأعظم إنتفاعاً به، لما يمتازون به من الذكاء وفصاحة العقل ورجاحة الرأي. وقد أعتذر المشركون بمعاذير وحجج باطلة بما يعلمون أنها لا تصلح لهم عذراً عند الله. بما أنزل الله سبحانه وتعالى على انبياء اليهود والنصارى وقالوا كما يبين القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ

الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴾ (١).

القول في تأويل قوله: ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا

عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴾

اختلف اهل العربية في العامل في (أن) التي في قوله: ﴿ أَنْ تَقُولُوا ﴾ وفي معنى هذا الكلام، فقال بعض نحويي البصرة: معنى ذلك: ثم آتينا موسى الكتاب

تماماً على الذي احسن كراهية ان تقولوا : إنما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا^(١)

وقال بعض نحويي الكوفة : بل ذلك في موضع نصب بفعل مضمّر قال : ومعنى الكلام : فأتبعوه وأتقوا لعلمكم ترحمون ، أتقوا ان تقولوا : قال : ومثله يقول تعالى : ﴿ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾^(٢) وقال آخر^(٣) منهم : هو في موضع نصب قال : ونصبه من مكانين أحدهما : انزلناه لئلا تقولوا : إنما انزل الكتاب على . والآخر : من قوله : (وأتقوا) قال : و (لا) يصلح في موضع (أن) كقوله : ﴿ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾^(٤)

وأولى هذه الأقوال : نصب (أن) لتعلقها بالانزال ، لان معنى الكلام : وهذا كتاب انزلناه مبارك لئلا تقولوا : إنما انزل الكتاب عن طائفتين من قبلنا .

فأما الطائفتان اللتان ذكرهما الله ، واخبر انه إنما انزل كتابه على نبيه محمد ﷺ لئلا يقول المشركون : لم ينزل علينا كتاب فنتبعه ، ولم نؤمر ، ولم ننه ، فليس علينا حجة فيما نأتي ونذر ، إذ لم يأت من الله كتاب ولا رسول ، وإنما

(١) الأرجح ان صواب هذه العبارة : معنى ذلك : وهذا كتاب انزلناه مبارك كراهية ان تقولوا وهو القول الذي سيختاره المصنف ، وينظر : ايضاً تفسير القرطبي ١٤٤/٧ ، والبحر المحيط ٢٥٦/٤ ، ٢٥٧ .

(٢) سورة الحجرات: ٢

(٣) هذه مقالة الفراء في معاني القرآن ٣٣٦/١

(٤) سورة النساء: ١٧٦

الحجة على الطائفتين اللتين انزل عليهما الكتاب من قبلنا ، فإنما اليهود والنصارى وكذلك قال : اهل التأويل (١)

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال ثنى معاوية ، عن علي بن ابي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ (٢): وهم اليهود والنصارى (٣)

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد: ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ . اليهود والنصارى قال : ان تقول قريش (٤)

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا احمد بن المفضل ، قال : ثنا اسباط ، عن السدي : ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ . اما الطائفتان فاليهود والنصارى (٥)

(١) ينظر : تفسير جامع البيان : للطبري : ٦/١٠ ، ٧ ،

(٢) سورة الأنعام: ١٥٦

(٣) اخرجه ابن ابي حاتم في تفسيره ١٤٢٥/٥ (٨١٢٦) من طريق ابي صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٦/٣ الى ابن المنذر .

(٤) تفسير مجاهد ص ٣٣١ ، ومن طريقه ابن ابي حاتم في تفسيره ١٤٢٥/٥ (٨١٢٥) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٦/٣ الى ابن المنذر وابي الشيخ .

(٥) اخرجه ابن ابي حاتم في تفسيره ١٤٢٦/٥ (٨١٣٠) من طريق احمد بن المفضل به

واما : ﴿ وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ ﴾^(١) ﴿ وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ ﴾^(٢) فإنه يعني : ان تقولوا : وقد كنا عن تلاوة الطائفتين الكتاب الذي انزلت عليهم غافلين لاندرى ما هي ، ولا نعلم ما يقرؤون وما يقولون ، وما انزل اليهم في كتابهم ، لانهم كانوا اهله دوننا ، ولم نعن به ، ولم نؤمر بما فيه ، ولا هو بلساننا . فيتخذوا ذلك حجة ، فقطع الله بأنزال القرآن على نبيه محمد ﷺ حجتهم تلك^(٢)

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس ﴿ وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ ﴾^(٣) يقول : إن كنا عن تلاوتهم لغافلين^(٤)

وقال الامام الرازي (رحمه الله) في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْأَكْتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ قال : (وفيه وجوه :

الوجه الاول: قال الكسائي والفراء ، والتقدير: انزلناه لئلا تقولوا ، ثم حذف الجار وحرف النفي ، كقوله ﴿ يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ وقوله ﴿ رَوَسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ أي لئلا.

(١) سورة الأنعام: ١٥٦

(٢) ينظر : جامع البيان : للطبري : ٨/١٠

(٣) سورة الأنعام: ١٥٦

(٤) اخرجه ابن ابي حاتم في تفسيره ٥ / ١٤٢٥ (٨١٢٨) من طريق اصبح عن ابن زيد به.

والوجه الثاني: وهو قول البصريين معناه: انزلناه كراهة ان تقولوا ولا يجيزون أضمار (لا) فان لا يجوز ان يقال: جئت أن اكرمك بمعنى: أن لا أكرمك.

والوجه الثالث: قال الفراء: يجوز ان يكون (أن) متعلقة بأنقوا ، والتأويل ، وأنقوا ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ ﴾

أما قوله: ﴿ أَنْ تَقُولُوا ﴾ خطاب لأهل مكة ، والمعنى: كراهة أن يقول أهل مكة انزل الكتاب ، وهو التوراة والانجيل على طائفتين من قبلنا ، وهم اليهود والنصارى ، وأن كنا (أن) هي المخففة من الثقيلة ، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية ، والاصل وأن كنا عن دراستهم لغافلين ، والمراد بهذه الايات أثبات الحجة عليهم بأنزال القرآن على محمد ﷺ كي لا يقولوا يوم القيامة ان التوراة والانجيل انزلا على طائفتين من قبلنا وكنا غافلين عما فيهما ، فقطع الله عذرهم بأنزال القرآن عليهم (١).

قال ابن جرير: معناه وهذا كتاب أنزلناه لئلا يقولوا: ﴿ إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ . يعني: لينقطع عذرهم ، كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) (٣).

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي: ٨/١٤.

(٢) سورة القصص: ٤٧.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ٢٢٥/٦.

وقوله تعالى: ﴿عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس: هم اليهود والنصارى^(١).

هذه حجة وأخرى ما ذكره سبحانه وتعالى في قوله: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾^(٢) أي: وقطعنا تعللكم أن تقولوا: لو أنا أنزل علينا ما أنزل عليهم لكننا منهم فيما أوتوه^(٣)، كقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾^(٤)، وهكذا قال ها هنا: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾^(٥)

يقول: فقد جاءكم من الله على لسان محمد ﷺ النبي العربي قرآن عظيم فيه بيان للحلال والحرام، وهدى لما في القلوب، ورحمة من الله بعباده الذين يتبعونه ويقفنون ما فيه^(٦).

فرد الله عليهم بجواب قاطع لكل تَعَلَّةٍ دافع لكل اعتذر.

(١) أخرجه ابن جرير (١٤١٨٠/١٢) وابن ابي حاتم (٨١٢٦/٥)، وابن المنذر - كما في الدر المنثور، للسيوطي (١٠٨/٣).

(٢) سورة الانعام: ١٥٧.

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير: ٣/٣٧٠.

(٤) سورة فاطر: ٤٢.

(٥) سورة الانعام: ١٥٧.

(٦) ينظر: تفسير لابن كثير: ٣/٣٧٠.

ولقد تهيأ المقام بعد هذا التنبية العجيب لفاء الفصيحة في قوله: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ
بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وتقديرها: فإذا كنتم تقولون ذلك ويهجس في نفوسكم فقد
جاءكم بيان من ربكم يعني القرآن، يرفع عنكم ما تستشعرون من الانحطاط عن
أهل الكتاب^(١).

لقد إنقطعت المحجة بنزول هذا الكتاب، ولكنهم ما يزالون يشركون بالله،
ويشرعون من عند أنفسهم ويزعمون شريعة الله، بينما كتاب الله قائم وليس فيه
هذا الذي يفترونه. وما يزالون يطلبون الآيات والخوارق ليصدقوا بهذا الكتاب
ويتبعوه. ولو جاءتهم الآيات التي يطلبون أو بعضها لكان فيها القضاء الاخير^(٢):

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ
آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا
إِنَّا مُنظِرُونَ﴾^(٣)

وقوله: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ أي: انزلناه بهذا
الوصف العظيم الجامع لخيرات الدنيا والآخرة كراهة أن تقولوا يوم القيامة ما
جاءنا كتاب فنتبعه وإنما انزلت الكتب المقدسة على اليهود والنصارى، قال ابن
جرير: فقطع الله بانزاله القرآن على محمد ﷺ تلك الحجج الباطلة. ﴿وَإِنْ كُنَّا

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠٠/٥

(٢) ينظر: في ظلال القرآن: ١٢٣٦/٣

(٣) سورة الانعام: ١٥٨.

عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَعَفْلِينَ ﴿١٥٦﴾ أي: وإن الحال والشأن كنا عن معرفة ما في كتبهم ودراستهم غافلين لا نعلم ما فيها لأنها لم تكن بلغتنا.

أو تقولوا لو أننا انزل علينا الكتاب كما انزل على هاتين الطائفتين لكنا اهتدي منهم الى الحق واسرع إجابة لأمر الرسول^(١).

المطلب الثاني: انقسام قوم سيدنا شعيب الى طائفتين مؤمنة وكافرة.

بالإضافة الى الدلائل والبراهين التي ردَّ الله بها على المشركين حججهم كما تقدم بيان ذلك - بين لهم سبحانه وتعالى أحوال الطوائف من الأمم السابقة وما حلَّ بهم وتوعدهم بالمثل إذا أصروا على الإثراك ومقاومة دعوة النبي محمد عليه الصلاة والسلام الى التوحيد - ومن هذه الآيات قوله تعالى - كما في قصة نبي الله شعيب وقوم مدين:

﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ، وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَفَرْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾^(٢)

وقد جاءت هذه الآيات بعد سلسلة من الآيات فيها تذكير نبي الله شعيب - عليه السلام - قومه بنص الله تعالى كما في قوله: ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا

(١) ينظر: صفوة التفاسير: للصابوني: ١/ ٣٣٤

(٢) سورة الاعراف: ٨٦-٨٧.

فَكَثَّرَكُمْ^١ وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ^(١)، ولما رغبهم بالتذكير بالنعمة، حذرهم بالتذكير بأهل النعمة فقال: ﴿وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ﴾ أي : آخر أمر ﴿الْمُفْسِدِينَ﴾ أي : في عموم الإهلاك بأنواع العذاب لتحذروا من ان يصيبكم مثل ما أصابهم^(٢). لما حذرهم وخاصة الفساد الذي نهاهم عنه، وعلق انتباههم عنه بوصف الايمان، رجع الى قسم ما شرط به الانتهاء عن الأفساد^(٣) فقال: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ^(٤)﴾، أي : جماعة فيهم كثرة بحيث يتعلقون بمن يريدون^(٥).

والمعنى: كما يقول الامام الطبري: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ^(٦)﴾، وإن كانت جماعة منكم وفرقة، ﴿ءَامِنُوا﴾ يقول: صدقوا بالذي أرسلت به من إخلاص العبادة لله، وترك معاصيه، وظلم الناس، وبخسهم في المكاييل والموازين، فاتبعوني على ذلك، ﴿وَطَائِفَةٌ لَّا يُؤْمِنُوا﴾، يقول: وجماعة اخرى لم يصدقوا بذلك، ولم يتبعوني عليه^(٧).

(١) سورة الاعراف: ٨٦

(٢) ينظر: نظم الدرر: ٢٣٦/٣.

(٣) نظم الدرر : ٢٣٦/٣

(٤) سورة الاعراف: ٨٧

(٥) ينظر: المصدر نفسه : ٢٣٦/٣.

(٦) سورة الاعراف: ٨٧

(٧) جامع البيان: ٥٦٠/١٢.

والخطاب في هذه الآية مقصود منه الكافرون من قومه ابتداءً، ومنه تذكير للمؤمنين منهم بنعمة الله، فإنها تشملهم وبالاعتبار بمن مضوا فإنه بنفعهم، وفي هذا الكلام تعريض بالوعد للمسلمين وبالتسلية لهم على ما يلاقونه من مفسدي أهل الشرك لأنطبق حال الفريقين على حال الفريقين من قوم شعيب - عليه السلام^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢)، والمراد بهم الذين أفسدوا بعقيدة الشرك وبأعمال الضلال، وأفسدوا المجتمع بمخالفة الشرائع، وأفسدوا الناس بإمدادهم بالضلال وصدّهم عن الهدى، ولذلك لم يؤت: — ﴿الْمُفْسِدِينَ﴾ بمتعلقة لأنه إعتبر صفة، وقطع عن مشابهة الفعل، أي: الذين عرفوا بالإفساد^(٣).

ومن الأمم والشعوب المجاورة لكم كقوم نوح وعاد وثمود، وكيف أهلكهم الله بفسادهم وبغيهم في الأرض، فاعتبروا بما حلّ بهم، واحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم^(٤). ثم حذرهم سطوته بقوله: ﴿فَأَصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾^(٥)، أي: إنتظروا، ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾، أي: يفصل، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾. فإنه سيجعل العاقبة للمتقين، والدمار على الكافرين^(٦).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٧٨/٥

(٢) سورة الاعراف: ٨٦

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٧٨/٥.

(٤) ينظر: تفسير المراغي: ٣٥١/٣.

(٥) سورة الاعراف: ٨٧

(٦) ينظر: تفسير ابن كثير: ٤٤٨/٣

حكم الله بين عباده ضربان^(١).

١. حكم شرعي يوحى به إلى رسله، وعليه جاء قوله في سورة المائدة بعد الأمر

بالوفاء وبالعهود وإحلال بهيمة الانعام: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾^(٢).

٢. حكم فعلي يفصل فيه بين الخلق بمقتضى سننه فيهم كقوله في آخر سورة

يونس: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾^(٣)

وقوله ﴿فَاصْبِرُوا﴾، وفيه خطاب الى الطائفة المؤمنة، أي: تربصوا

وانتظروا ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾، أي: بين الفريقين، بأن ينصر المحقين عل

المبطلين، ويظهرهم عليهم، وهذا وعيد للكافرين بأنقام الله منهم، كقوله

﴿فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتْرَبِّصُونَ﴾^(٤)، أو هو عظة للمؤمنين وحث على

الصبر، وأحتمال ما كان يلحقهم من أذى المشركين الى أن يحكم الله بينهم وينتقم

لهم منهم، ويجوز ان يكون خطاباً للفريقين، أي: لصبر المؤمنون على أذى

الكفار، وليصبر الكفار على ما يسؤهم من ايمان من آمن منهم، حتى يحكم الله

فيميز الخبيث من الطيب ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾^(٥) لأن حكمه حق وعدل، لا

يخاف فيه الحيف^(٤).

(١) ينظر: تفسير المراغي: ٣/٣٥١.

(٢) سورة المائدة: ١

(٣) سورة يونس: ١٠٩.

(٤) ينظر: الكشاف: للزمخشري: ٢/٤٧٣، ٤٧٤.

وقال الامام الرازي (رحمه الله) في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ وَاَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِنْ كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (١)

قوله (اعلم أن شعيباً (عليه السلام) ضم الى ما تقدم من التكاليف الخمسة والتي هي:

١. أنه أمرهم بعبادة الله ونهاهم عن عبادة غير الله. وهذا أصل معتبر في شرائع جميع الانبياء.

٢. أنه ادعى النبوة فقال ﴿ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ والبيينة هنا هي المعجزة ، لأنه لا بد لمدعي النبوة منها. وتلك المعجزة من أي الانواع كانت فليس في القرآن دلالة عليه.

٣. أنه قال ﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ ﴾

٤. قوله ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾

٥. قوله ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ (٢)

فضم شعيب (عليه السلام) الى ما تقدم من التكاليف الخمسة أشياء: الاول: انه منعهم من ان يقعدوا على طرق الدين ومناهج الحق ، لأجل: ان يمنعوا الناس عن

(١) سورة الأعراف: ٨٦ - ٨٧.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي: ١٤ / ١٨٠ ، ١٨١

قبوله ، وفي قوله ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ ﴾ قولان: الاول: يحمل الصراط على الطريق الذي يسلكه الناس ، والثاني: ان يحمل الصراط على مناهج الدين.

وتقدير القول: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ والحاصل: انه نهاهم عن العقود على صراط الله حال الاشتغال بأحد هذه الامور الثلاثة.

ثم قال ﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِءِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا ﴾ والمقصود منه تسلية قلوب المؤمنين وزجر من لم يؤمن ، لأن قوله ﴿ فَاصْبِرُوا ﴾ تهديد ، وكذلك قوله ﴿ حَتَّىٰ يَخُفَّعَ اللَّهُ بَيْنَنَا ﴾ والمراد اعلاه درجات المؤمنين ، وإظهار هوان الكافرين ، وهذه الحالة قد تظهر في الدنيا فان لم تظهر في الدنيا فلا بد من ظهورها في الآخرة.

وقوله ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ يعني أنه حاكم منزله عن الجور والميل والحيف ، فلا بد (١).

وقوله ﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِءِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا ﴾ أي: قد اختلفتم عليّ ﴿ فَاصْبِرُوا ﴾ ، أي : أنتظروا ﴿ حَتَّىٰ يَخُفَّعَ اللَّهُ بَيْنَنَا ﴾

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي: ١٤ / ١٨٣

وبينكم ، أي: يفصل ، ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْحَكِيمِينَ ﴾ ، فإنه سيجعل العقاب للمتقين ، والدمار على الكافرين^(١).

وقوله ﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ، وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴾ هم الجمهور منهم ﴿ فَأَصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَكِيمِينَ ﴾ ﴿ ٨٧ ﴾ فينتصر المحق ، ويوقع العقوبة على المبطل^(٢).

ومن أطف ما ذكره سيد قطب (رحمه الله) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ ، وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمُ ط وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ﴿ ٨٦ ﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ، وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَكِيمِينَ ﴾ ﴿ ٨٧ ﴾ . حيث يقول (رحمه الله) (ويبدأ شعيب (عليه السلام) بدعوتهم الى عبادة الله وحده وإفراده سبحانه بالآلوهية ، والى الدينوية له وحده وإفراده من ثم بالسلطان في أمر الحياة كله.

يبدء شعيب (عليه السلام) في دعوتهم من هذه القاعدة التي يعلم أنه منها تتبثق كل مناهج الحياة وكل اوضاعها ، كما أن منها تتبثق قواعد السلوك والخلق والتعامل. ولا تستقيم كلها إلا إذا استقامت هذه القاعدة.

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: لأبن كثير: ٦ / ٣٤٩

(٢) ينظر: تفسير السعدي: للسعدي: ٢ / ٥٠٩

ويستصحب في دعوتهم الى الدنيوية لله وحده ، وإقامة حياتهم على منهجه المستقيم ، وترك الافساد في الارض بالهوى بعدما أصلحها الله بالشرعية .. يستصحب في دعوتهم الى هذا كله بعض المؤثرات الموجبة .. يذكرهم بقية الله عليهم: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُتِرْكُمْ﴾ .

ويخوفهم عاقبة المفسدين من قبلهم: ﴿وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ كذلك يريد منهم أن يأخذوا انفسهم بشيء من العدل وسعة الصدر ، فلا يفتنوا المؤمنين الذين هداهم الله اليه عن دينهم ، ولا يقعدوا لهم بكل صراط ، ولا يأخذوا عليهم كل سبيل ، ومهددين لهم موعدين.

وان ينتظروا حكم الله بين الفريقين. إن كانوا هم لا يريدون أن يكونوا مؤمنين: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِءِ وَطَائِفَةٌ لَّا يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ .

ولكن الطواغيت لا يرضيهم ان يكون للإيمان في الارض وجود ممثل في جماعة من الناس لا تدين للطاغوت .. إن وجود جماعة مسلمة في الارض لا تدين الا لله ، ولا تعترض بسطان الا سلطانه ، ولا تحكم في حياتها شرعاً الا شرعه ، ولا تتبع في حياتها منهجاً الا منهجه .. إن وجود جماعة مسلمة كهذه يهدد سلطان الطواغيت ، حتى لو انزلت هذه الجماعة في نفسها ، وتركت الطواغيت لحكم الله حين يأتي موعده.

إن وجود الحق في ذاته يزعج الباطل. وهذا الوجود ذاته هو الذي يفرض عليه المعركة مع الباطل .. إنها سنة الله لا بد أن تجري (١)

قوله: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٢).
والمنتبع بآيات الطوائف في القرآن الكريم يجد أن الله سبحانه تعالى قد شرح أحوال أهل القيامة على سبيل الأجمال: - كقوله تعالى: ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٣)

وفي هذه الآيات شرح لأحوال أهل العقاب: فسوق الذين كفروا الى جهنم يكون بالعنف والدفع، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ۖ ﴾ (٤)، أي: يدفعون دفعاً نظير، قوله تعالى: ﴿ فَذَٰلِكَ الَّذِي يُدْعُ الْيَتِيمَ ﴾ (٥)، أي: يدفعه، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۖ ﴾ (٦). كما شرح المولى سبحانه وتعالى أحوال أهل الثواب يوم القيامة فقال: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ

(١) ينظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: ٣/ ١٣١٧، ١٣١٨

(٢) سورة ص: ٢٨

(٣) سورة الزمر: ٧٠-٧٢.

(٤) سورة الطور: ١٣

(٥) سورة الماعون: ٢

(٦) سورة مريم: ٨٦

أَتَقُوا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِمَ عَلَيْكُمْ طَبَقًا فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾، وهو مساق إعزاز وتشريف للاسراع بهم إلى دار الكرامة. وقيل: سيق مراكبهم إذ لا يُذهب بهم إلا راكبين ﴿زُمَرًا﴾ متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة^(٢). والزمرة: جمع زمرة هي الجماعة القليلة^(٣).

أو الافواج المتفرقة بعضها في أثر بعض، وقيل: في زمر الذين إتقوا: هي الطبقات المختلفة: الشهداء، والزهاد، والعلماء، والقراء، وغيرهم^(٤).

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ أي: إن كان بعضكم قد آمن بما أرسلني الله به اليكم من التوحيد والعبادة والاحكام المقررة للاصلاح المانعة من الافساد وبعضكم لم يؤمن به بل أصروا على شركهم وافسادهم، فستكون عاقبتهم كعاقبة قبلكم، فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وبينكم بالعقل، وهو خير الحاكمين لأنه يحكم بالحق والعدل، لتنتزهه عن الباطل والجور

(١) سورة الزمر: ٧٣-٧٥

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢٣/٦.

(٣) ينظر: المفردات: ٢٤٠

(٤) ينظر: الكشف: ٨٨/٦

، فإن لم يعتبر كفاركم بعاقبة من قبلهم ، فسيرون ما يحل بهم. فالأمر بالصبر تهديد ووعد^(١).

وذكر ايضاً في معنى قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرُوا ﴾ أي: تربصوا وانتظروا ، وقوله ﴿ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ﴾ اي: بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ إذ لا معقب لحكمه لأنه حكم عادل منزه عن الجور^(٢).

وهذا فيه تبشير للذين آمنوا لأنهم يعبدونه وحده ، لأنه لا يمكن ان يحكم لصحة ما يقول الذين يشركون معه حجارة ، وهو انذار للذين لم يؤمنوا ، لأنهم يشركون ويعبدون غيره وهو سبحانه وتعالى وحده خير الحاكمين ، لأنه لا خير في حكم سواه فهو احكم الحاكمين^(٣).

وهو الذي ينصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعد للكافرين إذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه وليصبروا المؤمنون على اذى الكفار ، والكفار على ما يسؤهم من ايمانهم اي: تربصوا لتروا حكم الله بيننا وبينكم^(٤).

(١) ينظر: تفسير القرآن الحكيم - محمد رشيد رضا: ٥٣٢ / ٨

(٢) ينظر: الجواهر في تفسير القرآن العظيم: الشيخ طنطاوي جوهري: ١٩٨/٢

(٣) ينظر: تفسير زهرة التفاسير: الامام الجليل محمد ابو زهرة: ٢٨٩٨/٦

(٤) ينظر: حاشية الشهاب: عن تفسير البيضاوي: ١٨٩ / ٤

الفصل الثالث

طوائف المنافقين وفيه تمهيد

المبحث الاول: فضم طائفة المنافقين في القرآن الكريم على لسان رسول الله ﷺ

المطلب الاول: نشوء النفاق وظهوره

المطلب الثاني: فضم الطائفة المستهزئة

المبحث الثاني: طائفة المنافقين التي تُبَيِّن غير ما يقول لها رسول الله ﷺ

المطلب الاول: خطورة النفاق وموقف الرسول من المنافقين

المطلب الثاني: تبين نية السوء عند طائفة المنافقين

تمهيد:

تعريف النفاق في اللغة والاصطلاح فهو:

أولاً: تعريف النفاق في اللغة:

النفاق: بالكسر، ككتاب، فعل المنافق، والنفاق أيضاً جمع نفقة محركة كثمرة وثمار^(١).

وقد اختلف أهل اللغة في أصل النفاق على أقوال منها: **احدها:** قول أبي عبيد^(٢) وهو مأخوذ من النفق، وهو السرب في الأرض الذي يستتر فيه كل من دخله، فسمي لذلك كل من دخل الإسلام تستراً به منافقاً، لتشابهه في التستر بمن دخل النفق. أو لأنه دخول النفق من وجه والخروج منه وجه آخر، فسمي لذلك من دخل الإسلام أمام النبي ﷺ والمسلمين ثم خرج عن الإسلام امام اخوانه الكفار اقراراً وعملاً منافقاً تشبيهاً بمن دخل النفق في الدخول والخروج منه^(٣).

(١) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: للزبيدي: ٤٣١/٢٦.

(٢) هو: القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي من كبار العلماء بالادب والحديث والفقهاء، من اهل هراة ولد وتعلم بها، وكان مؤدباً، ت(٢٢٤هـ).

من كتبه: الغريب المصنف، الامثال، فضائل القران. ينظر: طبقات الحنابلة: ٢٥٩/١، غاية النهاية: ١٧/٢، تهذيب التهذيب: ٣١٥/٧، تذكرة الحفاظ: ٥/٢، الاعلام: ١٧٦/٥.

(٣) ينظر: لسان العرب: لابن منظور: ٤٥٠٨/٦

الثاني: قول ابن فارس^(١) وأبن الأثير^(٢) أنه مأخوذ من نفاقاء، اليربوع وهو باب جحره، فاليربوع يحفر له جحراً ثم يسد بابه بترابه، وسمي هذا المدخل القاصماء، ثم يحفر له مخرجاً آخر لا يعرف مكان هذا المخرج، وسمي هذا المخرج النفاقاء. فإذا أتى عدوٌّ أو خطر من قبل القاصماء فضرب النفاقاء برأسه وخرج منه هرباً.

فكذلك المنافق يظهر خلاف ما يبطن أو يظهر شيئاً ويبطن شيئاً آخر، وانما شبه النفاق بنفاقاء اليربوع، من حيث أنه في ظاهرة أرض مستوية وباطنه حفرة اعدّها اليربوع للتخلص وقت الحاجة، فكذلك المنافق أظهر الاسلام واطن الكفر ليخدع النبي ﷺ^(٣).

(١) هو: احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، من أئمة اللغة والأدب قرأ عليه البديع الهمداني والصاحب بن عباد وغيرهما، ولد سنة (٣٢٩هـ) وتوفي سنة (٣٩٥هـ) من كتبه (مقاييس اللغة، المجمل، الصاحبى). ينظر: وفيات الاعيان: ٣٥/١، الاعلام: ١٩٣/١.

(٢) هو: عز الدين ابو الحسن علي بن الاثير، المحدث اللغوي ولد سنة (٥٥٥هـ) وكانت داره مجمع الفضلاء وكان مكماً في الفضائل، عارفاً بالرجال توفي سنة (٦٠٣هـ) من كتبه (التاريخ، معرفة الصحابة، الأنساب).

ينظر: وفيات الاعيان: ٣٤٧/١، طبقات الشافعية: ١٢٧/٢، طبقات الحفاظ: ص ٤٩٥، الاعلام: ٣٣١/٤.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: لأبن فارس: ٤٥٥/٥، تاج العروس: ٤٣١/٢٦، ولسان العرب: ٤٥٠٨/٦.

الثالث: قول ابن دريد^(١) (أنه مأخوذ من نفاقاء اليربوع لا من جهة أن المنافق يظهر خلاف ما يبطن، ولكن من جهة أنه يدخل في الاسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه)^(٢)، وأكثر أهل اللغة على (أنه مأخوذ من نفاقاء اليربوع)^(٣).

ثانياً: النفاق اصطلاحاً:

لا ينصرف المعنى عند إطلاق لفظ النفاق الاعلى كل من أظهر خلاف ما يبطن، وقد ذكر العلماء تعريف النفاق والمنفاق، ولكن لا تخرج عن المعنى الذي ذكرناه.

١. عرفه الامام النووي^(٤) فقال: (النفاق هو اظهار ما يبطن خلافه)^(٥).

(١) هو: ابو بكر محمد بن الحسين بن دريد الازدي ولد بالبصرة سنة (٢٢٣هـ)، ونشأ بعمان، وطلب علم النحو، وأخذ عن أبي حاتم السجستاني وكان من اكابر علماء العربية، شاعر كثير الشعر، توفي سنة (٣٢١هـ). ومن كتبه (الجمهرة، كتاب الملاحن، المجتبى). ينظر: نزهة الالباء: ص ٣٢٢، وفيات الاعيان: ٤٩٧/١، طبقات الشافعية: ١٤٥/٢، لسان الميزان: ١٣٢/٥، والاعلام: ٨٢/٦.

(٢) ينظر: جمهرة اللغة: لابن دريد: ١٥٥/٣.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٥٥/٥، ولسان العرب: ٤٥٠٩/٦، وتاج العروس: ٤٣١/٢٦.

(٤) هو: الامام الفقيه الحافظ شيخ الاسلام علم الاولياء. محي الدين ابو زكريا يحيى بن شرف الحزمي الشافعي، ولد سنة (٦٣١هـ) وكان إماماً حافظاً بارعاً متقناً، وكان شديد الورع والزهد توفي سنة (٦٧٦هـ) ومن كتبه (شرح مسلم، الروضة، رياض الصالحين، وشرح المهذب). ينظر: طبقات الشافعية: ١٦٥/٥، مفتاح السعادة: ٣٩٨/١، وطبقات الحفاظ: ص ٥١٣، الاعلام: ١٤٩/٨.

(٥) ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ٣٦٧/١.

٢. عرفه ابن كثير^(١) فقال: (اظهار الخير وأسرار الشر)^(٢).
٣. ابن جريج^(٣) فقال: (المنافق ما يخالف قوله فعله، وسره علانية، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه)^(٤).
٤. عرفه الراغب^(٥) فقال: (النفاق هو الدخول في الشرع من باب والخروج عنه من باب)^(٦).
٥. عُرف بأنه (من يستتر كفره ويظهر ايمانه)^(٧).

(١) هو : الامام الحافظ المحدث، ذو الفضائل، عماد الدين ابو الفداء، اسماعيل بن كثير. ولد سنة (٧٠٠هـ)، قال الامام الذهبي: هو الامام المفتي المحدث البارع ثقة متقن ومحدث توفي سنة (٧٧٤هـ). ومن كتبه (التفسير، التاريخ).
ينظر: الدرر الكامنة: ٣٧٣/١، البداية والنهاية: ٣٣٤/١٤، طبقات الحفاظ: ص ٥٣٣، الاعلام: ٣٢٠/١.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: لأبن كثير: ٤٧/١.

(٣) هو : الامام الحافظ فقيه الحرم أبو الوليد الرومي الأموي صاحب التصانيف أحد الاعلام ولد نيف وسبعين وأدرك صغار الصحابة توفي سنة (١٥٠هـ).

ينظر: وفيات الاعيان: ٢٨٦/١، تاريخ بغداد: ٤٠٠/١، تذكرة الحفاظ: ١٦٩/١، الاعلام: ١٦٠/٤

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ٤٧/١.

(٥) هو : الحسين بن محمد بن المفضل، صاحب المعرفة باللغة، يافعة الوقت، فرد الدهر الدهر وبحر العلم وروضة الادب ت(٤٢٥هـ) من كتبه (الشامل في اللغة، احتجاج القرآن).

ينظر: طبقات المفسرين: ٣٢٩/٢، الاعلام: ٢٥٥/٢

(٦) ينظر: مفردات الفاظ القرآن: للراغب الاصفهاني: ص ٨١٩.

(٧) ينظر: لسان العرب: لابن منظور: ٤٥٠٩/٦، تاج العروس: ٤٣١/٢٦.

والنفاق والمنافق أسم إسلامي لم يعرفه العرب بهذا المعنى الخاص وان كان أصله الذي أخذ منه في اللغة معروفاً^(١).

والنفاق مرضٌ خطيرٌ وجرمٌ كبيرٌ، وهو اظهار الاسلام واطمان الكفر، والنفاق اخطر من الكفر وعقوبته اشد لأنه كفرٌ بلباس الاسلام وضرره اعظم، ولذلك جعل الله المنافقين في اسفل النار كما قال سبحانه ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ

الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾^(٢)

والمنافقون دائماً في حيرةٍ وتقلبٍ وفي خداعٍ ومكرٍ ظاهرهم مع المؤمنين وباطنهم مع الكافرين حيناً مع المؤمنين وحيناً مع الكافرين لقوله تعالى:

﴿ مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَتُولَاءٍ وَلَا إِلَى هَتُولَاءٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾^(٣).

(٣).

والمنافقون لفساد قلوبهم اشد الناس إعراضاً في دين الله كما اخبر الله عنهم

بقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ

يُضِدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾^(٤)

(١) ينظر: تفسير غريب القرآن: لأبن قتيبة: ص ٢٩، ولسان العرب: ٤٥٠٩/٦، وتاج العروس: ٤٣١/٢٦.

(٢) سورة النساء: ١٤٥.

(٣) سورة النساء: ١٤٣.

(٤) سورة النساء: ٦١.

وحيث ان خطر الكفار والمنافقين على الامة الاسلامية عظيم لذا امر الله رسوله
بجهادهم فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهَادِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ
جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ﴾ (١)

وقد تناولت آيات القرآن العظيم طوائف المنافقين وفضح اعمالهم، وعلى لسان
رسول الله ﷺ وفق آيات الكتاب.

ولخطورة النفاق أثرت ان ابين هذه الخطورة كما ابين موقف الرسول ﷺ من
المنافقين وما يتعلق في ذلك من امور ، وذلك وفق الفصل الاتي وعلى المباحث
الآتية:-

المبحث الأول

فضم طائفة المنافقين في القرآن الكريم وعلى لسان

رسول الله ﷺ

من الطوائف المنافقة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم هو الطائفة المستهزئة
بآيات الله ورسوله ، وقبل الدخول في التعرف على هذه الطائفة لابد ان نشرع اولاً
في التعرف على نشأة النفاق وظهوره ، فعليه كان المبحث الاول من مطلبيين
وعلى النحو الاتي:-

المطلب الأول: نشوء النفاق وظهوره

المطلب الثاني: فضم الطائفة المستهزئة

المطلب الاول: نشوء النفاق وظهوره:

أن ظهور حركة النفاق كانت في المدينة، ولم يكن في مكة نفاق، فالنبي ﷺ والمسلمون الأوائل في مكة لم يكونوا في القوة والنفوذ، بل كانوا في موقف مخالف لما عليه الكفار، فكان في مكة طائفتان، طائفة اهل الايمان وهم قلة وطائفة اهل الشرك وهم كثرة، وبعد هجرة الرسول ﷺ، الى المدينة المنورة وتشرفت بقومه كان الامر مختلفاً كما كان عليه الحال في مكة، فلم يبق في المدينة بيت الا ودخله الاسلام، وجاءت معركة بدر التي سجلت في موقعها الاول بين الشرك والإيمان اسمى غايات النصر والبطولة للمسلمين على المشركين، فشاع نبأ النصر وعاد المصطفى ﷺ واصحابه الغر الميامين الى المدينة، وهم مبتهلون بفضل الله ورحمته وفي ذلك الوقت ظهرت فئة المنافقين التي اتخذت من دعوى الاسلام وسيلة وحيلة في دفع الاذى عنهم.

ومما يؤكد ظهور هذه الحركة في المدينة، كثرة الحديث عن المنافقين في السور المدنية، حتى لا تكاد تخلو سورة من السور المدنية من ذكر النفاق تلميحاً أو تصريحاً حتى جعل الغالب على السور المدنية حديثها عن النفاق والمنافقين وبيان دسائسهم لذلك قال علماء القرآن (كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية ما عدا سورة العنكبوت)^(١).

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: للزركشي: ٢٤٠/١، الاتقان في علوم القرآن للسيوطي:

١٧/١، مباحث في علوم القرآن: مناع القطان ص ٦٤، مواهب الرحمن في تفسير القرآن:

عبد الكريم المدرس: ٤٦/١.

وذهب ابن كثير "رحمه الله" الى تحديد دقيق لزمن نشوء الحركة في المدينة فرأى انها ظهرت بعد غزوة بدر، فقال: (انما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية، لان مكة لم يكن فيها نفاق، بل كان خلفه ومن الناس من يظهر الكفر مستكرها وهو في الباطن مؤمن، فلما هاجر الرسول ﷺ الى المدينة، كان فيها من الانصار والاوز والخزرج وكانوا في جاهليتهم يعبدون الاصنام على طريقة مشركي العرب، وبها اليهود من اهل الكتاب على طريقة أسلافهم، وكانوا ثلاث قبائل، بنو قينقاع حلفاء الخزرج، وبنو النضير، وبنو قريضة حلفاء الاوز، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، واسلم من أسلم من الانصار من قبيلتي الاوز والخزرج، وقل من اسلم من اليهود، وقبائل كثيرة من احياء العرب حول المدينة، فلما كانت موقعة بدر الكبرى، واطهر الله كلمته واعز الاسلام واهله، قال عبد الله بن ابي سلول - وكان سيد الطائفتين - وكانوا قد عزموا على ان يملكوه عليهم، فلما جاء الخبر واسلموا واشتغلوا عنه فبقي في نفسه من الاسلام وأهله، فلما كانت وقعه بدر قال: هذا امر قد توجه، فأظهر الدخول في الاسلام ودخل معه طوائف ممن هم على طريقته ونحلته، واخرون من اهل الكتاب، فمن ثم وجد النفاق في اهل المدينة، وممن حولها من الاعراب، فأما المهاجرون فلم يكن فيهم أحد يهاجر مكره، بل يهاجر فيترك ماله وولده وارضه رغبة فيما عند الله تعالى من الدار الآخرة)^(١).

ومن خلال هذا يتبين أن النفاق حركة مدنية ظهرت مع ظهور قوة المسلمين وانتقالهم الى المدينة، بعد ما عانوه من الضعف والاضطهاد والاذى في مكة، حتى اضطروه الى ترك الالاهل والمال والديار خوفاً على دينهم، ومما ساعد على

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير ٤٧/١.

حركة النفاق وجود اليهود، فقد وجد المنافقون اليهود الحاقدين على النبي ﷺ عوناً ومساعداً، وتدريبوا على اساليبهم في الدس والكيد والخداع والمكر، حتى يمكننا القول إن المنافقين لم يكن لهم أن يثبتوا ويقدموا الأذى والدس والكيد للمسلمين لولا تأييد اليهود لهم، وتضامنهم معهم، كما انه لم يضعف خطر النفاق الا بعد أن طرد النبي ﷺ اليهود، عندما ضعف صوتهم وضعف شكوتهم ولم تعد لهم القوة الا بعد فتح مكة ودخول عناصر جديدة في الاسلام وتوسع نطاقه^(١).

وقد تواتر ذكر المنافقين ووصف وسائلهم والتنديد بمؤامراتهم واخلاقهم في السور المدنية، كما تكرر ذكر انصار لهم من اليهود واشتراكهم معهم في بعض المؤامرات لما يجمعهم من الحقد والبغض وكرهيتهم للرسول ﷺ^(٢).

ولعل من الاسباب المهمة التي ادت الى ظهور النفاق في عصر النبي ﷺ في المدينة المنورة بداية ألا هو:

١. تذبذب وعدم القدرة على اتخاذ القرار والرغبة في الفتنة بين المسلمين.

٢. الطمع في المكاسب الدنيوية

٣. وقوع حادثتي تحويل القبلة من البيت المقدس الى الكعبة المشرفة

٤. هزيمة المسلمين في احد

٥. الفتنة بين المسلمين في حادثة الأفك.

٦. المواقف الصعبة التي مرّ به المسلمون في غزوة تبوك وغيرها.

(١) ينظر: النفاق والمنافقين في القرآن الكريم: د. اميمة بدر الدين: ص ٩٧.

(٢) ينظر: لغة المنافقين في القرآن الكريم: د. عبد الفتاح لاشين: ص ١٢.

وفي هذه المرحلة العصبية التي تمر بها الأمة الآن من فرقة داخلية ، وحرب صليبية معلنة ، ونفاق يضرب بأطنابه في صحفنا وإعلامنا وسيادة لمن لا يستحق ، وحيرة لا تكاد تفارق من يتابع التغيرات السياسية والاجتماعية على الصعيد الداخلي والخارجي بأن من الاسباب الاخرى التي ساعدت على ظهور النفاق في الواقع المعاصر إلا وهو الخوف من الصحوة الاسلامية المتصفة بالشمول لطبقات المجتمع والوعي لمخططات الاعداء ، وانحراف كثير من مناهج التعليم التي تنتشيء الطالب على الانسلاخ عن دينه ومجتمعه فتبذر في نفسه بذرة النفاق الاولى ، إضافة الى فساد اكثر اجهزة الاعلام ، ومحاربتها للمنهج الاسلامي في تربية المجتمع ، ولعل الكثير من شعب النفاق الاصغر قد عمت وطمت في مجتمعات المسلمين ، كالكذب ، وخلف الوعد ، والرياء ، والخيانة ، والجبن ، وترك الجهاد في سبيل الله تعالى ، وعدم تحديث النفس بذلك.

وعليه فإن على دعاة المسلمين الى الله تعالى أن يحذروا مكاييد المنافقين ومسالكتهم ، فلا ينخدعوا بهم ، او يتساهلوا معهم ، وان يجتهد المصلحون في تحقيق تركية النفوس وتربية الاجيال على الايمان الصحيح ، والقيام بالعبادة ظاهراً وباطناً ، فالمنافقون ارباب ظواهر لا بواطن وسيدرك الصادقون في ايمانهم اولئك المنافقين من خلال لحن القول كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلتَعْرِفَنَّهُمْ

بِسِيمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴿١﴾.

المطلب الثاني: الطائفة المستهزئة

في القرآن الكريم آيات بينات تُبين حال من احوال المنافقين وتفضح شأنهم وكشفت عنهم ومن هذه الايات قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ يُعَذِّبْ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١﴾

والمراد بالطائفة هنا الجماعة من الناس ممن أصرَّ على النفاق والاستهزاء. وهذه الآيات نزلت في شأن هؤلاء ضمن سلسلة من الآيات التي تُبين حال المنافقين فقد روى ابن المنذر عن قتادة في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُكَادِرُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَأَنْبَأَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾. والمتأمل في مناسبة هذه الآيات وما نحن بصدد بيانه من شأن المنافقين يجد أن مجموع هذه الآيات تُبين أنواع القبائح عند المنافقين وفي الآيتين الآخرتين نوعٌ من هذه القبائح هو إقدامهم على اليمين الكاذبة، ومشاققة (معادة) الله ورسوله، وتحرزهم من نزول القرآن فاضحاً لهم، واستهزائهم بآيات الله (القرآن) وهي آيات في الجملة لشرح احوال المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة

(١) سورة توبة: ٦٤-٦٦.

(٢) سورة توبة: ٦٢-٦٣.

تبوك^(١). وإذا فهذه الآيات بجملتها تكشف لنا أحوال المنافقين من خلال غزوة تبوك ولا بأس بالوقوف على هذه الغزوة ومعرفة شيء من تفاصيلها وما جاء في شأن المنافقين وفصائحهم:-

وقعت غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة^(٢) وفي سببها روايات منها ما ذكره الامام ابن كثير "رحمه الله":- قال: ((أنه لما أمر الله تعالى أن يمنع المشركون من قربان المسجد الحرام في الحج وغيره قالت قريش لتقطعن عنا المتاجر والأسواق أيام الحج وليذهبن ما كنا نصيب منها فعوضهم الله عن ذلك بالامر بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون))^(٣)

وبالجملة: ما أن تجهزَّ المسلمون وسارَّ الجيش الى تبوك حتى بلغ رسول الله ﷺ أن مجموعة من المنافقين مجتمعين في بيت سويلم اليهودي يثنون الناس عن الخروج مع النبي ﷺ فأمر طلحة بن عبيد الله (رضي الله عنه) أن يذهب إليهم فذهب طلحة بن عبيد الله ومعه مجموعة من الصحابة فأقتحم عليهم الدار وأحرقها فهرب من في البيت من جهة البيت الخلفية إلا الضحاك بن خليفة فقد أمسك به وقد كسرت رجله أثناء الهرب^(٤). فقال في ذلك:-

كادت وبين الله ناصر محمد

يهبط بها الضحاك وأبن بيرق

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٨/٨٦.

(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن كثير: ٣/٤، ينظر: العبر في خبر من غير: للذهبي: ١/١٠

(٣) ينظر: السيرة النبوية: ٣/٤

(٤) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٥١٧/٢، وينظر: تأريخ ابن خلدون: ٤٦٧/٢.

وظلت وقد طبقت كبس سويلم

أنو على رجلي كسيراً ومرفق

سلام عليكم لا أعود لمثلها

أخاف ومن تشمل به النار يحرق^(١)

وقد أنزل الله تعالى آية في المنافقين قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا نَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾^(٢)، وسار جيش المسلمين حتى وصل الى تبوك وما أن أستقر الرسول ﷺ في تبوك حتى جاءه أسقف أيليا بن رؤية فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية^(٣).

وقد عسكر الرسول ﷺ والمسلمين عشرين يوماً وخلال هذه المدة لم يشاهدوا أي : تحرك للعدو وكفى بالله سبحانه وتعالى المؤمنين القتال فرجع عليه الصلاة والسلام وأصحابه عائدين الى المدينة^(٤).

وهذا ما ذكره القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾^(٥). وفي هذه الغزوة تخلف

(١) ينظر: السيرة النبوية: ٤/٥-٦ وينظر: البداية والنهاية: ٣/٥

(٢) سورة توبة: ٨١

(٣) ينظر: السيرة النبوية ٢/٥٢٥، وينظر: تاريخ اليعقوبي: أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤هـ—)، دار صادر (د-ط) بيروت ١٩٦٠: ٦/٦٧-٦٨.

(٤) ينظر: تاريخ ابن خلدون: ٢/٤٦٨.

(٥) سورة الاحزاب: ٢٥

كعب بن مالك بن أبي كعب ومعه أثنان وهما مرارة بن ربيع وهلال بن أمية عن غير شك ولا نفاق وأمر رسول الله ﷺ أن لا يكلمهم أحد من المسلمين وأن يعتزلوهم حتى أنزل الله سبحانه وتعالى عليهم توبته فبعث إليه الرسول ﷺ وهو في المسجد ومعه بعض من أصحابه وكان من بينهم طلحة بن عبيد الله فبشره أن الله تاب عليه يقول كعب بن مالك: ((فقام اليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله ما قام أي: رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة))^(١).

وخلاصة القول في قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبُ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾^(٢).

ذكر الطبري (رحمه الله) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبُ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾^(٦٦) يقول: (يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: قل لهؤلاء الذين وصفت لك صفتهم ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ بالباطل، فتقولوا: كنا نخوض ونلعب. ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ﴾، يقول: قد حجتكم الحق بقولكم ما قتلتم في رسول الله ﷺ والمؤمنين به. ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، يقول: بعد تصديقكم به، وإقراركم به، ﴿إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبُ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾. وذكر أنه عني (بالطائفة) في هذا الموضع رجل واحد^(٣).

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٥٣٦/٢. وينظر: البداية والنهاية لابن كثير: ٢٥/٥.

(٢) سورة توبة: ٦٦

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن: للطبري: ١١ / ٥٤٦.

واختلف اهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم: معناه: ﴿إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ﴾ بإنكاره ما انكر عليكم من قبل الكفر ، ثم ﴿نُعَذِّبُ طَائِفَةً﴾ بكفره واستهزائه بآيات الله ورسوله^(١).

حدثنا محمد بن عبد الاعلى ، قال: ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال: قال بعضهم: كان رجل منهم لم يمالئهم في الحديث ، يسير بجانباً لهم ، فنزلت: ﴿إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً﴾ ، فسمى طائفة وهو واحد^(٢).

وقال اخرون: بل معناه: إن تثبت طائفة منكم فيعفوا الله عنه ، يعذب الله طائفة منكم بترك التوبة.

واما قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ ، فإن معناه: نعذب طائفة ، منهم بأكتسابهم الجرم ، وهو الكفر بالله ، وطعنهم في رسول الله ﷺ^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً﴾ مسائل^(٤):

المسألة الاولى: قرأ عاصم (إن نعف ونعذب) بالنون وكسر الـذال ، وطائفة بالنصب والمعنى ان تعالى حكم على نفسه ان يقول إن يعف عن طائفة والباقون

(١) اخرجه ابن ابي شيبة ١٠ / ٦١ عن زيد بن حباب به.

(٢) اخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١ / ٢٨٢ عن معمر الكلبي به.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : للطبري : ٥٤٦/١١ .

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي: ١٦ / ١٢٧ ، ١٢٨

بالياء وضمها ، وفتح الفاء على ما لم سم فاعله ، إن يعرض عن طائفة بالتذكير ، وتعذب طائفة بالتأنيث^(١).

المسألة الثانية: ذكر المفسرون ، ان الطائفتين كانوا ثلاثة ، استهزأ اثنان وضحك واحد ، فالطائفة الاولى الضاحك ، والثانية الهازئان ، وقال المفسرون: لما كان ذنب الضاحك اخف لا جرم عفا الله عنه ، وذنب الهازئين اغلظ ، فلا جرم ما عفا الله عنهما ، وهذا بعيد لأن تعالى حكم على الطائفتين بالكفر ، وانه تعالى لا يعفو عن الكافر الا بعد التوبة والرجوع الى الاسلام ، وايضاً لا يعذب الكافر الا بعد اصراره على الكفر ، اما لو تاب عنه ورجع الى الاسلام فإنه لا يعذبه.

فلما ذكر الله تعالى أنه يعفو عن طائفة ويعذب الاخرى ، كان فيه إضمار ان الطائفة التي اخبر انه يعفو عنهم تابوا عن الكفر ورجعوا الى الاسلام ، وأن الطائفة التي اخبر ان يعذبهم اصرروا على الكفر ولم يرجعوا الى الاسلام.

المسألة الثالثة: قالوا: ثبت بالروايات ان الطائفتين كانوا ثلاثة ، فوجب ان تكون احدى الطائفتين انساناً واحداً. وفي جواز تسمية الشخص الواحد الطائفة وجوه:
الاول: ان من اختار مذهب ونصره فانه لا يزال يكون ذاباً عنه ناصراً له ، فكأن بقلبه يطوف عليه ويذب عنه من كل جانب.

(١) ينظر: التسهيل لقراءات التنزيل: محمد فاروق: ص ١٩٧

الثاني: قال ابن الانباري: العرب توقع لفظ الجمع على الواحد فتقول: خرج فلان الى مكة على الجمال ، والله تعالى يقول: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ يعني نعيم ابن مسعود.

الثالث: لا يبعد ان تكون الطائفة إذا اريد بها الواحد يكون اصلها طائفاً ، ثم ادخل الهاء عليه للمبالغة ، ثم علل الله تعالى كونه معذبا للطائفة الثانية بأنهم كانوا مجرمين.

واعلم ان الطائفتين لما اشتركا في الكفر ، فقد اشتركتا في الجرم والتعذيب يختصر بأحدى الطائفتين وتعليل الحكم الخاص بالقلة ، العامة لا يجوز ، وايضاً التعذيب حكم حاصل في الحال وقوله ﴿كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ يدل على صدور الجرم عنهم في الزمان الماضي ، وتعليل الحكم الحاصل في الحال بالعلة المتقدمة لا يجوز ، بل كان الاولى ان يقال ذلك بأنهم مجرمون.

واعلم ان الجواب على ان هذا تنبيه على ان جرم الطائفة الثانية كان اغلظ واقوى من جرم الطائفة الاولى ، فوقع التعليل بذلك الجرم الغليظ ، وايضاً ففيه تنبيه على ان ذلك الجرم بقي واستمروا ولم يزل ، فأوجب التعذيب^(١).

وجاء في قوله تعالى: ﴿إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ﴾ فكان الذي عفا الله عنه فخشى بن حمير فتسمى عبد الرحمن^(٢) ، وسأل الله ان يقتل شهيداً لا يُعلم بمقتله ، فقتل يوم اليمامة لا يعلم مقتله ، ولا من قتله ، ولا يرى له اثر ولا عين^(٣).

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي: ١٢٨ / ١٦

(٢) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للسيوطي: ٤٢٨/٧

(٣) ابن اسحاق (٢/ ٥٢٥ - سيرة ابن هشام ، وابن ابي حاتم ٦ / ١٨٣١.

ولعله من جميل القول في تفسير قوله تعالى ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ

عَلَيْهِمْ سُورَةٌ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا وَإِنَّ اللَّهَ لَمُخْرِجٌ مِمَّا تَحْذَرُونَ ﴿١٦٤﴾

وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ

كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ

مِّنْكُمْ نَعَذَّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١٦٦﴾ ما ذكره سيد قطب في تفسيره

حيث يقول: (إن النص عام في حذر المنافقين ان ينزل الله قرآناً يكشف خبيثتهم ،

ويتحدث عما في قلوبهم ، فيكشف للناس ما يخبئونه.

وقد وردت عدة روايات عن حوادث معينة في سبب نزول هذه الايات.

ومن هذه الروايات:

قال محمد بن اسحاق: وقد كان جماعة من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو

بني امية بن زيد بن عمرو بن عوف ، ورجل من اشجع حليف لبني سلمة يقال له

مخشي بن حمير يسيرون مع رسول الله ﷺ وهو منطلق الى تبوك ، فقال بعضهم

لبعض: أتحسبون جلاد بني الاصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً؟ والله لكأن بكم

غداً مقرنين في الحبال ... أرجافاً وترهيباً للمؤمنين. فقال فمخي بن حمير: والله

لوددت أن اقاضى على ان يضرب كل رجل منا مائة جلدة ، واننا ننجو ان ينزل

فينا قرأناً لمقاتلتكم هذه وقال رسول الله ﷺ فيما يلقي لحر بن ياسر ((أدرك

القوم فإنهم قد احترقوا ، فأسالهم عما قالوا فإن انكروا فقل: بلى قلتكم كذا وكذا))

فأنطلق اليهم عمار ، فقال ذلك لهم ، فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون اليه فقال وديعة

بن ثابت ، ورسول الله واقف على راحلته ، فجعل يقول وهو اخذ بحقبها: يا

رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب. فقال مخشي بن حمير: يا رسول الله قعد بي

اسمي واسم ابي. فكان الذي عفي عنه في هذه الآية مخشي بن حمير ، فتسمى عبد الرحمن ، وسأل الله ان يقتل شهيداً لا يعلم بمكانه ، فقتل يوم اليمامة ولم يوجد له أثر^(١).

وفي مجموع ما تقدم من الآيات عبرة للمنافقين في زماننا وفي كل زمان، إذ يحلفون حين الحاجة إلى تأكيد أخبارهم فيما يحاولون به ارضاء الناس، وبخاصة الملوك والوزراء الذين يتقربون إليهم فيما لا يُرضي ربهم، بل فيما يسخطه بأخس الوسائل وأقذر السبل^(٢).

(١) ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب: ٣ / ١٦٧٢

(٢) ينظر: تفسير المراغي: ٤ / ١٢٣.

المبحث الثاني

طائفة المنافقين التي تُبَيَّن غير ما يقول لها رسول الله ﷺ

المطلب الأول: خطورة النفاق وموقف الرسول من المنافقين

المطلب الثاني: تبين نية السوء عند طائفة المنافقين

المطلب الاول: خطورة النفاق وموقف الرسول من المنافقين.

النفاق هو الداء العضال والمرض الخبيث الذي يصد حامله عن طريق الهدى ويسلك به طرق الردى والهلاك، الذي يكون الرجل ممتلئاً منه وهو لا يشعر، لأنه مفسد.

ولخطورة النفاق والمنافقين على الاسلام توالى ذكرهم في القران في اكثر من ثلاثمائة آية^(١)، وقد هنك الله تعالى أستار المنافقين، وكشف أسرارهم في القران وجلى لعباده أمرهم، ليكونوا منها ومن اهلها على حذر، وذكر طوائف العالم الثلاثة في اول سورة البقرة، المؤمنين، والكفار، والمنافقين، فذكر في المؤمنين أربع آيات تبدء بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾^(٢)

وذكر في الكفار آيتين، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾

(١) سورة المنافقون: دراسة تحليلية للمرحوم الشهيد زياد علي عباس الحلبيوسي: ص: ١٤.

(٢) سورة البقرة: ٢-٥.

(٣) سورة البقرة: ٦-٧.

وذكر في المنافقين ثلاث عشر آية لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم وشدة فتنهم على الاسلام وأهله، فإن بلية الاسلام بهم شديدة جداً، لأنهم منسوبون اليه والى نصرته وموالاته وهم أعدائه في الحقيقة، وتبدأ هذه الايات بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ۝۸ يُخٰدِعُونَ اللّٰهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخٰدِعُونَ اِلَّا اَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝۹ فِي قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّٰهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌۢ بِمَا كَانُوْا يَكْذِبُوْنَ ۝۱۰ وَاِذَا قِيْلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوْا فِى الْاَرْضِ قَالُوْا اِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُوْنَ ۝۱۱ اَلَا اِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُوْنَ وَلٰكِنْ لَا يَشْعُرُوْنَ ۝۱۲ وَاِذَا قِيْلَ لَهُمْ ءَامِنُوْا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوْا اَنْتُمْ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ اَلَا اِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلٰكِنْ لَا يَعْلَمُوْنَ ۝۱۳ وَاِذَا لَقُوا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا قَالُوْا ءَامَنَّا وَاِذَا خَلَوْا اِلَىٰ شَيْطٰنِهِمْ قَالُوْا اِنَّا مَعَكُمْ اِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُوْنَ ۝۱۴ اللّٰهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيٰنِهِمْ يَعْمَهُوْنَ ۝۱۵ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اشْتَرَوْا الضَّلٰلَةَ بِالْهُدٰى فَمَا رَجَعَتْ يُجْرَتُهُمْ وَمَا كَانُوْا مُهْتَدِيْنَ ۝۱۶ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا اَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّٰهُ بِنُوْرِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلْمٰتٍ لَا يَبْصُرُوْنَ ۝۱۷ صُمُّ بِكُمْ عُمٰى فَهَمْ لَا يَرْجِعُوْنَ ۝۱۸ اَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَآءِ فِىهِ ظُلْمٰتٌ وَرَعْدٌ وَبُرْقٌ يَّجْعَلُوْنَ اَصْبَعَهُمْ فِىْ اٰذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللّٰهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِيْنَ ۝۱۹ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ اَبْصَرَهُمْۭ كَلَّمَا اَضَاءَ لَهُمْ مَشٰوُا فِىهِ وَاِذَا اظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوْا وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْۭ وَاَبْصَرَهُمْۭ اِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ۝۲۰﴾ (۱).

قَدِيْرٌ ﴿ (۱)﴾

فخطر المنافقين على الاسلام أشد من الكفار والابتلاء بهم اعظم، لأن الكفار أعلنوا رفضهم لقبول الاسلام، وأعلنوا حقدهم على النبي ﷺ فقد لبسوا ثياب أهل الايمان على قلوب أهل الزيغ والخسران والغل والكفران، فالظواهر ظواهر الانصار، والبواطن قد تميزت الى الكفار، فألسنتهم ألسنة المسالمين وقلوبهم قلوب المحاربين^(١).

قال الامام البيضاوي^(٢): (لما أفتتح سبحانه وتعالى شرح حال أهل الكتاب، وساق لبيان ذكر المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لله تعالى، ووطأت فيه قلوبهم السننهم وثنى بأضرارهم، وهم الذين محضوا الكفر ظاهراً وباطناً ولم يلتفتوا رأساً، ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين، وعم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلاً للقسم، وهم أخبث من الكفرة، وابغضهم الى الله تعالى لأنهم مؤهوا الكفر وخطوا به خداعاً وأستهزاءً، ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم وأستهزاء بهم وتهكم بأفعالهم، وسجل على عملهم وطغيانهم، وضرب لهم الامثال وأنزل فيهم^(٣) ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾^(٤).

ولقد صور لنا القرآن الكريم جميع وسائل المنافقين، وبين اساليبهم ومواقفهم الخبيثة تجاه الدعوة الاسلامية فكان يفضحهم ويبين وسائلهم، فكان المسلمون

(١) ينظر: مدارج السالكين: لابن القيم: ٣٤٧/١.

(٢) هو: عبد الله بن عمر البيضاوي، الشافعي، ولد في مدينة البضا بفارس، كان إماماً نظاراً صالحاً متعبداً اصولياً متكلماً، توفي بتبريز سنة (٦٨٥هـ) من كتبه: (انوار التنزيل واسرار التأويل، الايضاح في اصول الدين). ينظر: ترجمته: طبقات الشافعية: ٥٩/٥، البداية والنهاية: ٣٠٩/١٣، الاعلام: ١١٠/٤.

(٣) ينظر: تفسير البيضاوي: أنوار التنزيل واسرار التأويل: ٢٤/١.

(٤) سورة النساء: ١٤٥

يعرفونهم من خلال اوصافهم التي ذكرت في القرآن الكريم، ولذلك يصور لنا القرآن جنبهم وهلعهم في ان تنزل فيهم الايات فقال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَادُوا فَاحْذَرَهُمْ﴾ (١)

وقد حذر الرسول ﷺ من النفاق وبين علامته، ليكون امره معلوماً للعامه لاليس فيه لان نفوسهم متذبذبة بين الكفر والايان لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ (٢)

كما جاء نم هذا الصنف من الناس في الحديث الصحيح (ان شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه)^(٣). وما اشد غفلة الناس في هذا الزمن عن مسالك النفاق، والادهى من ذلك من يعرف النفاق ويسلكه ابتغاء لرضى فلان، وجاه فلان، لذلك اصبح النفاق في هذا الزمن وسيلة في التعامل في جميع طبقات المجتمع، تركوا الجد، وذكروا المجد، اقوالهم اقوال العاملين وافعالهم افعال الشياطين، وتلك هي اقوال المنافقون الذي هو دأبهم في كل زمان ومكان كما هو اليوم الحرص على المناصب جعلهم يستبدلون كل القيم حتى مدلولات (الالفاظ، حيث نسمع بدل نصره المظلوم حقوق الانسانية وما ذلك الا

(١) سورة المنافقون: ٤.

(٢) سورة البقرة: ١٤.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الاحكام باب ما يكره من اتيان السلطان: ١٢٩/٩، وصحيح مسلم

كتاب البر والصلة والاداب باب نم ذو الوجهين وتحريم فعله: ٢٠١١/٤، المسند ٣٠٧/٢

كخوفهم من ان يذهب الملك عنهم، فلا بد من اخذ الحذر وكفا سعياً وراء الاماني الكاذبة والشعارات المزوقة^(١).

أما عن موقف الرسول ﷺ من المنافقين^(٢)، فإن كتب التفسير والسيرة النبوية لم تتقل لنا محاربة الرسول ﷺ للمنافقين وقتاله لهم، كقتاله للمشركين، كما أنها لم تتقل الينا أن النبي ﷺ قتل بعض زعمائهم وكبارهم ممن آذوا المسلمين والدعوة في المدينة رغم قوتهم ودورهم الكبير الذي قاموا به في بداية العهد المدني.

وعليه فإن النبي ﷺ لم يكن هو المبادر بالعداء والكيد للمنافقين، بل كان موقفه يتمشى مع ما يظهر من مواقفهم، ويتساير مع أساليبهم التي يلجأون اليها في محاربة النبي ﷺ ومواجهته^(٣). ويبقى التساؤل قائماً لماذا لم يقتل الرسول ﷺ المنافقين مع علمه بهم؟

فقد بين الامام ابن العربي^(٤) إجابة العلماء عن هذا السؤال في كتابه، وكذلك الامام القرطبي في تفسيره، فقال ابن العربي: (والحكم المستفاد ها هنا أن النبي

(١) سورة المنافقون: دراسة تحليلية للمرحوم الشهيد زياد علي عباس: ص ١٧.

(٢) سورة المنافقون: دراسة تحليلية: ص ١٧.

(٣) ينظر النفاق والمنافقون في القرآن الكريم: د. أميمة بدر الدين. ص ١٠٠.

(٤) هو : محمد بن عبد الله المعاقري، المالكي، ابو بكر بن العربي، قاضٍ، من حفاظ الحديث ولد في أشبيلية سنة (٤٦٨هـ—)، صنف في الحديث والفقہ والاصول والتفسير ت(٥٤٣هـ—) من كتبه (احكام القرآن، قانون التأويل). ينظر: ترجمته: وفيات الاعيان: ٤٨٩/١، الاعلام: ٢٣٠/٦.

ﷺ لم يقتل المنافقين مع علمه بهم، وقيام الشهادة عليهم أو على أكثرهم، وأختلف العلماء في ذلك على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه لم يقتلهم، لأنه لم يعلم حالهم سواه، وقد أنفق العلماء عن بكرة أبيهم على أن القاضي لا يقتل بعلمه، وإن اختلفوا في سائر الأحكام هل يحكم بعلمه أم لا؟

الثاني: إنه لم يقتلهم لمصلحة وتألف القلوب عليه لئلا تنفر عنه، وقد أشار هو ﷺ إلى هذا المعنى، فقال: "أخاف أن يتحدث الناس أن محمد ﷺ يقتل أصحابه

الثالث: قال اصحاب الشافعي^(١) أنه لم يقتلهم لأن الزنديق - وهو الذي يسر الكفر ويظهر الإيمان - يستتاب ولا يقتل - وهذا وهم من علماء اصحابه، فإن النبي ﷺ لم يستتبهم، ولا يقول أحد أن استتابة الزنديق غير واجبة، وكان النبي ﷺ معرضاً عنهم مع علمه بهم.

والصحيح أن النبي ﷺ إنما أعرض عنهم تالفاً ومخافة من سوء المقالة الموجبة للتفير، وهذا كما كان يعطي الصدقة للمؤلفة قلوبهم مع علمه بسوء اعتقادهم، تالفاً لهم، أجرى الله سبحانه أحكامه على الفائدة التي سنها امضاءً لقضاياه^(٢).

(١) هو: محمد بن ادريس بن العباس القرشي المطلبى أحد الائمة الاربعة عند اهل السنة ولد سنة (١٥٠هـ) بغزة بفلسطين وتوفي في مصر سنة (٢٠٤هـ) من اشهر كتبه: (الام، المسند في الحديث، احكام القران). ينظر: ترجمته (وفيات الاعيان: ٤٤٧/١، غاية النهاية: ٩٥/٢، تاريخ بغداد: ٥٦٦/٢، الاعلام: ٢٦/٦).

(٢) ينظر: احكام القران: لأبن العربي: ١٢/١.

وقد ذكر الامام القرطبي سبباً رابعاً وهو (إن الله تعالى كان قد حفظ اصحاب نبيه عليه السلام بكونه ثبتهم أن يفسدهم المنافقون أو يفسدوا دينهم فلم يكن في تبقيتهم ضرر وليس كذلك اليوم، لأننا لا نأمن من الزنادقة ان يفسدوا على عامتنا وجهالنا^(١)).

وقد علل ابن تيمية "رحمه الله" امتناع الرسول ﷺ من عقوبة المنافقين فقال: (فإن منهم من لم يكن يعرفهم كما أخبر الله بذلك، والذين كان يعرفهم لو عاقب بعضهم لغضب له قومه، ولقال الناس أن محمداً يقتل اصحابه فكان يحصل بسبب ذلك نفور عن الاسلام، إذ لم يكن الذنب ظاهر فيشترك الناس في معرفته)^(٢).

وقال الامام مالك^(٣) "رحمه الله" (إنما كف الرسول ﷺ عن المنافقين ليس لأتمته ان الحاكم لا يحكم بعلمه).

وقال الشافعي واصحابه: (وإنما منع رسول الله ﷺ من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الاسلام مع العلم بنفاقهم، لان ما يظهرونه يجب ما قبله).

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١/١٩٨.

(٢) ينظر: كتاب الايمان: لأبن تيمية: ص ٤٠٤.

(٣) هو : الامام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمر بن الحارث الاصبحي الحميري. شيخ الائمة وإمام دار الهجرة، ولد سنة (٩٣هـ) واليه ينسب المذهب المالكي، له كتاب الموطأ، توفي سنة (١٧٩هـ) روى عن نافع وجعفر الصادق وخلف وروى عنه الشافعي وخلف.

ينظر: ترجمته (تذكرة الحفاظ: ١/٢٠٧، طبقات الحفاظ: ٩٦، الاعلام: ٢/٢٤).

وقال الامام الطبري^(١): يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ يا محمد ﴿قَالُوا﴾ بالسنتهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾. قال المنافقون ذلك أو لم يقولوه ، ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (١) . يقول: والله يشهد إن المنافقون لكاذبون في إخبارهم عن انفسهم أنها تشهد أنك لرسول الله ، وذلك انها لا تعتقد ذلك ، ولا تؤمن به ، فهم كاذبون في خبرهم عنها بذلك .

وكان بعض اهل العربية يقول^(٢) في قوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (١) : إنما كذب ضميرهم ، لأنهم أضمروا النفاق ، فكما لم يقبل إيمانهم وقد اظهروه ، فكذلك جعلهم كذابين ، وانهم أضمروا غير ما أظهروه^(٣) .

وقد جعل الله تعالى الاحكام بين عباده على الظاهر وتولى الحكم في سرائرهم دون احد من خلقه ، فليس لأحد ان يحكم بخلاف ما يظهر لأنه حكم بالظنون ، ولو كان لأحد كان اولى الناس به رسول الله ﷺ ، وقد حكم للمنافقين بحكم

(١) هو : محمد بن جرير الطبري، ابو جعفر المؤرخ، المفسر، الامام، ولد في أهل طبرستان واستوطن بغداد وتوفي بها سنة ٣١٠هـ، من كتبه (اخبار الرسل والملوك، جامع البيان في تفسير القرآن، اختلاف الفقهاء) ينظر ترجمته (وفيات الاعيان ٤٥٦/١، طبقات الشافعية ١٣٥/٢، تذكرة الحفاظ ٧١٠/٢، مفتاح السعادة ٢٠٥/١، الاعلام ٦٩/٦).

(٢) ينظر: جامع البيان: للطبري: ٢٢ / ٦٥٠

(٣) ينظر: معاني القرآن: للغراء: ٣ / ١٥٨

المسلمين فيما اظهروه ووكّل سرائرهم الى الله وقد كذب الله ظواهرهم فقال^(١)

﴿وَاللّٰهُ يَشْهَدُ اِنَّ الْمُنٰفِقِيْنَ لَكَذِبُوْنَ﴾^(٢)

إن حقيقة الايمان في القلب ، وحقيقة كل كلام كذلك ، فإن من أخبر عن شيء واعتقد بخلاف فهو كاذب ، لما أن الكذب بأعتبار المخالفة بين الوجود اللفظي والوجود الذهني ، كما أن الجهل بأعتبار المخالفة بين الوجود الذهني ، والوجود الخارجي ، الا ترى انهم كانوا يقولون بألسنتهم نشهد أنك لرسول الله ، وسماهم الله كاذبين لما أن قولهم: يخالف اعتقادهم ، وقال: قوم لم يكذبهم الله تعالى في قولهم: ﴿نَشْهَدُ اِنَّكَ لَرَسُوْلُ اللّٰهِ﴾ إنما كذبهم بغير هذا من الاكاذيب الصادرة عنهم في قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُوْنَ بِاللّٰهِ مَا قَالُوْا﴾ و (يحلفون بالله إنهم لمنكم).

وجواب إذا ﴿قَالُوْا نَشْهَدُ﴾ أي: انهم إذا أتوك شهدوا لك بالرسالة ، فهم كاذبون في تلك الشهادة ، لما مرّ ان قولهم يخالف اعتقادهم^(٣).

وارادوا بقولهم: ﴿نَشْهَدُ اِنَّكَ لَرَسُوْلُ اللّٰهِ﴾ شهادة واطأت فيها قلوبهم السنتهم. فقال الله عز وجل: قالوا ذلك: ﴿وَاللّٰهُ يَعْلَمُ﴾ ان الامر كما يدل على قولهم: إنك لرسول الله ، والله يشهد أنهم لكاذبون في قولهم انشهد ، وادعائهم فيه المواطأة: او انهم لكاذبون فيه. او اراد: والله يشهد إنهم لكاذبون عند انفسهم ، لأنهم كانوا

(١) ينظر: الجامع لاحكام القرآن: للقرطبي: ١/ ١٩٩

(٢) سورة المنافقون: ١.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي: ٣٠/ ١٣

يعتقدون ان قولهم: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه.

فإن قلت: أي فائدة في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ قلت: لو قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يشهد إنهم لكاذبون ، لكان يوهم ان قولهم هذا كذب ، فوسط بينهما قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ ليميط هذا الابهام^(١).

ولم يكتف خطر المنافقين عند هذا الحد بل نراهم حتى انهم شككوا في رسالة النبي ﷺ وشكهم بعقيدة التوحيد والرسالة التي جاء بها كل ذلك ذكره في القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٤﴾﴾^(٢) وهو الشك في الايمان وضعف اعتقادهم اياه^(٣).

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة قوله: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾. قال ذلك الناس

(١) ينظر: الكشف: للزمخشري: ١٢٢ / ٦

(٢) سورة الأحزاب: ١٢ - ١٣

(٣) ينظر: جامع البيان: للطبري: ٣٨ / ١٩

من المنافقين: قد كان محمد يعدنا فتح فارس والروم ، وقد حصرنا هاهنا ، حتى ما يستطيع احدنا ان يبرز لحاجاته ، ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا^(١).

والقول في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾. وإذ قال بعضهم: يا اهل يثرب. ويثرب اسم ارض ، فيقال: إن مدينة رسول الله ﷺ في ناحية من يثرب. وقوله: ﴿ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ﴾. يقول: لا مكان لكم تقومون فيه^(٢).

والقراءة على فتح الميم من قوله ﴿ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ بمعنى: لا موضع قيام لكم ، وهي القراءة التي لا أستجيز القراءة بخلافها ، لاجماع الحجة من القراءة عليها. وذكر عن ابي عبد الرحمن السلمي أنه قرأ ذلك: ﴿ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ بضم الميم يعني لا إقامة لكم^(٣).

(١) اخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١١٣ / ٢ عن معمر عن قتادة بنحو ، وعزاه السيوطي في

الدر المنثور ١٨٧ / ٥ الى ابن ابي حاتم.

(٢) ينظر: جامع البيان: للطبري: ٤٢ / ١٩

(٣) وهو قراءة نافع ، وابن كثير ، وابي عمرو ، وابن عامر ، وعاصم في رواية ابي بكر ،

وحمزة ، والكسائي ، وقراءة الضم هي قراءة عاصم في رواية حفص ، وهي قراءة متواترة.

وينظر السبعة ص ٥٢٠ ، والتيسير ص ١٤٥.

يقول الامام الرازي (رحمه الله) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢ ﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ﴿ يقول: (فظن المنافقون بأن الغلبة واقعة ، وقوله ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ اي لا وجه لها (ويثرب) اسم للبقعة التي هي المدينة ﴿ فَارْجِعُوا ﴾ أي: عن محمد ﷺ (١).

ويقول تعالى مخبراً عن ذلك الحال ، حين نزلت الاحزاب حول المدينة ، والمسلمون محصورون في غاية الجهد والضيق ، ورسول الله ﷺ بين أظهرهم ، إنهم ابتلوا وأختبروا وزلزلوا زلزالاً شديداً ، فحينئذ ظهر النفاق ، وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في نفوسهم ، اما المنافق منجم (بدا) نفاقه ، والذي في قلبه شبهة او حسيقة (حقد ، عداوة) ، ضعف حاله فتتفس بما يجده من الوسواس في نفسه ، لضعف ايمانه ، وشدة ما هو فيه من ضيق الحال. وقوم اخرون قالوا كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ يعني: المدينة ، وقوله ﴿ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ ، أي: ها هنا يعنون عن النبي ﷺ ، في مقام المرابطة ، ﴿ فَارْجِعُوا ﴾ أي: الى بيوتكم ومنازلكم (٢).

ويقول سيد قطب (رحمه الله): (ولقد كان اشد الكرب على المسلمين ، وهم محصورون بالمشركين داخل الخندق ، ذلك الذي كان يجيئهم من انتقاص بني قريظة عليهم من خلفهم. فلم يكونوا يأمنون في أي لحظة ان ينقض عليهم

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي: ٢٥ / ٢٠٠

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ١١ / ١٢٩

المشركون من الخندق ، وان تميل عليهم يهود ، وهم قلة بين هذه الجموع ، التي جاءت بنية استئصالهم في معركة حاسمة اخيرة ، ذلك كله الى ما كان من كيد المنافقين والمرجفين في المدينة وبين الصفوف.

﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (١)

فقد وجد هؤلاء في الكرب المزلزل ، والشدة الآخذة بالخنادق فرصة للكشف عن خبيثة نفوسهم وهم آمنون من أن يلومهم احد ، وفرصة للتوهين والتخذيل وبعث الشك والريبة في وعد الله ووعد رسوله ، وهم مطمئنون ان يأخذهم احد بما يقولون.

فالواقع بظاهره يصدقهم في التوهين والتشكيك ، وهم مع هذا منطقيون مع انفسهم ومشاعرهم.

ومثل هؤلاء المنافقين والمرجفين قائلون في كل جماعة ، وموقفهم في الشدة هو موقف إخوانهم هؤلاء فهم نموذج مكرر في الاجيال والجماعات على مدار الزمان.

﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَرْبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ﴾ (٢) فهم يحرضون اهل

المدينة على ترك الصفوف ، والعودة الى بيوتهم ، بحجة ان إقامتهم امام الخندق مرابطين هكذا ، لا موضع لها ولا محل ، وبيوتهم معرضة للخطر من ورائهم.

وهي دعوة خبيثة تأتي النفوس من الثغرة الضعيفة فيها ، ثغرة الخوف على النساء والذراري. والخطر محقق والهول جامع ، والظنون لا تثبت ولا تستقر (٣).

(١) سورة الأحزاب: ١٢

(٢) سورة الأحزاب: ١٣

(٣) ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب: ٥ / ٢٨٣٨

المطلب الثاني: تبين نية السوء عند طائفة المنافقين

في الطوائف طائفة ذكرها القرآن الكريم كانت تظهر الموافقة والطاعة وتسرُّ فيما بينها مخالفة الرسول وعصيانه، قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۗ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۗ﴾ (١)

في هذه الآيات يخبر تعالى عن عبده ورسوله ﷺ بأنه من أطاعة فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، وما ذاك إلا لأنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وجاء في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ يعني الفريق الذي أخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم لما كُتِبَ عليهم القتال، خشوا الناس كخشية الله أو أشد خشية، يقولون لنبي الله ﷺ، إذا أمرهم بأمر: أمرك طاعة فيما تأمرنا به وتنهانا عنه. ﴿فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾ . يقول: فإذا خرجوا من عندك يا محمد. ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ .

(١) سورة النساء: ٨٠-٨١.

يعني بذلك جل ثناؤه ، غير جماعة منهم ليلاً الذي تقول لهم. وكل عمل عمل ليلاً فقد بُيت. وقوله ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ﴾ يعني بذلك جل ثناؤه: والله يُثبت ما يغيرون من قولك ليلاً في كتب اعمالهم التي تكتبها حفظته^(١).

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيق ، قال: ثنا يوسف بن خالد ، قال: ثنا نافع بن مالك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله: ﴿بَيْتَ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ قال: غير اولئك ما قال النبي ﷺ^(٢).

وحدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة قوله: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾. قال: يغيرون عهد نبي الله ﷺ^(٣).

وذكر الامام الرازي (رحمه الله) في قوله تعالى: ﴿بَيْتَ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ مسائل:

المسألة الاولى: كل امر تفكروا فيه كثيراً وتأملوا في مصالحه ومفاسده كثيراً قيل هذا أمر جبّيت ، قال تعالى: ﴿إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾^(٤) وفي

(١) ينظر: جامع البيان: للطبري: ٢٤٦/٧ / ٢٤٧

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٨٦ / ٢ الى المصنف

(٣) ذكره ابن ابي حاتم في تفسيره ١٢/٣ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٨٦ / ٢ الى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) سورة النساء: ١٠٨

اشتقاقه وجهان: **الاول:** اشتقاقه من البيوتة ، لأنه أصلح الاوقات للفكر ان يجلس الانسان في بيته بالليل ، فهناك تكون الخواطر اخلى والشواغل اقل.

والثاني: اشتقاقه من بيت الشعر. قال الاخفش: العرب إذا اردوا قرض الشعر بالغوا في التفكير فيه فسموا المتفكر فيه المستقصي مبيتاً. تشبهاً له بيت الشعر من حيث أنه يسوى ويدبر.

المسألة الثانية: انه تعالى خص طائفة من جملة المنافقين بالتبیت ، وفي هذا التخصيص وجهان:

الاول: أنه تعالى ذكر من علم انه يبقى على كفره ونفاقه ، فأما من علم أنه يرجع عن ذلك فانه لم يذكرهم. **والثاني:** ان هذه الطائفة كانوا قد اسهروا ليلهم في التبیت ، وغيرهم سمعوا وسكنوا ولم يبيتوا ، فلا جرم لم يذكروا.

المسألة الثالثة: قرأ ابو عمرو وحمزة ﴿بَيْتَ طَائِفَةٍ﴾ بأدغام التاء في الطاء ، والباقون بالاظهار^(١).

المسألة الرابعة: قال ﴿بَيْتَ﴾ بالتذكير ولم يقل: بيت التأنيث ، لأن تأنيث الطائفة غير حقيقي ولأنها في معنى الفريق والفوج^(٢).

وذكر ايضاً في معنى قوله ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ أي امرنا وشأننا طاعة لك وهي في المنافقين بإجماع بيت طائفة منهم غير الذي تقول بيت أي تدبر الامر

(١) ينظر: التسهيل لقراءات التنزيل: محمد فهد فازوف: ص ٩١

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي: ١٠ / ٢٠٠ / ٢٠١

بالليل والضمير في تقول للمخاطب وهو النبي ﷺ او للطائفة فاعرض عنهم أي لا تعاقبهم^(١).

وقال ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ ، يقول: (ثم بين الله تعالى انه لضعف نفوسهم لا يعرضون جهراً بل يظهرن الطاعة فإذا أمرهم الرسول او نهاهم يقولون له (طاعة) أي: أمرنا طاعة وهو كلمة يدلون لها على الامتثال ، وربما يقال: سمع وطاعة ، وهو مصدر مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف ، أي امرنا او شأننا طاعة ، كما في قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾^(٢) ، إذ ليس المقصود هنا إحداث الطاعة وانما المقصود اننا سنطيع ولا يكون منا عصيان ومعنى ﴿بَرَزُوا﴾ أي: خرجوا ، واصل معنى البروز الظهور ، وشاع إطلاقه على الخروج مجازاً مرسلأً.

و ﴿بَيَّتَ﴾ هنا بمعنى قدر أمراً في السر وأضمره ، لأن اصل البيات هو فعل شيء في الليل ، والعرب تستعير ذلك الى معنى الاسرار ، لأن الليل اكنم للسر ، ولذلك يقولون: هذا امر خطر بليل ، أي: لم يطلع عليه احد)^(٣).

وقوله ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ يخبر تعالى عن المنافقين بأنهم يظهرن الموافقة والطاعة ﴿فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾ أي : خرجوا وتواروا عنك ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ أي : أستسروا ليلاً فيما بينهم بغير ما أظهره لك،

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزي: ٢٦٧/١

(٢) سورة يوسف: ١٨

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٣٤/٥

فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ﴾ أي : يعلمه ويكتبه عليهم بما يأمر به حفظته الكاتبين الذين هم موكلون بالعباد، والمعنى في هذا التهديد أنه تعالى يخبر بأنه عالم بما يضمرونه ويسرونه فيما بينهم، وما يتفقون عليه لئلا من مخالفة الرسول ﷺ وعصيانه وإن كانوا قد أظهروا له الطاعة، والموافقة، وسيجزئهم على ذلك، وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي : كفى ولياً وناصراً ومعيناً لمن توكل عليه وأتاب إليه^(١).

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ أي : ويقول المنافقون إذا كان عندك أمرنا سمع وطاعة. فإذا برزوا من عندك أي : خرجوا من مجلسك بيت طائفة منهم وهي رؤساءهم غير ما قلت من القول والرضا، والاطاعة في حضورك. والله يكتب ما يبیتون، يعني والله يثبت في صحائف أعمالهم ما يدبرونه ويزورونه ويحاسبهم عليه، وكفى بالله وكيلاً قائماً بما هو من شؤونه مراعاة الحقائق ومحاسبة العباد عليها، فلا يهمنك عداؤهم واحقادهم وبغضاؤهم.

ويظهر من اعمال وأحوال أولئك المنافقين أنهم لم يؤمنوا برسالة محمد ﷺ الى العالم من الانس والجن ولم يؤمنوا بان الكتاب المنزل عليه كلام الله^(٢).

(١) ينظر: تفسير ابن كثير: ٣٤٥/٢.

(٢) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: للشيخ: عبد الكريم محمد المدرس: ١٦/٣.

كما قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾^(١) وقد ورد في سبب نزول هذه الآية روايات يرى فيها سيد قطب "رحمه الله".

كما يقول ما نصه:- والحق... أننا نجد انفسنا - أمام هذه الآيات كلها- في موقف لا نملك الجزم فيه بشيء- والرويات الواردة عنها ليس فيها جزم كذلك بشيء...
...

حتى في آيات المجموعة الاولى التي ورد أنها في طائفة المهاجرين كما ورد أنها في طائفة من المنافقين! ومن ثم تأخذ بالأحوط، في تيرئة المهاجرين من سمات التبئنة والانخلاع مما يصيب المؤمنين من الخير والشر التي وردت في الآيات السابقة.

ومن سمة أسناد السيئة للرسول ﷺ دون الحسنة ، وردَّ هذه وحدها عند الله !
ومن سمة تبيت غير الطاعة... وإن كانت تجزئة سياق الآيات على هذا النحو ليست سهلة على من يتابع السياق القرآني، ويدرك -بطول الصحبة- طريقة التعبير القرآنية!! والله المعين^(٢).

وقد ذكر الامام الطبري "رحمه الله" فيما نحن بصدد بيانه من الآيات وما بعدها نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

(١) سورة النور: ٤٧

(٢) في ظلال القرآن: ٧١٢/٢.

وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١﴾. إنها نزلت في الطائفة التي كانت تُبَيِّت غير ما يقول لها الرسول أو تقول له^(٢). ولا يبعد أن تكون في جمهور المسلمين بلا تعيين، لأن المشاهد في أحوال الناس ان الاذاعة بمثل أخبار الامن والخوف لا تكون من دأب المنافقين خاصة، بل هي مما يلهج به الناس في مختلف البيئات بحسب المناسبات وان كانت تختلف نياتهم، فالمنافق قد يذيع ما يذيعه لأجل الضرر، وضعيف الايمان قد يضيع استشفاء مما في صدره من الإحن والبغضاء، وغيرهما قد يذيع رغبة في كشف الأسرار وابتلاء الأخبار، وهذا أمر معتاد بين الناس وهو كثير الضرر إذا شغلوا به عن أعمالهم، وضرره أكثر إذا أذاعوه وعلمة جواسيس العدو، لما يكون لذلك من العواقب الوخيمة على الأمة، ومثل ذلك سائر الأمور السياسية والشؤون العامة التي لا ينبغي أن تعدو الخاصة وتصل إلى العامة^(٣).

(١) سورة النساء: ٨٣

(٢) جامع البيان: ٥٦٩/٨.

(٣) ينظر: تفسير المراغي: ٢٧٠/٢

الخاتمة

وفيها اهم التوصيات والنتائج:

١. إن الطائفة مصطلح لا يعني بالضرورة أن له مدلولاً سلبياً ، فربما دل على نفر من الخير كما عبر عن ذلك القرآن الكريم في الكثير من آياته عندما يذكر لفظ الطائفة ، الا انه درج أستعماله مؤخراً في سياق التعصب للفرقة او الحزب او الفئة.

٢. عرفت من خلال البحث معنى الطائفة في اللغة والاصطلاح ، ومن خلال البحث وجدت أنه لا فرق في التعريف اللغوي والاصطلاحى لمعنى الطائفة وهو متقارب جداً.

٣. تتلاقى الكثير من المصطلحات الاخرى مع الطائفة من حيث المعنى والمضمون الا انها قد تختلف عنها بالعدد والاثر والخطورة ، ومن هذه الالفاظ لفظ الفئة والزمرة والرهط والحزب وغيرها من الالفاظ التي ذكرتها في البحث.

٤. عرفت من خلال البحث ان الطائفة في القرآن الكريم تطلق على الجماعة ، وقد تكون هذه الجماعة مؤمنة ، او كافرة ، او مشركة ، او مستضعفة.

٥. ربما تطلق الطائفة على الشخص الواحد وهذا الاطلاق لا يكون الا مجازاً

كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾

٦. تنوع آيات الطائفة في القرآن الكريم من حيث دلالة ومعنى الآية.

٧. التعرف الى فقه الطائفة المؤمنة وعبادتها وقتالها في سبيل الله وشهادتها على الطوائف الاخرى على اقامة حدود الله تعالى في الارض.

٨. اشار القرآن الكريم في الكثير من آياته الى طوائف بني اسرائيل وان طوائف بني اسرائيل هي اكثر الطوائف تعنتاً وعناداً.

٩. التعرف على طوائف المنافقين ونشؤ النفاق وخطورته على المجتمع.

١٠. خطورة الطوائف المنافقة التي تبيت نية السوء للنبي ﷺ وموقف النبي ﷺ من هذه الطوائف.

واخيراً أسأل الله سبحانه وتعالى ان يوفقنا لما يحبه ويرضاه وان يجعل هذا العمل المتواضع خالصاً لوجهه الكريم ويجعلنا من السائرين على طريق انبيائه الكرام من ادم الى محمد ﷺ خير الانام.

الباحث

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

١. الأتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخصري (جلال الدين للسيوطي) (ت ٩١١هـ—)، الطبعة محققة من مجمع الملك فهو لطباعة المصحف الشريف في سبع مجلدات، ١٤٢٦هـ—.
٢. أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر العربي (ت ٥٤٣هـ—)، تحقيق علي البجاوي، دار إحياء التراث العربي، أربعة أجزاء، بيروت، لبنان، ط ١، ب.ت.
٣. إحياء القلوب: ابي عبد الرحمن محمد بن محمود بن مصطفى الاسكندري ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - ط ١ ، (١٤٢٥هـ— - ٢٠٠٤م).
٤. إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم المسمى تفسير أبي السعود: محمد بن السعود العمادي (ت ٩٨٣هـ—). تحقيق محمد عبد اللطيف، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، ب.ت.
٥. أساس البلاغة: محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ—)، طبعة مصر، ١٨٨٢م.
٦. أسباب النزول: ابو الحسن علي بن احمد النيسابوري الواحدي (ت ٤٦٨هـ—)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ— - ١٩٧٨م.
٧. أسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ—)، تحقيق محمد إبراهيم وآخرون، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٣م.

٨. اصول الفقه - لأبي النور زهير ، دار البصائر بالقاهرة.
٩. اصول الفقه الاسلامي: محمد بن اسماعيل الامير ، تحقيق: القاضي حسين بن احمد السياغي ، والدكتور حسن محمد الاهدل ، مؤسسة الرسالة - بيروت - ط١ ، ١٩٨٦م.
١٠. اضواء البيان في إيضاح القرآن الكريم: محمد الأمين بن احمد بن المختار الجنكي الشنقيطي ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات ، دار النشر ، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
١١. أعلام العراق: محمد بهجت الأثري، ١٩٧٩م.
١٢. الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٧٩م.
١٣. بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت٣٧٥هـ-)، تحقيق د.عبد الرحيم الزقة، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط١، ١٩٨٥م.
١٤. البحر المحيط، محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ-)، مطابع النصر الحديثة، السعودية، الرياض، ب.ت.
١٥. بحوث في النوم والاحلام والتتويم المغناطيسي: للدكتور انور حمدي ، ط٢ (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) المكتب الاسلامي للطباعة والنشر.
١٦. البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر كثير القرشي أبو الفداء (ت٧٧٤هـ-)، مكتبة المعارف، بيروت، ب.ت.
١٧. البرهان في علوم القرآن: محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.
١٨. تاج العروس شرح جواهر القاموس: العلامة مرتضى الزبيدي، دار لبيبا للنشر، بنغازي، ط١، المطبعة الخيرية بجالية، مصر، ١٣٠٦هـ.

١٩. تأريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ—)، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.
٢٠. تاريخ بغداد: أحمد بن علي أبو البكر الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ—)، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.
٢١. تاريخ مدينة دمشق: للإمام العالم الحافظ ابي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بأبن عساكر (ت ٥٧١هـ—)، طبع دار الفكر ، ٨٠ مجلد.
٢٢. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ—)، الدار التونسية، ب.ت.
٢٣. تحفة المحتاج في شرح المنهاج: احمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ، دار إحياء التراث العربي ، رقم الطبعة ، د. ط ، عدد الاجزاء عشرة اجزاء.
٢٤. تذكرة الحفاظ: أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، (ت ٧٤٨هـ—)، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٥٦م.
٢٥. التسهيل لعولم التنزيل: للعلامة ابي القاسم محمد بن احمد بن جزي الغرناطي الاندلسي المالكي (ت ٧٤١هـ—) ، تحقيق: محمد سالم هاشم ، طبع في دار الكتب العلمية - بيروت.
٢٦. التسهيل لقراءات التنزيل: محمد فهد فاروق ، الجامع للقراءات العشر من الشاطبية ، والدرة الطيبة ، مراجعة - شيخ القراءات ، محمد كريم راجح ، دار البيروتي ، طمشق ط ١ (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
٢٧. التعريف بأصول الفقه الاسلامي: الدكتور محمد سعاد جلال ، مطابع الاتحاد الدولي للبنوك الاسلامية ، محافظة المينا - مصر (١٣٢٨هـ - ١٤٠٣هـ).

٢٨. التعريفات: علي محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ.
٢٩. تفسير ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ)، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ٤، ١٩٨٣م.
٣٠. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.
٣١. تفسير القرآن العظيم: عبد الرحمن بن محمد بن ادريس الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق، اسعد محمد الطيب، ١٠ مجلدات، مكتبة نزار مصطفى الباز - الرياض - ط ١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
٣٢. تفسير القرآن الكريم (الشهير بتفسير المنار) - محمد رشيد رضا دار المعرفة - بيروت، لبنان (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).
٣٣. التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، مكتبة السنة المحمدية، ب.ت.
٣٤. التفسير الكبير المسمى (مفاتيح الغيب): أبو عبد الله محمد بن عمر الحسين الرازي (ت ٦٣٩هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م.
٣٥. التفسير الكبير: فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، طهران، ب.ت.
٣٦. تفسير المراغي: احمد مصطفى المراغي (ت ١٣٦٤هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط ٢، ١٩٥٣م.
٣٧. التفسير المنير: د. وهبة مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ١٤٢١هـ.
٣٨. تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل: القاضي ناصر الدين البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، مطبوعات أسعد وأولاده، جدة، ١٣٠٥هـ.

٣٩. تفسير سورة النور: أبو الأعلى المودودي، تعريب محمد عاصم حداد، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩م.
٤٠. تفسير غريب القرآن: أبو محمد عبد الله بن سالم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ—)، تحقيق أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤م.
٤١. تفسير مجاهد: مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج، المنشورات العلمية - بيروت.
٤٢. تفسير مواهب الرحمن في تفسير القرآن: الشيخ عبد الكريم المدرس المعروف بـ"بيارة"، عني بنشره محمد علي القرداغي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٨م.
٤٣. تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ—)، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ—١٩٨٤م.
٤٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١، (١٤٢٠هـ—٢٠٠٠م).
٤٥. جامع البيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ—)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٧٢م.
٤٦. الجامع الصحيح سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي السلمي (ت ٢٧٩هـ—)، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب.ت.
٤٧. الجامع لاحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن احمد القرطبي (ت ٦٧١هـ—)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٣٥م.

٤٨. جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ—)، حيدر آباد، الدكن، الهند، ط١، ١٣٤٥هـ—.
٤٩. الجواهر في تفسير القرآن العظيم: الشيخ طنطاوي جوهرى ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، المجلد ٢.
٥٠. حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي: عن تفسير البيضاوي ، ج ٤ ، دار صادر - بيروت.
٥١. حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي: طاش كبرى زاده محمد بن مصطفى (ت ٩٥١هـ—)، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٨٣هـ—.
٥٢. ديوان المتنبي: أبو الطيب المتنبي احمد بن حسين الكوفي (ت ٣٥٤هـ—)، طبع في المانيا، بتحقيق فريدريك ديتربهي، ١٨٦١م.
٥٣. الرحيق المختوم: للشيخ صفي الدين الرحمن المباركفوري، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ب.ت.
٥٤. روائع البيان في تفسير آيات الاحكام: الشيخ محد علي الصابوني: مكتبة الغزالي، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ط٣، ١٩٨٠م.
٥٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الثناء شهاب الدين محمود الالوسي (ت ١٢٧٠هـ—)، إدارة المطبعة المنيرية، دار التراث العربي، بيروت، لبنان، ب.ت.
٥٦. زاد المسير في علم التفسير ، للعلامة ابي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، المشهور بأبن الجوزي. (ت ٥٩٧هـ—) ، طبع في تسع مجلدات عن المكتب الاسلامي - بيروت ، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله.

٥٧. زاد المسير في علم التفسير: ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المكتب الاسلامي للطباعة، بيروت، دمشق، ط١، ١٩٦٤م.
٥٨. زهرة التفاسير: الإمام الجليل محمد ابو زهرة ، ملتزم الطبع والنشر ، دار الفكر العربي ، ٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر القاهرة.
٥٩. سنن أبى ماجه: محمد بن يزيد ابو عبد الله القزويني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ب.ت.
٦٠. سنن أبى داود: سليمان بن الأشعث ابو داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ب.ت.
٦١. سنن البيهقي الصغرى: احمد بن الحسين بن علي بن موسى ابو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، دائرة المعارف، النظامية بالهند، ١٣٤٤هـ.
٦٢. سنن البيهقي الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى ابو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٦٣. السنن الكبرى: احمد بن شعيب ابو عبد الرحمن النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
٦٤. سورة المنافقون: دراسة تحليلية للمرحوم الشهيد زياد علي عباس الحلبوسي.
٦٥. سير أعلام النبلاء: الحافظ شمس الدين بن احمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) تحقيق الاستاذ شعيب الارناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٩هـ.

٦٦. السيرة النبوية لأبن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ—)، مطبعة دار القلم، سوريا، ب.ت.
٦٧. السيرة النبوية لأبن هشام: أبو محمد عبد الله جمال الدين يوسف بن احمد بن هشام (ت ٧٦١هـ—)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي للطباعة، ط ١، ب.ت.
٦٨. صحيح البخاري: للإمام ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري (ت ٢٥٦هـ—)، تحقيق: محمد زهير، دار قوة النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ، عدد الاجزاء ٩.
٦٩. صحيح مسلم بشرح النووي: ابو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (ت ٦٧٦هـ—)، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ—.
٧٠. صحيح مسلم: للإمام ابي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ—)، منشورات محمد علي بيضون، لنشر كتب السنة والجماعة - دار كتب السنة والجماعة - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٧١. صفوة التفاسير: للشيخ محمد علي الصابوني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ—.
٧٢. طبقات أبن سعد: محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ—)، تحقيق الدكتور عبد العزيز السلومي، مكتبة الصديق، الطائف، ١٤١٦هـ—-١٩٩٥م.
٧٣. طبقات الحفاظ: عبد الرحمن بن ابي السيوطي ابو الفضل (ت ٩١١هـ—)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ—.
٧٤. طبقات الحنابلة: محمد بن ابي يعلي ابو الحسين (ت ٥٢١هـ—)، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ب.ت.

٧٥. طبقات الشافعية: ابي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٧١هـ—)، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلوة، د. محمود محمد الطناحي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الجيزة، ط ٢، ١٩٩٢م.
٧٦. طبقات المفسرين للسيوطي: جلال الدين ابو الفضل عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد السيوطي الشافعي (ت ٩١١هـ—)، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، ط ١، ١٣٩٦هـ—١٩٧٦م.
٧٧. طبقات المفسرين: شمس الدين الداودي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٢م.
٧٨. العبر في خبر من غبر: محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ—)، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط ٢، ١٩٤٨م.
٧٩. غاية النهاية في طبقات القراء: شمس الدين ابو الخير محمد بن محمد الجزري (ت ٨٣٣هـ—)، مطبعة الخانجي، مصر، ١٩٣٣م.
٨٠. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ—) مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٦٤م.
٨١. الفروق اللغوية: للإمام الاديب اللغوي ابي هلال العسكري ، حققه وعلق عليه: محمد ابراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع - مدينة نصر - القاهرة.
٨٢. في ظلال القرآن: سيد قطب، بيروت، ط ٧، ١٩٧٨م.
٨٣. كتاب الاغاني: لابي فرج الاصفهاني (ت ٣٥٦هـ—) ، تحقيق ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة - ١٣٩٠هـ.

٨٤. كتاب الايمان: تقي الدين ابو العباس احمد بن شهاب الدين عبد الحليم ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، المكتب الاسلامي، عمان، الاردن، ١٩٩٣م.
٨٥. كتاب التمهيد: للإمام الحافظ ابي عمر يوسف بن عبد الله ابن محمد بن عبد البر الاندلسي القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: الاستاذ مصطفى بن احمد، والاستاذ محمد بن عبد الكبير البكري، اشراف وزارة الشؤون الاسلامية بالمغرب العربي.
٨٦. كتاب المصنف: للإمام ابو بكر عبد الله بن باي شيبية (ت٢٣٥هـ)، وتحقيق العلامة، الشيخ حبيب الرحمن الاعظمي، طبع في الهند وعن هذه الطبعة اخذت طبعات بيروت.
٨٧. كتاب تفسير القرآن: محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري (ت٣١٨هـ)، دار النشر، دار المأثر - المدينة المنورة - ط ١، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م) بمجلدين.
٨٨. كشف القناع عن متن الاقناع: منصور بن يونس البهوتي، دار الفكر، سنة النشر ١٩٨٢م رقم الطبعة د.ط، عدد الاجزاء ستة اجزاء.
٨٩. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل: جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ب.ت.
٩٠. الكوكب المنير، محمد بن احمد بن عزيز الفتوح الحنبلي، تحقيق: محمد الزحيلي، مكتبة العبيكان، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).
٩١. لباب التأويل في معاني التنزيل، المعروف بـ (تفسير الخازن): علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن (ت٧٤١هـ)، الطبعة الميمنية، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ب.ت.

٩٢. لباب النقول في اسباب النزول: جلال الدين للسيوطي، دار إحياء التراث العربي، مكتبة المثنى، بيروت، ب.ت.
٩٣. لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط ١، ب.ت.
٩٤. لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق دائرة المعارف النظامية، الهند، مؤسسة، الاعلمي، للمطبوعات، بيروت، ط ٣، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٩٥. لغة المنافقين في القرآن الكريم: د. عبد الفتاح لاشين، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٥م.
٩٦. مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٩٧. مجاز القرآن: لأبي عبيدة مقرر بن المثنى (ت ٢١٠هـ)، تحقيق الدكتور محمد فؤاد سركيث، الناشر - مكتبة الخانجي، بالقاهرة عدد الاجزاء ٢.
٩٨. مجموع الفتاوي: لأحمد لن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد اللع تقي الدين ابو العباس النميري العامري الملقب بشيخ الاسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، جمع الملك فهد، سنة النشر (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).
٩٩. المجموع شرح المذهب: محي الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق محمود مطرحي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
١٠٠. مختار الصحاح: محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي (ت ٧٢١هـ)، مكتبة لبنان ناشرون، تحقيق محمود خاطر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٠١. مختصر ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ)، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط. بيروت، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

١٠٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: شمس الدين ابن القيم الجوزية، مطبعة السنة الحمديّة، القاهرة، ١٩٥٦م.
١٠٣. مدارك التنزيل وحقائق التأويل المسمى بـ(التفسير النسفي): أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ب.ت.
١٠٤. مدارك التنزيل: محي السنة ابو محمد الحسين مسعود البغوي (ت٥١٦هـ—)، دار طيبة للنشر، ط١، موقع فجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٧هـ—١٩٩٧م.
١٠٥. المستدرک علی الصحیحین: محمد بن عبد الله ابو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ—)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ—١٩٩٠م.
١٠٦. مسند الامام احمد: أحمد بن حنبل ابو عبد الله الشيباني (ت٢٤١هـ—)، مؤسسة قرطبة، مصر، ب.ت.
١٠٧. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: احمد بن محمد الفيومي (ت٧٧٠هـ—)، تحقيق عبد العظيم الشناوي، مصر، دار المعارف، ١٩٧٧م.
١٠٨. معجم البلدان: للأديب الشاعر ياقوت الحموي (ت٦٢٢هـ—)، دار الفكر، بيروت، ب.ت.
١٠٩. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، مطبعة الترقى، ١٩٥٧م.
١١٠. معجم مقاييس اللغة: ابو الحسين احمد بن زكريا بن فارس، القاهرة، ط١، ١٣٦٨هـ—.

١١١. المغازي: ابو عبد الله محمد بن عمر السهمي الاسلامي ، (ت٢٠٧هـ) ، تحقيق: مارندن برنس ، ط: دار عالم الكتب.
١١٢. مغني المحتاج في شرح المنهاج: للعلامة الهمام شمس الدين محمد بن الخطيب الشربيني، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.
١١٣. مفتاح دار السعادة: طاش كبرى زاده احمد بن مصطفى (ت٩٦٨هـ—)، تحقيق كامل بكري عبد الوهاب ابو النور، دار الكتب الحديثة، بيروت، ب.ت.
١١٤. المفردات في الفاظ القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد الداودي المعروف بالراغب الاصفهاني (ت٥٠٢هـ—)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
١١٥. المفصل في احكام المرأة المسلمة والبيت المسلم في الشريعة الاسلامية: عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ—.
١١٦. مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، ط٥، ١٩٨٤م.
١١٧. موسوعة علماء العرب: عبد السلام السعيد، ط١، ٢٠٠٥م.
١١٨. موعظة المؤمن من إحياء علوم الدين: الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي (ت١٣٣٢هـ—)، دار ابن رجب، ب.ت.
١١٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للإمام برهان الدين إبراهيم بن عمر بن مسن بن علي بن ابي بكر البقاعي، (ت٨٨٥هـ—).
١٢٠. النفاق والمنافقين في القرآن الكريم: د. أميمة بدر الدين، مجلة جامعة دمشق، مجلد ١٦، العدد الاول، ٢٠٠٠م.
١٢١. النكت والعيون: أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي (ت٤٥٠هـ—)، مطابع الكويت، ط١، ١٩٨٢م.